المعتمد

لابن عباد

THE LIBRARIES

COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY

NOV 6 1975

(الاعتذار)

اتتنا رسائل جيدة وكلمات طيبة مشحونة بالمدح والثناء من مختلف البلاد الاسلامية من رجال العلم والفضيلة ومن الشخصيات الكبرى العالمية .

ونعتذر من ساحتهم المقدسة عدم نشرها في هذا الجزء (الثاني) ونعدهم انشاء الله تعالى ان ندرج تلك المكاتيب الرائعة وعباراتهم الرشيقة في الثالث وهو تحت الطبع .

ونعتقد ! ان العذر عند كرام الناس مقبول .

المؤلف

كتاب شريف تفضل به !

سماحة حجة الاسلام والمسلمين آية الله العظمى الامام العادل
السيد علي الحسيني العلامة الفاني دام ظله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله اجمعين

وبعد ! فمن الواضح ان شرف كل عمل بغايته وغاية العلم الديني انكشاف المعارف العقلية وفهم الاحكام الشرعية والوصول الى الاخلاق الزاكية ، فعلى الطالب للعلوم الشرعية ان يتفطن بذلك كي يجتهد في طلبها ولا يسأم من تحصيلها طرفة عين ابدا بل اللازم السير في احوال العلماء ومصابرتهم في هذا الصدد على انواع المشقات وتحملهم على الشدائد والنوائب فرحين بما اوتوا من الحكمه غير مبالين بما لم ينالوا من الملذات وهذه احوالهم وكلماتهم بين يديك ، فتامل فيها وقد جمعها والفها مضافا الى آيات من القرآن واحاديث من السنة وقصائد واشعار ودرر من الحكم في هذه الموسوعة القيمة الحاوية للمطالب الراقية والمواضيع الحسنة (المعز لمن يروم العز) السيد الجليل ثقة الاسلام السيد محمود معز الدين اعزه الله في الدارين وجزاه الله خيراونسأل الله تعالى ان يتقبل منه هذا المجهود الديني وينفع به طلاب العلم انشاء الله تعالى

علي الحسيني الاصفهاني ١٧ / ربيع الاول ١٣٨٨ هـ
العلامة الفاني

ابيات قيمة تفضل بها ؛

الشاعر الكبير حجة الاسلام والمسلمين الاستاذ في كلية الفقه والحوزة العلمية في النجف الاشرف الشيخ عبد المهدي مطر حفظه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة العلامة الجليل المجاهد السيد الحجة السيد محمود معز الدين المحترم دامت فضائله وفواضله ، بعد التحية ، السلام عليكم ورحمة الله

العلم والجهل تنازعا البشر فشمر العلم ففاز وانتصر
واندحرت جحافل الجهل التي غابت عن الافق اذ العلم ظهر
فراح ينشر الدعاة للهدى من كل جوال به الدين انتشر
وقام (محمود) الفعال ناشرا للعلم آيات اضائت وسور
فهو (معز الدين) فيما قد جلى للعلم من لآلىء ومن درر
(فالعلم والعالم) من آياته سفر به حقل التعاليم ازدهر
يغرس فيه كل غصن مثمر فيا له غصنا ويا له ثمر
وفجر النبوغ منه نهضة كأنها بركان حق انفجر
فاسهر على التأليف (محمود) الثنا فطالما نال الاماني من سهر
وسر بدرب ليس فيه عثير يخشى فقدرش طريقك (المطر)

كلمة قيمة تفضل بها !

سماحة حجة الاسلام والمسلمين آية الله العظمى الامام الورع
السيد عبد الكريم الكشميري دام ظله

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله ائمة الهدى الميامين .

وبعد فان جناب السيد الزكي العالم الفاضل ، العلامة السيد محمود معز الدين زاد الله في توفيقاته قد اطلعني على (الجزء الثاني) من كتابه القيم المسمى (المعز لمن يروم العز) فوجدته كتاباً نافعاً وطافحا بالمواضيع القيمة المفيدة للانسان المؤمن ، ولا سيما في هذا العصر الذي طغت المادة على فكر الانسان واعماله ، فحري بالروحانيين اقتناءه وتعظيمه فانه خير كتاب في موضوعه (العلم والعالم) سائلا المولى القدير ان يوفق المؤلف الى اتمام بقية اجزائه لينتفع المؤمنون بمعارفه وعلومه..

حرره الراجي عفو ربه
الاقل عبد الكريم الرضوي
الكشميري

٢٠ ج١ / ١٣٨٨

ابيات قيمة تفضل بها !

الشاعر الشهير سماحة حجة الاسلام والمسلمين الشيخ عبد المنعم الفرطوسي ادام الله تعالى عمره الشريف

(معز الدين) دام له (المعز) وخالد سفره للعلم رمز
كتاب قد حوى غرر المعاني ومن درر المعارف فيه كنز
بزرت بفضله الاقران قدرا وقد ادركت فخرا لا يبز
سلاح فيه جيش الجهل يغزى وجيش العلم ينصر حين يغزو
جهاد فيه للجهلاء ذل وجهد فيه للعلماء عز
اقمت لدولة العلم المفدى به عرشاً وانت له (المعز)

أتتنا رسالة شريفة فارسية من !

امام الخطباء والمرشدين لسان الملة والدين آية الحق الشيخ
محمد تقي الفلسفي ادام الله تعالى عمره الشريف

السيد الطيب حجة الاسلام السيد محمود معز الدين دامت بركاته
المعروض ـ ! الرجاء ان يكون مزاج المحترم سالما ، كتاب (المعز)
الذي ارسلتموه الي وصل ، طالعت قسماً منه ، جهودكم مشكورة جدا
اثبتم افضل موضوع الذي هو قيمة العلم والعالم
المرجو ! ان تكونوا موفقين ومؤيدين اكثر من قبل في طريق نشر
معارف الاسلام . ـ ١٦ صفر ١٣٨٨ محمد تقي الفلسفي

الرسالة الفارسية نجف ، مدرسه بادكوبه !

خدمت جناب مستطاب حجة الاسلام آقاي آقا سيد محمود
معز الدين دامت بركاته

بعرض ميرساند ! اميد است مزاج محترم بسلامت باشد ، كتاب
(المعز) كه براي حقير فرستاده بوديد رسيد قسمتي از آنرا مطالعه
كردم ، زحمات شما شايان تقدير است ، بهترين موضوع را كه ارزش
علم وعالم است اثبات كرده ايد ، اميد است در راه نشر معارف
اسلامي بيش از پيش موفق ومؤيد باشيد

محمد تقي فلسفي ١٣ / ٢ / ٤٨

ابيات قيمة راقية تفضل بها !

سماحة العلامة الجليل الاديب الكامل حجة الاسلام والمسلمين

السيد كاظم الكفائي طول الله عمره الشريف

العميد لجامعة الامام الشيخ علي كاشف الغطاء

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظنا ! لكتاب (المعز لمن يروم العز) لمؤلفه سماحة العلامة الكبير ، الحجة ، الثقة ، السيد الجليل ، السيد محمود معز الدين حفظه الله تعالى وايده لهذه الخدمات الجليلة المشكورة التي تذكر فتشكر خالدة باقية مدى الدهر !

كتاب (المعز) عزيز الغرر ... هو الابحر السبع فيه الدرر

اذا ما تصفحت اوراقه ... قطفت من الغر اشهى الثمر

كأنك في غابة جنة ... وانت تسير بفيء الشجر

هو (العز) ان رمت عزا به ... هوالدين يهدي جميع البشر

هو العلم فيه حياة القلوب ... وقد جاء (محمود) ها في السير

فأنعم بخير كتاب اتى ... الى الناس منهلها المنتظر

فطوبى لمن يقتني نسخة ... من السفر شوقاً والا خسر

ألا أيها النشيء هذا الكتاب ... جليل المقام عظيم الاثر

يصور في سطره مذهباً ... لآل النبي بابهى الصور

هوالخط انرمت رحب الطريق ... طريق النجاة الى المستقر

النجف الاشرف ... السيد كاظم الكفائي

عميد جامعة الامام الشيخ علي كاشف الغطاء

١١ / ٨ / ٩٦٩ ... الدينية في النجف الاشرف

كلمة كريمة تفضل بها ؛

العلامة الجليل والاستاذ الكبير حجـــة الاسلام والمسلمين
الشيخ موسى الافغاني ادام الله تعالى بقاءه الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على اعدائهم اجمعين .

وبعد فقد لاحظت ما كتبه العلامة الفاضل الالمعي حجة الاسلام السيد محمود معز الدين دامت توفيقاته ، من الجزء الثاني من كتابه الكريم (المعز لمن يروم العز) فيما يتعلق بـ (العلم والعالم) فوجدته قـد غاص بحر العلم واستخرج لآليه الناصعة والحقائق الراهنـــة باسلوب رصين وبيان متين ! ولا زال مغمورا باللطف الربوبي ، فجدير للعلماء والفضلاء بل لازم عليهم ! الاقتناء ثم الاحتفاظ بهذا السفر القيم لأنه خير مرشد ، فنرجوا من الله توفيقه ودوام عزته ، والله ولي التوفيق .

المفتقر الى رحمة الباري
موسى التركستاني الافغاني

العلم والعالم

من كتاب

المعز

لمن يروم العز

هذه مجموعة بحوث علمية التي بذلنا جهودنا في ترتيبها من شتى الكتب المؤلفة ، من التفسير ، والحديث ، والتراجم ، والتاريخ ، والادب ، حول العلم والعالم ، لكي يستفيد منه رواد العلم وهواة الفضيلة ولاغنى لاي عالم من علماء الاسلام عن معرفتها :

الجزء الثاني

تأليف

العلامة الكبير والمجاهد المعظم حجة الاسلام

السيد محمود معز الدين

مطبعة النعمان ـ النجف الاشرف تلفون ٩٩٧

BP
193
.M7
v.2

الاهداء

اليك : يا باب خزانة الحكمة الالهية يا من قال النبي صلى الله عليه وآله في حقه ، انا خزانة الحكمة وعلي بابها .

اليك : يا باب مدينة العلوم الربانية ، يامن قال النبي صلى الله عليه وآله في وصفه . انا مدينة العلم وعلي بابها .

اليك : يا من كان صدره وعاءاً للمعارف السبحانية وهو يشير الى صدره الشريف ، ان ههنا لعلما جما ، وان عندي علم الاولين والآخرين ، اما والله لو ثنيت الوسادة ثم أجلست عليها لحكمت بين اهل التوراة بتوراتهم ، وبين اهل الانجيل بانجيلهم وبين اهل الزبور بزبورهم ، وبين اهل القرآن بقرآنهم حتى ينادي كل كتاب بان عليا حكم في حكم الله في :

اليك : يا حبل الله المتين ، يا أمير المؤمنين : عليك افضل صلوات المصلين .

والى عزيز ولدك ، ووارث علمك ، ومعدن حكمك ، وخازن حلمك ، الزائد الاسلامي الكبير المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى الامام السيد الشاهرودي ادام الله ظله الشريف : اقدم كتابي هذا الى سماحته راجيا القبول والله نعم الموفق نحو الخير والصواب .

المؤلف

السيد محمود معز الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، الذي رفع قدر العلماء العاملين ، وفضل مدادهم على دم المستشهدين ، والصلوة والسلام على سيد الخلق اجمعين ، محمد وآله الطيبين الطاهرين : —

وبعد فان اعتقادي في حول المواضيع التي نجب ان تبحث عنها كمثل فن التواريخ ، والتراجم ، والاخلاق ، والآداب ، والتفسير لآيات الله البينات والباقي من المباحث المختلفة المتداولة بين العلماء والكتاب ، هو ان البحث اذا كان عن الجهات التي ترتبط بالعلم والعالم يكون افضل وانفع بالنسبة الى غيره ، لان العلم هو المشعل النير الذي يضيء للجوامع البشرية ، والباعث لزيادة ايمانهم وعقيدتهم ، وفى الحقيقة هو منجي الانسان من المهالك والضلالة والحيرة ويسوقهم نحو الخير والسعادة الابدية ، والعالم ايضاً ، هو يكون اول فرد في جامعة البشرية وهو الذي جلس مجلس الانبياء والاولياء والأئمة المعصومين عليهم السلام ويجري ما اخبره الانبياء عن الله تعالى من الدستورات المتينه والحكم المتقنة ، فاذا البحث عن العلم والعالم اجدر من المباحث الاخرى ، واشار اليه بعض العلماء وقال : —

فان احق ما اودع فى الطرس وتوجهت اليه النفوس من فن التواريخ المحفوظة والسير الملحوظة تواريخ العلماء الاعلام . اذ عليهم مدار العالم من مبدأ نشوء آدم الى يوم الحشر والحساب ، وهم الهداة الى طريق الحق والصواب والادلة على ما ينجى من العقاب ، فكان الواجب على الخلق حفظ تواريخهم وضبط مواليدهم ووفياتهم ونشر آدابهم وسيرتهم ليكون ذلك تذكرة على ممر الاعصار وباعثاً للوقوف على اخبارهم وذريعة للترحم عليهم في اناء الليل والنهار ،

مقام العلم

قال بعض الحكماء : ان العلم شرف للانسان ، وفخر له في جميع الازمان ، وهو العز الذي لا يبلى جديده ، والكنز الذي لا يفنى مزيده ، قدره عظيم وفضله جسيم (١) .

ويكفيك ماورد من الاخبار وأقوال الحكماء والادباء في شأن العلم وفضله ومكانته بحيث لا يمكن لأي انسان ان يجمعها ، فبناء على هذا اننا نكتفي بنقل بعض عباراتهم والاشعار الراقية التي وردت فى الموضوع :

قال بعضهم : العلم سراج البرهان والحجة . وايضاح المنهاج والمحجة البرهان القاطع ، يتبعه الاذعان الساطع .

العلم لمن ترب مال ، ولمن أثرب جمال ، العلم عز رفيع ، وحرز منيع ، العلم للقلب روح ، وللقالب روح ، فخر فى العاجـــل ، وذخر للآجل ، العلم والاحسان من احسن مناقب الانسان ، العلم عين عدها يفيض ، وبكثرة الافاضة لا يغيض .

العلم بالتأني والتعني ، لا بالتمنى والتغنى . العالم من له مقام ، وفيه استقام ، الحكيم تدرس تمثاله ، ولكن تدرس امثاله ، العلم عزة واعزتها المكارم ، والحلم زينة ، وزينته الاكارم .

والعلم راسخة اوتاده ، وشامخة اطواده ، صحبة العالم روح الحياة ،

---

(١) جواهر الادب ج٣ ص١٥ .

والفة الجاهل سم الحيات ، حبذا المعرفة والعلم ، لا سيما مع السكينة والحلم ، الشيء عزيز ما لم يك بعزيز ، والعلم كلما يزيد - عزته تزيد .

علماء الاقطار كخصب البلاد كالامطار . عمل العلم اضاءة السراج ، واراءة المنهاج ، واهداء من هاج ، العالم ليس بالظالم ، وهو ادرى بالمعالم ، العالم الغير العامل ، هلك نفسه حامة ، وأهلك العوام عامة ، العالم هاد بانوار الانفاس وجاد بآثار الانفاس .

العالم عالم بالاكتساب ، لا بالاحتساب او الانتساب ، علم اليقين لا ينفك عن العمل ، وهل يلحس البصير الحأ لعق العسل ، علم الدين سراج المهتدين .

اخبار الاخيار ، اخيار الاخبار بان الزذال من الكمال ، بين الجنوب من الشمال ، العلم فنون جلها اوهام وظنون ، بين مفروض ومسنون ، ومبذول ومضنون ومكشوف ومكنون .

العلم الحقيقي اصول ، وهي ما بلغها الرسول ، وما سواها فصول ومحصول ، ليس المقولات العشر ، من مسؤلات الحشر ، يوم الجزاء لا تسأل عن الجزء لا يتجزى ، ولا تسأل عن السنن والفروض ، لا من اعاريض العروض ، النجوم والحساب ، لا ينجيك يوم يقوم الحساب .

تقويم المذهب ، لا يحصل بالتقويم المذهب .

البحث يوم البعث عن السرائر والاغراض ، لا عن الجواهر والاعراض وعما فعلت من الحو واللو ، لا عن كائنات الجو .

الطب للابدان وهي قشور ، هل حصلت ما ينفع لبك يوم النشور ، الطبيعة والقوة من اسماء لا ادرى ، وارغان اللبيب ، واذعانه بجهله لا يزرى ،

عين لا ترى ما بعد الطبيعة اعور ، والعلم الاعلى لا يلم الا بقلب منور ، كيف تحل الحكمة في الفؤاد ، وهو لحب الدنيا في الف واد . (١)

وقال موفق الدين عبد اللطيف البغدادي : اعلم ان للعلم عبقا (العبق انتشار الرائحة) وعرفا (العرف الريح الطيبة) ينادي على صاحبه ، ونورا وضياءاً يشرق عليه ويدل عليه ، كتاجر مسك لا يخفى مكانه ولا تجهل بضاعته ، وكمن يمشي بمشعل (بقنديل) في ليل مدلهم (مشتد الظلام) والعالم مع هذا محبوب اينما كان ، وكيفما كان لا يجد الا من يميل اليه ويؤثر قربه ويأنس به ويرتاح بمدانانه (بمقاربته) . (٢)

وقال احد الحكماء : ليس يجهل فضل العلم ، الا اهل الجهل ، لأن فضل العلم انما يعرف بالعلم ، وهذا ابلغ من فضله ، لان فضله لا يعرف الا به ، فلما عدم الجهال العلم الذي به يتوصلون الى فضل العلم جهلوا فضله ، واسترذلوا اهله ، وتوهموا ان ما تميل اليه نفوسهم من الاموال المقتناة والطرف المشتهاة اولى ان يكون اقبالهم عليها وأحرى ان يكون اشتغالهم بها ، وقال الشاعر :

جهلت فعاديت العلوم وأهلها كذلك يعادي العلم من هو جاهله (٣)

وقال حكيم آخر : العلم عصمة (اى وقاية) الملوك ، لأنه يمنعهم من الظلم ويردهم الى الحلم ، ويصدهم عن الاذية ، ويعطفهم على الرعية . (٤)

---

(١) الكلم والحكم ص ١١ .

(٢) جواهر الادب ج٣ ص١٤ .

(٣) جواهر الادب ج٢ ص ٩

(٤) جواهر الادب ج٢ ص٠٠ .

قيل ايضاً : من تفرد بالعلم لم توحشه خلوة ، ومن تسلى بالكتب لم تفته سلوة . (١)

وقال بعضهم : العلم حياة القلب ومصباح الابصار واس التمدن وسلم النجاح وركن السعد ومصدر المجد ومعدن العمران . (٢)

عليك بقراءة هذه القصة التاريخية التي تبين لك مقام العلم وشرافته وهي :

الفضل بن الربيع ورجل آخر ، قالا : حج هرون الرشيد وابتدأ بالطواف ومنعت العامة من ذلك لينفرد وحده ، فبينما هو في ذلك اذا ابتدر اعرابي البيت ، وجعل يطوف معه ، فقال الحاجب : تنح يا هذا عن وجه الخليفة فانتهرهم الاعرابي ، وقال : ان الله ساوى بين الناس في هذا الموضع ، فقال : سواء العاكف فيه والباد . فامر الحاجب بالكف عنه فكلما طاف الرشيد طاف الاعرابي امامه ، فنهض الى الحجر الاسود ليقبله فسبقه الاعرابي اليه والتثمه ثم صار الرشيد الى المقام ليصلي فيه ، فصلى الاعرابي امامه ، فلما فرغ هرون من صلاته استدعى الاعرابي فقال الحجاب : اجب امير المؤمنين . فقال : مالي اليه حاجة فاقوم اليه بل ان كانت الحاجة له فهو بالقيام الي اولى . قال : صدق فمشى اليه وسلم عليه ، فرد عليه السلام ، فقال هرون : اجلس يا اعرابي ، فقال : ما الموضع لي فتستأذنني فيه بالجلوس انما هو بيت الله نصبه لعباده فان احببت ان تجلس فاجلس ، وان احببت ان تنصرف فانصرف فجلس هارون . وقال : ويحك يا اعرابي مثلك من يزاحم الملوك ، قال : نعم وفي مستمع ، قال : فاني سائلك فان عجزت اذيتك ، قال : سؤالك

(١) جواهر الادب ج١ ص١٢ - ١٤ . (٢) جواهر الادب ج ١ ص ٦

هذا سؤال متعلم او سؤال متعنت ، قال : بل سؤال متعلم ، قال : اجلس مكان السائل من المسؤل ، وسل وانت مسؤل . فقال هرون : اخبرني ما فرضك ، قال : ان الفرض رحمك الله ، واحد وخمسة وسبعة عشر واربع وثلاثون واربع وتسعون ومأة وثلاثة وخمسون على سبعة عشر ومن اثنى عشر ، واحد ومن اربعين واحد ، ومن مأتين خمس ومن الدهر كله واحد ، وواحد بواحد ، قال : فضحك الرشيد وقال : ويحك اسألك عن فرضك وانت تعد علي الحساب ، قال : اما علمت ان الدين كله حساب ولو لم يكن الدين حسابا لما اتخذ الله للخلائق حساباً ، ثم قرأ (وان كان مثقال حبة من خردل آتينا بها وكفى بنا حاسبين (١) قال : فبين لي ما قلت والا امرت بقتلك بين الصفا والمروة ، فقال الحاجب : تهيبه لله ولهذا المقام قال : فضحك الاعرابي من قوله ، فقال الرشيد : مما ضحكت يا اعرابي قال : تعجبا منكما اذ لا ادرى من الاجهل منكما الذى يستوهب اجلا قد حضر او الذي استعجل اجلا لم يحضر ، فقال الرشيد : فسر ما قلت : قال

أما قولي : الفرض واحد فدين الاسلام كله واحد وعليه خمس صلوات وهي سبع عشرة ركعة واربع وثلاثون سجدة واربع وتسعون تكبيرة ومأة وثلاثة وخمسون تسبيحة واما قولي : من اثنى عشر واحد فصيام شهر رمضان من اثنى عشر شهراً وأما قولي : من الاربعين واحد فمن ملك اربعين ديناراً اوجب الله عليه ديناراً وأما قولي : من مأتين خمسة فمن ملك مائتي درهم اوجب الله عليه خمسة دراهم واما قولي فمن الدهر كله واحد فحجة الاسلام ، واما قولي : واحد من واحد فمن احرق

(١) سورة الانبياء آية ٤٧

دما من غير حق وجب احراق دمه ، قال الله تعالى : (النفس بالنفس (١)) فقال الرشيد : لله درك واعطاه بدرة ، فقال : فبم استوجبت منك هذه البدرة، يا هرون بالكلام او بالمسألة ، قال : بالكلام ، قال فاني سائلك عن مسألة فان اتيت بها كانت البدرة لك تصدق بها في هذا الموضع الشريف وان لم تجبني عنها اضفت الى بدرة اخرى لاتصدق بها على فقراء الحي من قومي فامر بايراد اخرى وقال : سل عما بدالك، فقال : اخبرني عن الخنفسا تزق ام ترضع ولدها فحرد هارون ، وقال : ويحك يا اعرابي مثلي من يسأل عن هذه المسألة ، فقال : سمعت ممن سمع رسول الله صلى الله عليه وآله ، يقول من ولى اقواما وهب له من العقل كعقولهم وانت امام هذه الامة يجب ان لاتسأل عن شيء من امر دينك ومن الفرائض الا اجبت عنها فهل عندك له الجواب ، قال هرون رحمك الله . لا : فبين لي ماقلته وخذ البدرتين، فقال: ان الله تعالى لما خلق الارض خلق دويبات الارض الذي من غير فرث ولادم خلقها من التراب وجعل رزقها وعيشها منه فاذا فارق الجنين امه لم ترزقه ولم ترضعه وكان عيشها من التراب ، فقال هرون : والله ما ابتلى احد بمثل هذه المسألة ، واخذ الاعرابي البدرتين وخرج فتبعه بعض الناس وسأله عن اسمه فاذا هو موسى بن جعفر بن محمد عليهم السلام ، فاخبر هرون بذلك ، فقال : والله لقد كان ينبغي ان تكون هذه الورقة من تلك الشجرة . (٢) -

---

قال المجلسي (ره) قوله عليه السلام ، وفي مستمع ، اي علم يجب ان يستمع اليه .

(١) سورة المائدة ص ٤٤

(٢) بحار الانوار ج ١٠ .

وقال بعض علماء السلف : اذا اراد الله تعالى بالناس خيراً . جعل العلم في ملوكهم ، والملك في علمائهم .

فقلنا في اول البحث : ان كلمات الحكما والعلماء الراجعة في هذا الموضوع لكثيرة . بحيث لايمكن احصاءها . فالآن نعرض قسما من اشعار الشعرا الفصحاء التي وردت في فضل العلم وشرفه . عربية وفارسية .

قال ابو المحاسن :

بالعلم يرقى الفتى ذوى الشرف ... لا بالثرا والنعيم والترف
في صدف البحر عزة وسنا ... منشؤها من جواهر الصدف
ما اكرمت دوحة بلا ثمر ... بلى اذا اينعت لمقتطف
هو النفيس الذي قد افتتنت ... به نفوس الكرام من شغف
قد عشقوا حسنه وبهجته ... عشق بديع الجمال والهيف
الجهل مر يعاف مورده ... والعلم يحلو لكل مرتشف
العلم صبح والجهل جنح دمى ... واين رأد الضحى من السدف
من لم ينل في صباه معرفة ... فهو جدير بدائم الاسف

ومن شعر ثابت بن حسن :

العلم يمنع اهله ان يمنعا ... فاسمح به تنل المحل الا رفعا
واجعله عند المستحق وديعة ... فهو الذي من حقه ان يودعا
والمستحق هو الذي ان حازه ... يعمل به او ان تلقنه وعا

وانشد الخليل بن احمد لنفسه وقال :

رضيت من الدنيا بقوت يقيمني ... ولا ابتغى من بعده ابدا فضلا
واست اروم القوت الا لانه ... يعين على علم ارد به جهلا

قال الشيخ مهدي الساعدي في فضل العلم :

العلم نعم الخل وهو الفخر والعلم للعامل نعم الذخر
فمن حوى العلم حوى السعادة فانه المقود للسيادة
العلم فيه الشان والهداية وفضله فيه صريح الاية
فافخر به والحظ والهداية للمصطفى وصاحب الولاية
العلم لو كان بجوف كلب لكان ذووه مستحق القرب

ونعم ما قاله العلامة الجليل الشيخ عبد المنعم الفرطوسي وفقه دره .

خلد لنفسك مجدا فيه تذكر فالعين تفنى ويبقى بعدها الاثر
والنفس ينشر بالاعمال جوهرها اذا انطوت هذه الاعراض والصور
والعلم اطيب بذر انت تغرسه بتربة النفس كيما يحسن الثمر
ومورد كالنمير العذب منهله للنفس يعذب منه الورد والصدر
مصباح نور به تهدى النفوس اذا اضلها غلس للجهل معتكر
يثقف العقل في ادوار نشأته والعقل كالطفل للتثقيف مفتقر
وصاحب العلم يثرى حين ينفقه وصاحب المال بالانفاق يفتقر
وليس يخلد في الدنيا بثروته ولا بسلطانه مهما علا بشر
فاين غيب (قارون) وزينته واين منه كنوز ليس تنحصر
في حين خلد (لقمان) بحكمته واظهرت فضله الآيات والسور
فلتعتبر ايها الانسان موعظة في كل شيء به الانسان يعتبر

وقال محمود الحبوبي في فضل العلم ومقامه :

سلى لدانك حول (النيل) او (بردى) هل زدن بالعلم الا عفة وهدى

قسا عليهن عصر قد مضى فمضت جهالة ، واحلت بعدهـــا رشدا
فمدن ينجبن جيلا غير ذي وهن ان هن انجبن ما بين الملا ولدا
وان خلعن رداء قد حجبن به فالعلم اضفي عليهن العفاف ردا
ادركن بالعلم ما حاولن من أرب كانت كما الدارى قد مددن يدا

فيا فتاة (العراق) استقبلي زمنا قد جد من فيه للغايات واجتهدا
والمعارف والاداب فابتدري ولا تخافى لنيل العلم منتقدا
ولتعتقدي العلم تاجا تفتخرين به ان يسم راس بتاج فوقه عقدا
لم يغن آنسة حلى تزان به ان فاتها العلم في ناد قد احتشدا

كالآل لم يغن عن ماء تحن له فما يبل ظما في نفسها وصدى
بالبوة (الرافدين) الشعب منتظر ان تنجبي لنضال دونه اسدا
فانت بالعلم لا بالجهل عارفـــة كيف السبيل الى ان تحرمي البلدا
وانت بالعلم ام ذات تربية فضلى ، وذات حياة تألف الرغدا
وانت بالعلم اسمى منك منزلة بين الانام ، وارسى منك معتقدا
وانت بالعلم ازهى في العيون ، وما سيان من راق اخلاقا ومن جمدا
ما الياسمين ذوى عودا لناظره كالياسمين عليه انهل قطر ندى
وانت في الشعب بالاداب ذات فم زاك ، وذات يد تسدى اليه يدا
بالعلم يصبح منه الشمل ملتئما وبالجهالة يمسى شمله بددا
فحققي غر آمال له ، وصلى لتبلغي القصد ، بالبوم الاغر غدا
شعب نصيب العذارى جهلن به شعب نرى نصفه قد ضاع منه سدى
وكيف يسعد حالا من تصح له عين اذا ما تشكت اختها الرمدا

ونعم ما قاله الشيخ عبد العظيم الربيعي وقه دره :

العلم للفضل بناء وللدين والشرع في الارض حقا خير قانون
الفوز رافقه والعقل وافقه وكل نهج عداه غير مأمون
قه سفران هذا سفر تكوين ودفة الفلك فيه سفر تدوين (١)
والرسل ربانه او اوصياؤهم ولتن تسير بفلك غير مشحون
وقد بلينا بعصر غاب قائده فيا نفوس الموالي بعده هوني
الجور والجهل سادا فيه واقترنا ما كان اشبه مقرونا بمقرون
وقد ورثنا كنوز العلم اذ دفنت ورب كنز بدا في العلم مدفون
العلم ينكشف عن وجه الحقيقة اذ يبين الحق فيها خير تبيين
والعلم اعظم مرآة به انطبعت اوامر الشرع من فرض ومسنون

وقال الشاعر الفارسي (نوذر) ونعم ما قال :

منم كه كسب هنر كردن افتخار منست
فراگر فتن علم وهنر شعار منست

براه علم وهنر روز وشب كنم كوشش گواه گفته من عزم استوار منست
زكار خلق گشايم گره اگرچه مدام هزار عقده زغم بر دل فگار منست
سپاه جهل شبيخون بمن نخوا هدزد كه چشم دانش وادراك پاسدار منست
بروزبي كسيم دانشم كند ياري فروغ علم چراغي بشام تار منست

(١) السفر : الكتاب ، وسفر التكوين : عالم الكائنات ، وسفر التدوين : القرآن الكريم : ودفة الفلك سكان السفينة :

در اين كلاس پر از رنج ومحنت اي (نوذر)

فراگرفتن دانش هميشه كار منست

ونعم ما قاله الشاعر الفارسي :

تاج سر جمله هنر هاست علم قفل گشای همه در هاست علم

علم تورا صدر نشاني دهد بلكه قبول دو جهاني دهد

طلب العلم وتعلمه

قال امير المؤمنين علي عليه السلام : يا أيها الناس اعلموا . ان كمال الدين طلب العلم والاخذ به ، الا وان طلب العلم اوجب عليكم من طلب المال ، ان المال مقسوم مظنون لكم قدقسمه عادل بينكم وضمنه وسيفي لكم ، والعلم مخزون عند اهله وقد امرتم بطلبه من اهله فاطلبوه (١)

طلب العلم وظيفة كل انسان في طول حياته وانه لا يختص بطائفة دون قبيلة او شخص دون شخص ، فبناء على هذا لكل شخص من افراد البشر لازم عليه ان يكون راكضاً وماشياً دائماً من وراء العلم وطالبا له الى آخر عمره ، ولا يكون غافلا من تعلمه ساعة لان العمر ينقص بالبطالة واللهو ، وفي النتيجة يتندم ، ولا يفيده من بعد صرفه عمره العزيز ،ولقد اكد في الاخبار تأكيداً شديداً بطلب العلم وتعلمه وكذلك ورد في الموضوع كلمات الحكماء والعلماء والشعراء كثيراً منها :-

قال الله تعالى في السورة السابعة عشر من انجيل : ويل لمن سمع بالعلم فلم

(١) اصول الكافي ج١ ص ٥

بطلبه كيف يحشر مع الجهال الى النار ، اطلبوا العلم ، وتعلموه ، فان العلم ان لم يسعدكم لم يشقكم ، وان لم يرفعكم لم يضعكم ، وان لم يغنكم لم يفقركم ، وان لم ينفعكم لم يضركم ، ولا تقولوا نخاف ان نعلم فلا نعمل ، ولكن قولوا نرجو ان نعلم فنعمل . (١)

قال بعضهم من الحكماء : لا شيء انفس من الحياة ، ولا غبن اعظم من انفادها لغير حياة الأبد .

قال امير المؤمنين علي عليه السلام : فبادروا العلم من قبل تصويح (تشقيق) نبته ، ومن قبل ان تشغلوا بانفسكم عن مستشار العلم من عند اهله . (٢)

قال العلامة الجليل الشيخ عبد المنعم الفرطوسي وفقه الله :

الى متى نبقى على خمولنا ... يغرى بنا الجهل ويلهينا اللعب
ونحن بين امم راقية ... كيانها العلم ودينها الادب
تعلم ان امها مدرسة ... الاداب حقاً ولها العرفان أب
قد حشدت اندية حافلة ... بما لديها من قصيد وخطب
قد طبق الكون صدى عرفانها ... فكل سمع وبه منه لجب
ومعشرى على الجمود عاكف ... لم يتخذ الى رقيه سبب
من شيبه المصاب قد سرت الى ... شبابه الخامل حكمة الجرب
وهل بدون العلم تهدى امة ... الى صوابها وتدرك الأرب

هبوا شباب الرافدين للعلى ... واسترجعوا من مجدكم ماقد سلب

(١) تفسير مفاتيح الغيب ج٢ ص١٨٩

(٢) شرح نهج البلاغة للقزويني ج١ ص٣٦٣

وانتهزوا الفرصة في اوانها　　فليس راجعا لنا ما قد ذهب
فهذه بلادكم قد عقدت　　عليكم آمالها ولم تخب
فانتم خير شباب ناهض　　الى اقتناء المكرمات قد وثب
وانتخبوا للشعر خير معرض　　يحفل في آثار دولة الادب
وجددوا سوق عكاظ بينكم　　بما لديكم من قصيد منتخب
واجتنبوا كل سقيم هازل　　لا رائع ولا مثير للغضب
يمجه الذوق مع الطبع وفي　　سماعه نفس الاديب تغتصب
فاجمل القريض ما لو شئت ان　　تمسكه من اللطافة انسكب
ما جاء عن عاطفة ثائرة　　عفوا بلاتكلف ولا تعب (١)

وقال احد الحكماء : علم علمك من يجهل ، وتعلم ممن يعلم ، فاذا فعلت ذلك حفظت ما علمت ، وعلمت ما جهلت .

قال الشاعر وفقه دره :

تعلم ما استطعت بحيث تسعى　　فان العلم زين للرجال
وان العلم في الدنيا جمال　　وفى العقبى تنال به المعالى

وقال آخر :

ولكل طالب لذة متنزه　　ولذ نزهة عالم في كتبه

قيل : تعلم العلم تكن فى نفسك كبيرا ، وفي قومك اميرا : ـ

جاء فى الحديث : لا يزال الرجل عالما ما طلب العلم ، فاذا ظن انه قد علم فقد جهل .

---

(١) ديوان الفرطوسي ج ١ ص ٣٢٥

قال احد الادباء : ينبغي لمن زهد في العلم ان يكون فيه راغبا ، ولمن رغب فيه ان يكون له طالباً ، ولمن طلبه ان يكون منه مستكثرا ، ولمن استكثر منه ان يكون به عاملا .

وقال عروة ابن الزبير : يا بني اطلبوا العلم، فان تكونوا صغارا لايحتاج اليكم فعسى ان تكونوا كبارا ، لا يستغنى عنكم .

وقال منصور لشريك : اني لك هذا العلم ، قال : لم ارغب عن قليل استفيده ولم ابخل بكثير افيده :

ونعم ما قاله الشاعر العربي :

عاب التعلم قوم لا عقول لهم وما عليه اذا عابوه من ضرر
ماضر شمس الضحى والشمس طالعة ان لايرى ضوؤها من ليس ذا بصر

وقال ابو العتاهية :

من لزم الصمت نجا من قال بالخير غنم
من صدق الله علا من طلب العلم علم
من ظلم الناس أسا من رحم الناس رحم
من طلب الفضل الى غير ذوي الفضل حرم
من حفظ العهد وفا من احسن السمع فهم

قال بعض العلماء : لا تمتنع من طلب العلم لكبرسنك واستحيائك من تقصيرك فى صغرك ، فان ذلك من خداع الجهل وغرور الكسل ، ولان تكون شيخاً متعلماً اولى من ان تكون شيخاً جاهلا .

ذكر فى التاريخ : ان ابراهيم بن المهدي دخل على المامون وعنده جماعة يتكلمون فى الفقه ، فقال : ياعم ما عندك فى ما يقول هؤلاء : فقال : يا أمير

المؤمنين ، شغلونا فى الصغر واشتغلنا في الكبر . فقال : لم لا تتعلمه اليوم ، قال : اويحسن بمثلي طلب العلم ، قال : نعم ، والله لان تموت طالبا للعلم خير من ان تعيش قانعاً بالجهل . قال : والى متى يحسن بي طلب العلم . قال : ماحسنت بك الحياة . (١)

وقال العلامة الشيخ عبد المنعم الربيعي في ديوانه :

هو العلم فاطلبه بجهدك ترشد الى كل خير واعملن فيه تسعد
ويكفيه فضلا ان بالقسط اهله مع الله قد قاموا بغير تردد

قال سقراط الحكيم : تعلموا العلم ، فان لم تنالوا به من الدنيا حظا ، فلان يذم الزمان لكم احب الى من ان يذم الزمان بكم .

قيل لحكيم : ما حد التعلم والتأدب ، فقال : حد الحياة ، اي يجب له ان يتعلم ويتأدب ما دام حيا .

وفي الحديث الشريف المعروف : اطلب العلم من المهد الى اللحد :—

ونعم ما قيل في الفارسية في هذا المعنى : زگهواره تا گور دانش بجوى :—

قيل لانو شيروان : ايحسن بالشيخ ان يتعلم ، قال : ان كانت الجهالة تقبح به ، فالتعلم يحسن به ، فقيل : والى متى يحسن منه ، فقال : ما حسنت به الحياة —

ونعم ما قال الشاعر العربي :

بنى اجتهد فى اقتناء العلوم وفز باجتناء ثمار المنى
الم تر في رقعة بيد قا اذا جد في سيره فزنا

(١) جواهر الادب ج٣ ص١٦

وانشد بعضهم مخاطباً لابنه وناصحاً له .

تعلم يا بنى العلم وافقه وكن في الفقه ذا جهد ورأى
ولا تك مثل جهال تراه على مر الزمان الى ورائي

وقال بعض العلماء منشداً لنفسه :

طلب العلم والقناعة شأني لست ابغي سواهما فى الزمان
فاذا ما قنعت صرت غنياً واذا ما علمت نلت الاماني

قال ابن خيام في شعره الفارسي :

زماني بحث ودرس وقيل وقالى كه انسان را بود كسب كمالي
زماني شعر وء شطرنج وحكايات كه خاطر را بود دفع ملالي

وقال بعضهم في الفارسية ونعم ما قال :

دل زنده بعلم بايد ارنه از جنبش جانور چه خيزد
تن راچو برهنه داري از علم از كسوت شوشتر چه خيزد
تن را بعلوم پر ورش ده اى مرد، زخواب وخورچه خيزد
دانش طلب از درم چه آيد معنى نگر از صور چه خيزد

احمد بن عبد القادر تاج الدين النحوي : اخذ النحو عن البهاء بن النحاس ولازم ابا حيان دهرا طويلا ، واخذ عن السروجي وغيره ، وتقدم فى الفقه والنحو واللغة ، ودرس وناب فى الحكم ، وكان سمع من الدمياطي اتفاقاً قبل ان يطلب ، ثم اقبل على سماع الحديث ونسخ الاجزاء فاكثر عن اصحاب النجيب وابن علاق ، وقال في ذلك : (١)

وعاب سماعي للحديث بعيدما كبرت اناس هم الى العيب اقرب

(١) بغية الوعاة ج١ ص٣٢٧

وقالوا امام فى علوم كثيرة　　يروح ويغدو سالما يتطلب
فقلت عجيباً عن مقالتهم وقد　　غدوت للجهل منهم اتعجب
اذا استدرك الانسان ما فات من علا　　فلا جزم يعزى لا الى الجهل ينسب

ومن شعر الحميدي :

لقاء الناس ليس يفيد شيئاً　　سوى الهذيان من قيل وقال
فاقلل من لقاء الناس الا　　لاخذ العلم او اصلاح حال

قال بعض شعراء الفرس :

علمى كه ترا بطاعت آرد بطلب　　علمى كه ترا بحق رساند بطلب
علمى كه ترا باز ندارد ز گناه　　تحقيق بآتشت رساند مطلب

قال بعضهم : لا يقنع الرجل من العلم بما ادرك ، لان القناعة فيه زهد ، والزهد فيه ترك ، والترك له جهل .

حكى ان بعض الحكماء راى شيخاً كبيراً يحب النظر في العلم . ويستحي ، فقال له : يا هذا اتستحي ان تكون في آخر عمرك افضل مما كنت في اوله .

قال احد الفصحاء : ينبغي لمن استدل بفطرته على استحسان الفضائل واستقباح الرذائل ان ينفى (اى يبعد) عن نفسه رذائل الجهل بفضائل العلم وغفلة الاهمال باستيقاظ المعاناة (اي المقاساة والمعالجة) ويرغب في العلم رغبة متحقق لفضائله واثق بمنافعه ، ولا يلهيه عن طلبه كثرة مال وجده ولا نفوذ امر وعلو منزلة ، فان من نفذ امره فهو الى العلم احوج ومن علت منزلته فهو بالعلم احق . (١)

(١) جواهر الادب ج٢ ص ١٥

قال اديب : عليك بالعلم والاكثار منه ، فان قليله اشبه شيء بقليل الخير ، وكثيره اشبه شيء بكثيره .

ولقد انشد عمرو بن بحر الحافظ الصالح بن جناح في العلم وتعلمه :

تعلم اذا ما كنت ليس بعالم فما العلم الا عند اهل التعلم
تعلم فان العلم زين لاهله ولن تستطيع العلم ان لم تعلم
تعلم فان العلم ازين للفتى من الحلة الحسناء عند التكلم
ولا خير فيمن راح ليس بعالم بصير بما يأتي ولا متعلم

قال مصعب بن الزبير : تعلم العلم ، فان يكن لك مال كان لك جمالا ، وان لم يكن لك مال كان لك مالا .

قال عبد الملك بن مروان لبنيه : تعلموا العلم فان كنتم سادة فقتم وان كنتم وسطا سدتم ، وان كنتم سوقة عشتم ، (السوقة ، الرعية من الناس ، اى العامة الذين عليهم راع)

قال بعض البلغاء : تعلم العلم ، فانه يقومك ويسددك (اى يرشدك الى السداد اى الصواب) صغيرا ، ويقدمك ويسودك كبيرا ، ويصلح زيغك (الزيغ الميل عن الحق) ويرغم عدوك وحاسدك ، ويقوم عوجك وميلك ، ويصحح همتك واملك .

قال امية بن الوردي في لاميته :

اي بني اسمع وصايا جمعت حكما خصت بها خير الملل
اطلب العلم ولا تكسل فما ابعد الخير على اهل الكسل
واحتفل بالفقه في الدين ولا تشتغل عنه بمال وخول
واهجر النوم وحصله فمن يعرف المطلوب يحقر ما بذل

لا تقل قد ذهبت ايامه كل من سار على الدرب وصل
فى ازدياد العلم ارغام العدى وجمال العلم اصلاح العمل
جمل المنطق بالنحو فمن يحرم الاعراب بالنطق اختبل
انظم الشعر ولازم مذهبي في اطراح الرفد لاتبع النحل
فهو عنوان على الفضل وما احسن الشعر اذا لم يبتذل

وقال ملك الهند لبنيه : يا بني اكثروا من النظر في الكتب وازدادوا في كل يوم حرفا ، فان ثلاثة لا يستوحشون في غربة ، الفقيه العالم ، والبطل الشجاع ، والحلو اللسان الكثير مخارج الرأي .

قال احمد شوقي :

ايها الطالب للعلم استمع خير ما في طلب العلم جمع
هو ان اوتيته اسنى النعم هل ترى الجهال الا كالنعم
اطلب العلم لذات العلم لا لظهور باطل بين الملا
عند اهل العلم للعلم مذاق فاذا فاتك هذا فافتراق
طلب المحروم للعلم سدى ليس للاعمى على الضوء هدى
فاذا فاتك توفيق العليم فامتنع عن كل تحصيل عقيم

لقد احسن بعض الحكماء فى مقاله حيث وصف العلم وقال: ابتغاء المعالى مكسبة الاعالى ، ومنصبة ذى الشرف المتعالى .

ينبغي ان يكون من يبتغي العلم ذا ذكاوة وقادة . وهمة ابية ، ونسمة زكية ، يا محصل الكمال اجهد في الاستكمال ، احتمل المتاعب ، نل المحامد والمناقب .

اكثار القيل والقال ، لا يخلو عن الغل والقال ، اخو الفطنة ، لا يهمل

سدى ذهنه .

المدارس بتشييد الدروس ، تشيد مأمونة من الدروس ؛ اغتنموا الفرصة يا صحاب فانها تمر مر السحاب ، اعتلاء الافاضل ، لأحتواء الفضائل للعلم اصل راسخ ، وفرع شامخ .

صاحب الملائق ، للتعلم غير لائق ، سماع الاغاني (اسم كتاب) يشغل الاديب عن استماع الاغاني .

دونك الاضابير ، واساطير الاضاميم ، وتحمل الضوابط والتأمل فى الروابط عليك بالسهر في السحرة والسحر ، فى سواد الانقس ، بياض غرة الانقس ، العلم المسود ، الى آخر القرون مفقود ، دواء النسيان التكرار وصفاء الاذهان فى الاسحار ، الذاهل يشتبه بالجاهل . اثر الدروس كالنقوش في النفوس ، البطنة تميت الطبنة ؛ اقدم على التعلم ولا تتكل ، وان اصعب الامر واشكل .

من رام المعالي ، لا ينام الليالي ، من الى العلم ينتسب ، يرتزق من حيث لا يحتسب ، سؤال السائل مفتـــاح فهم المسائل ، السؤال مرآة العلم ، والعلم مشكوة الحكم ، للاعراب قسط من التفسير ، وللصرف حظ من الاكسير .

صبرا على تعيير اللئام والتألم ، واحتسب عند الله ما تصرف فى التعلم ؛ في زماننا العالم المال اعز من القوت الحلال ، كل يوم من السويق كفا يكفيك وعن الم الجوع يكف كفا ، ان تتوقع من الله الانعام ، لم تأكل مأكل الانعام ، خذ الكتاب حدثك وانسك ، وخلصك وجلسك ، كم من عمائم عالية ، على جماجم خالية ، او على بهائم حالية ، المناعة والعفاف

فى القناعة وبالكفاف .

من ادعى انه العليم ، بكل لسان لبم ، فلينظر قصة الخضر والكليم ، وليذعن ان (فوق كل ذي علم عليم) من علمك بالتعظيم اولى . كان اسن منك اولا ، العفيف يقنع بالطفيف ، اذا حدثت اثبت ، وان حدثت اصمت . الحديث كالمليث عجبن من القديم والحديث .

لا يفرق محب العلم في طلبه الليل من اليوم ، ولا اليقظة من النوم ، القناعة بالموجود ، من الطاعة لمعطي الموجود ، اليوم في طلب الوجيبة والوظيفة والليل مع الوصيفة ، او ملقى كالجيفة . احسبك هذه من الصالحات الشريفة اللائي في الملة المنيفة . قل من بلغ بالتدريس ، علو مقام ادريس ان تطمع فى الكرامة . قم الليل وقل للكرامة ، الام انت من العباد متكاره ، او ما سمعت ان الجنة حفت بالمكاره . ثبات العمل بالعلم ، كما ان ثبات العلم بالحلم الذي من سكره لايفيق ، كيف يدري ما التوفيق ، الحقيق بالمكرمة ، من لم يعرف المكرمة ، ربح الحبر من القرطاس والحبر .

رب من ظننته جمال الدين ، تكشف لي عن جمال الذين ، علم الشريعة للوصول الى السعادة خير ذريعة . طوبي لعالم مطاع ، او متعلم واع .

من اشتغل بالله شغله عما سواه . حفظ الاصول تقريب للوصول ، الشادي يجب ان وحد شجبه ، ويأكل وجبه ، ويجتنب عجبه ، وان يسبق في البكور على افراخ الوكور ، بطو الفراغ ، يسترخى الدماغ ، كما ان من شدة الاشتغال ، يحترق بالاشتعال ، بعد العلم العمل وعمدة العمل بعد ما كمل . —

ايها الواعظ ، انت احرى بتلك المواعظ ، لم تقول ما لا تفعل ، وتأمر

بما لا تعمل أما انت ايها المتعظ . بقوله الصواب فاتعظ ، كم من نباح يهدى ، ومن ضباح يجدى . (١)

ثواب طلب العلم

قال النبي صلى الله عليه وآله : من تعلم مسألة واحدة قلده الله يوم القيامة الف قلايد من النور ، وغفر له الف ذنب وبنى له مدينة من ذهب وكتب له بكل شعرة على جسده حجة . (٢)

حينما نراجع اخبار اهل بيت الوحي والعصمه عليهم السلام نرى ان ثواب طلب العلم لايعد ولا يحصى والشخص الذي يطلب العلم يصل اعلى الدرجات الرفيعة والمقامات المتعاليه من الكرامة والعزة عند الله تعالى وان طلب العلم يحسب في الشرع المقدس من احسن ملكات الفاضلة الانسانية وليس عمل يقابله من حيث الفضيلة والمثوبة والاخبار الواردة الدالة على الثواب لمن الذين يبادرون الى تحصيل العلوم الدينية لكثيرة جداً واننا نشير الى بعض منها .

عن النبي صلى الله عليه وآله . انه قال : من اغبرت قدماه فى طلب العلم ، حرم الله تعالى جسده على النار ، واستغفر له ملكاه ، وان مات في طلبه مات شهيدا ، وكان قبره روضة من رياض الجنة ، ويوسع له في قبره مد بصره ، وينور على جيرانه اربعين قبراً عن يمينه ، واربعين قبراً عن يساره ، واربعين عن خلفه ، واربعين عن امامه . (٣)

(١) الكلم والحكم ص١٤

(٢) بحار الانوار ج١ ص٥٨

(٣) تفسير مفاتيح الغيب ج٢ ص ١٨٩

عن الصادق عليه السلام عن ابيه عن آبائه عليهم السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك به طريقاً الى الجنة ، وان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضى به ، وانه يستغفر لطالب العلم من في السماء ومن فى الارض ، حتى الحوت فى البحر ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر وان العلماء ورثة الانبياء ، ان الانبياء لم يورثو دينارا ولا درهما ولكن ورثوا العلم فمن اخذ منه اخذ بحظ وافر . (١)

عن علي بن الحسين عليهما السلام ، كان اذا جاء طالب علم ، قال : مرحباً بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم يقول : ان طالب العلم اذا خرج من منزله لم يضع رجله على رطب ولا يابس من الارض الا سبحت له الارضين السابعة . (٢)

عن النبي صلى الله عليه وآله ، من تعلم بابا من العلم عمل به او لم يعمل كان افضل من ان يصلي الف ركعة .(٣)

وفى الخبر ايضاً : ان الملائكة لتفرش اجنحتها لطالب العلم ، وان خرج من بيته يطلب علما شيعه سبعون الف ملك يستغفرون له . (٤)

قال الشافعي : لطلب العلم افضل من الصلوة النافلة : (٥)

---

(١) بحار الانوار ج١ ص ٥٤

(٢) نفس المصدر ج١ ص ٥٥

(٣) مئن الرحمن ج ٢ ص ١٠٧

(٤) نفس المصدر ج ٢ ص١٠٧

(٥) جامع بيان العلم وفضله ج١ ص٢٥

قال سفيان الثورى : ما من عمل افضل من طلب العلم ، اذا صحت النية . (١)

روي ان النبي صلى الله عليه وآله ، قال لابي ذر : من خرج من بيته يلتمس بابا من العلم كتب الله له بكل قدم ثواب بني من الانبياء ، واعطاه الله لكل حرف يسمع او يكتب مدينة في الجنة .

وطالب العلم احبه الله واحبه الملائكة واحبه النبيون ، ولا يحب العلم الا السعيد ، وطوبى لطالب العلم يوم القيامة ، ومن خرج من بيته يلتمس بابا من العلم كتب الله له بكل قدم ثواب شهيد من شهداء بدر .

وطالب العلم حبيب الله ومن احب العلم وجبت له الجنة ويصبح ويمسى في رضى الله ، ولا يخرج من الدنيا حتى يشرب من الكوثر ويأكل ثمرة الجنة ولا يأكل الدود جسده ويكون فى الجنة رفيق الخضر عليه السلام وهذا كله تحت هـــذه الآية ﴿ يرفع الله الذين آمنو منكم والذين اوتوا العلم درجات ﴾ . (٢)

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من جاءه اجله وهو يطلب العلم ، لقى الله ولم يكن بينه وبين النبيين الا درجة النبوة . (٣)

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : وان لطالب العلم شفاعة كشفاعة الانبياء ، وله في جنة الفردوس الف قصر من ذهب ، وفي جنة الخلد

(١) جامع بيان العلم وفضله ج١ ص٢٥

(٢) منن الرحمن ج ٢ ص١٠٧

(٣) الترغيب والترهيب ج١ ص٤٦

مائة الف مدينة من نور ، وفي جنه المأوى ثمانون درجة من ياقوتة حمراء وله بكل درهم انفقه في طلب العلم حورا بعدد النجوم وبعدد الملائكة ، ومن صافح طالب العلم حرم الله جسده على النار . (١)

عن صفوان بن عسال المرادي ، قال : اتيت النبي صلى الله عليه وآله وهو في المسجد متكيء على برد له احمر ، فقلت له : يا رسول الله صلى الله عليه وآله اني جئت اطلب العلم ، فقال : مرحباً بطالب العلم ، ان طالب العلم تحفه الملائكة باجنحتها ثم يركب بعضهم بعضا حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب . (٢)

عن سخبرة ، قال مر رجلان على رسول الله صلى الله عليه وآله : وهو يذكر فقال : اجلسا فانكما على خير ، فلما قام صلى الله عليه وآله وتفرق عنه اصحابه ، قاما فقالا : يا رسول الله (ص) انك قلت لنا اجلسا فانكما على خير ، ألنا خاصة ام للناس عامة ، قال : مامن عبد يطلب العلم الا كان كفارة ما تقدم . (٣)

قال الشيخ مهدي الساعدي في ثواب طلب العلم :

العلم لو كان بجوف كاب لكان ذووه مستحق القرب
من الأله وعظيم الشأن محمد المبعوث للبيان
فهو عظيم وجليل القدر حامله مأول للذكر
كالعلم بالحكم ما فيه شرف كم نيل فيه غرف فوق غرف

(١) منن الرحمن ج٢ ص١٠٨

(٢) الترغيب والترهيب ج١ ص٤٦

(٣) نفس المصدر ج١ ص٤٧ .

ان ثواب ساعة المشاهد فيه ثواب اربعين عابـــد
ممن غدى كالشن في العبادة لم يدرك العالم في السعادة
حيث من الله بالعناية كما به قد جائت الرواية
ان للمراء والجدال يطلب فالعلم والمعلوم عنه يسلب
ودق في النار على الخيشوم لا خير في العلم ولا المعلوم
تعسالذى المراءفي هذاالشرف فانه يحرم هاتيك الغرف

عن قبيصة بن المخارق ، قال : اتيت النبي صلى الله عليه وآله فقال : يا قبيصة ما جاء بك ، قلت : كبرت سنى ورق عظمي فاتيتك لتعلمني ماينفعني الله تعالى به ، فقال : يا قبيصة ، ما مررت بحجر ولا شجر ولا مدر الا استغفر لك ، يا قبيصة ، اذا صليت الصبح فقل : ثلاثا سبحان الله العظيم وبحمده تعاف من العمى . والجذام ، والفلج ، يا قبيصة ، قل اللهم اني اسألك مما عندك وافض من فضلك وانشر على من رحمتك وانزل علي من بركاتك . (١)

قال ابو عبد الله عليه السلام : طلب العلم فريضة

وجوب طلب العلم من فرائض الله . (٢)

يقول علماء اصول الفقه : ان مقدمة الواجب واجبة كالصلوة مثلا اذ لايجوز للانسان ان يأتي بها وهو لا يكون طاهرا شرعياً (اي متوضئاً) ومن المعلوم أن الطهارة الشرعية تكون مقدمة للصلوة التي

(١) الترغيب والترهيب ج١ ص٥٢

(٢) لآلى الاخبار ج ٢ ص٢٤١

يجب على كل انسان مكلف ان يأتي بها كل يوم مرات عديدة معينة ،

فكذلك العلم انه يكون مقدمة لجميع اعمال الانسان الواجبة عليه ان يأتي بها في طول حياته ، فمثلا ان شخصاً وصل حد التكليف ، فاول واجب يتعلق عليه هو معرفه الله تعالى وبعده معرفة احكامه وقوانينه ، وجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله ، من الفروض ، فاذا لم يكن الشخص عالما بواجباته فان اعماله التي تأتي بها لا تفيده لأنها ليست مسبوقة بالعلم ، فاذا يجب على كل فرد مسلم تعلم العلوم التي تتكى عليها اعماله ، والاخبار التي تدل على وجوب طلب العلم لكثيرة .

عن ابي عبد الله عليه السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : طلب العلم فريضة على كل مسلم ، الا ، ان الله يحب بغاة العلم (١)

قال المولى محمد صالح المازندراني ، في شرح هذا الحديث الشريف :

اختلف الناس فى العلم الذي هو فرض على كل مسلم ، فقال الفقهاء : هو علم الفقه المشتمل على كيفية الصلوة والصوم وسائر العبادات والمعاملات التي بها يتم نظام الخلق في الدين والدنيا .

وقال المتكلمون : هو علم الكلام الباحث عن الله تعالى وعن صفاته وما ينبغى له وما يمتنع عليه .

وقال المفسرون والمحدثون : هو الكتاب والسنة ، اذ بهما يتوصل الى العلوم كلها .

وقال المتصوفة : هو علم الشهود وعلم السلوك .

فقال بعضهم : هو علم العبد بحاله ومقامه من الله وعند الله .

---

(١) اصول الكافي ج١ ص٥٤ باب فرض العلم .

وقال بعضهم الاخرون : هو علم الباطن ، يعني العلم بالاخلاق وآفات النفوس وتمييز لمة الملك من لمة الشيطان ، فكل حزب خصوه بما هو المعروف عندهم ، وكل حزب بما لديهم فرحون .

والحق ان تعميم الفرض بحيث يشمل العيني والكفائي وتعميم العلم بحيث يشمل اصول الدين وفروعه وتعميم الطلب بالاستدلال ، والطلب بالتقليد انسب بالمقام ، لان التخصيص خلاف الظاهر .

وتوضيح المقصود ان كل مسلم مكلف بسلوك صراط الحق . فوجب عليه معرفة الحق وصفاته ومعرفة الرسول والصراط اعني الدين والاحكام العينية والكفائية والاخلاق الموجبة للقرب منه تعالى والرذائل المؤدية الى البعد عنه كل ذلك اما بالاستدلال ان كان من اهله او بالتقليد ان لم يكن ، الى ان يقول (ره) .

وانما خص المسلم بالذكر مع ان طلب العلم فرض على كل احد لانه القابل دون غيره ولان غيره لكونه بمنزلة الحشرات غير قابل لتوجه الخطاب اليه (الا ان الله يحب بغاة العلم) البغاة جمع الباغي وهو الطالب من بغاه اذا طلبه ، وألا حرف يفتتح به الكلام للتنبيه عند الاهتمام بمضمونه وان واسمية الجملة من المؤكدات لمضمونها ففيه مبالغة من وجوه شتى في محبة الله تعالى لطلبة العلم ، والمحبة على تقدير صحة تفسيرها على الاطلاق بميل القلب الى ما يوافقه يكون المراد بها هنا ارادة الاحسان والانعام والافضال أنا فأنا ، او على سبيل الاستمرار ، او نفس الاحسان والانعام والافضال فهي على الاول صفة ذات وعلى الثاني صفة فعل (١)

(١) شرح اصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج١ ص ٤ .

وجاء ايضاً فى الموضوع روايات كثيرة ، منها :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة . (١)

قال في آداب المتعلمين : والمراد من العلم هنا علم الحال اى العلم المحتاج اليه في الحال الموصل الى النفع في المال ، كما يقال : افضل العلم علم الحال وافضل العمل حفظ المال . (٢)

قال النبي صلى الله عليه وآله : طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة . (٣)

انما معناه طلب علم لا يسع جهله ، من علم التوحيد واصول الامر والنهى والفرق بين الحلال والحرام اذ لا غاية لسائر العلوم بعد ذلك .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ايضاً : اطلبوا العلم ولو بالصين ، فانه فريضة على كل مسلم (٤)

وايضاً روى عن النبى صلى الله عليه وآله ، انه قال : طلب العلم فريضة على كل مسلم ، فاطلبوا العلم من مظانه ، واقتبسوه من اهله ، فان تعليمه لله حسنة ، وطلبه عبادة ، والمذاكرة به تسبيح ، والعمل به جهاد ، وتعليمه من لا يعلمه صدقة ، وبذله لاهله قربة الى الله تعالى لانه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل الجنه والنار ، والمؤنس في الوحشه ، والصاحب في الغربة

---

(١) آداب المتعلمين ص١ .

(٢) نفس المصدر ص ١ .

(٣) اوراد الاحباب وفصوص الاداب ج٢ ص ٤٣

(٤) لآلى الاخبار ج٢ ص٢٤١

والوحدة ، والمحدث في الخلوة ؛ والدليل على السراء والضراء ، والسلاح على الاعداء والزين عند الاخلاء . «١»

عن ابي عبد الله عليه ، قال السلام طلب العلم فريضه «٢»

قال المولى محمد صالح المازندراني : في شرح هذا الحديث الشريف ايضاً .

قيل فرض طلب العلم ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية ، اما الاول فهو يختلف باختلاف الاشخاص فالفقير يجب عليه معرفة الفروع العينية مثل الصوم والصلاة والوضوء والغسل وما يفسدها ، ومعرفة الحلال والحرام والخبيث والطاهر ، والغني الذي يجب عليه الحج والزكوة يجب عليه مايجب على الفقير مع زيادة وهي معرفة احكام الحج والزكوة والتاجر يجب عليه معرفة ما يصح به العقود وما يفسدها وكذلك كل من عمل عملا يجب عليه تعلمه علم ذلك العمل . واما الثاني .

فهو معرفة الفروع الكفائية وتحصيل العلم بحيث يصير مجتهداً ، فانه فرض كفاية لا فرض عين فاذا وجد مجتهد في بلد او ناحية سقط الفرض عن الباقين وان لم يجد عصى اهل تلك الناحية حتى يصير واحد منهم مجتهداً .

وقال الغزالي العلم ينقسم الى علم معاملة وعلم مكاشفة وليس المراد بهذا العلم يعني الذي وجب تعلمه الا علم المعاملة والمعاملة التي كلف العبد العمل بها ثلاث : اعتقاد . وفعل ، وترك ، فاذا بلغ الرجل في ضحوة النهار مثلا ، فاول واجب عليه تعلم كلمتي الشهادتين وفهم معناهما ولو بالتقليد . فاذا

---

(١) لآلى الاخبار ج٢ ص٢٤١

(٢) شرح اصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج٢ ص٤

فعل ذلك فقد ادى ما هو الواجب عليه في هذا الوقت عينا ولو مات حينئذ مات مطيعاً ، ولا يجب عليه غير ذلك ولو وجب فانما يجب لعارض يعرض وليس ذلك ضروريا فى حق كل شخص ، بل يتصور الانفكاك عنه وتلك العوارض ، اما ان يكون في الفعل ، واما في الترك ، واما في الاعتقاد .

اما الفعل ، فبان يعيش من ضحوة النهار الى زوال الشمس فيجب عليه عند الزوال تعلم الطهارة والصلاة ، ولو علم ان لا يتمكن بعد الزوال من تمام التعلم والعمل فى الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم لم يبعد القول بوجوب تقديم التعلم والعمل فى الوقت ، وهكذا في بقية الصلوات ، فان عاش الى شهر رمضان تجدد بسبب دخوله وجوب تعلم الصوم وكيفيته ، فان تجدد له مال وجب عليه تعلم علم الزكاة ، لكن لا في الحال بل عند تمام الحول ، وكذا الكلام في الحج والجهاد وغيرهما من من الواجبات التي هي فروض الاعيان .

واما الترك ، فيجب عليه علم ذلك بحسب ما يتجدد من الاحوال ، وذلك يختلف باختلاف الشخص فلا يجب على الاعمى تعلم ما يحرم من النظر ولا على الابكم تعلم ما يحرم من الكلام ولا على البدوي تعلم ما لا يحل الجلوس فيه من المساكن.

واما الاعتقاد واعمال القلوب فيجب تعلمها بحسب الخاطر فان خطر له شك في المعاني التي دلت عليها كلمة الشهادة وجب عليه تعلم ما يتوصل به الى ازالة الشك ، فان لم يخطر له ذلك ومات قبل ان يعتقد ان كلام الله قديم او حادث الى غير ذلك مما يذكر فى المعتقدات فقد مات على الاسلام اجماعاً ، هذا حاصل كلامه :

واورد عليه بان تخصيص ذلك العلم الذي وجب تعلمه بعلم الاعمال والمعاملات دون غيره من العلوم التي لا تتعلق بعمل اوكيفية عمل ليس بموجه ، لأن العلم بوحدانيته تعالى وبراءته من النقائص كلها يجب طلبه واكتسابه ، وكذا العلم بكيفية صفاته وافعاله وملائكته وكتبه ورسله ، واحاطته بالاشياء كلها علماً وحفظاً ، وكذا العلم باحوال النفس وصفاتها واحوالها ونشأتها وخلقها وبعثها الى الله تعالى في النشأة الاخرة وسعادتها وشقاوتها مما يجب تعلمه وطلبه على كثير من الناس ولا يلزم ان يكون العلم الذي وجب تعلمه على كل مسلم علما واحـداً بعينه هو الواجب على الآخر . (١)

التفقه في الدين

قال الله العزيز الحكيم : وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهـــم يحذرون . (٢)

النزول : قيل كان رسول الله صلى الله عليه وآله ، اذا خرج غازيا لم يتخلف عنه الا المنافقون والمعذرون فلما انزل الله تعالى عيوب المنافقين وبين نفاقهم في غزاة تبوك ، قال المؤمنون : والله لا نتخلف عن غزاة يغزوها رسول الله (ص) ، ولا سرية ابدا فلما امر رسول الله (ص) بالسرايا الى الغزو نفر المسلمون جميعاً وتركوا رسول الله (ص) وحده

(١) شرح اصول الكافي لمولى محمد صالح المازندراني ج٢ ص٦

(٢) سورة التوبة ص١٢٢

فانزل الله سبحانه ، (وما كان المؤمنون لينفروا) الآية عن ابن عباس في رواية الكلبي :

وقيل : انها نزلت في ناس من اصحاب رسول الله (ص) خرجوا في البوادي فاصابو من الناس معروفاً وخصبا ودعوا من وجدوا من الناس على الهدى ، فقال الناس : ما نراكم الا وقد تركتم صاحبكم وجئتمونا فوجدوا في انفسهم من ذلك حرجاً واقبلوا كلهم من البادية حتى دخلوا على النبي صلى الله عليه وآله ، فانزل الله عز وجل هذه الآية ، عن مجاهد . (١)

﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة ﴾ اي ما كان شأن المؤمنين ولا مما يطلب منهم ان ينفروا جميعاً في كل سرية تخرج للجهاد ، فانه فرض كفاية متى قام به بعض سقط عن الباقين ، لا فرض على كل شخص ، وانما يجب ذلك اذا خرج الرسول واستنفرهم للجهاد .

﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ﴾ اي فهلا نفر للقتال من كل فرقة كبيرة منهم كاهل بلد او قبيلة طائفة وجماعة ليتسنى لهم ، اي للمؤمنين فى جملتهم التفقه في الدين . بان يتكلف الباقون فى المدينة الفقاهة في الدين بما يتجدد نزوله على الرسول صلى الله عليه وآله من الأيات ومايكون منه صلى الله عليه وآله من بيانها بالقول والعمل . فيعرف الحكم مع حكمته ويوضح المجمل بالعمل به ، ولينذروا قومهم الذين نفروا للقاء العدو اذا رجعوا اليهم : اي ليجعلوا اهم قصد لهم من الفقاهة ارشاد هؤلاء وتعليمهم

(١) تفسير مجمع البيان ج٥ ص٨٣

وانذارهم عاقبة الجهل وترك العمل بما علموا ، رجاء ان يخافوا الله ويحذروا عاقبة عصيانه ، وان يكون جميع المؤمنين علماء بدينهم قادرين على نشر دعوته والحجاج عنه وبيان اسراره للناس لا ان يوجهوا انظارهم الى الرياسات والمناصب العالية والترفع عن سواد الناس وكسب المال والتشبه بالظلمة والجبارين فى ملابسهم ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا .

والآية اشارة الى وجوب الفقه في الدين والاستعداد لتعليمه في مواطن الاقامة وتفقيه الناس فيه بالمقدار الذي تصلح به حالهم فلا يجهلون الاحكام الدينية العامة التي يجب على كل مؤمن ان يتعرفها ، والناصبون انفسهم لهذا التفقه على هذا القصد لهم عند الله من سامى المراتب ما لا يقل في الدرجة عن المجاهد بالمال والنفس فى سبيل اعلاء كلمة الله والذود عن الدين والملة ، بل هم افضل منهم في غير الحال التي يكون فيها الدفاع واجبا عينياً على كل شخص . «١»

عن مفضل ابن عمر ، قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول : عليكم بالتفقه في دين الله ولا تكونوا اعرابا فانه من لم يتفقه في دين الله لم ينظر الله اليه يوم القيامة ولم يزك له عملا . «١»

قال المولى محمد صالح المازندراني فى شرح هـذا الحديث الشريف .

عن مفضل بن عمر قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول : (عليكم بالتفقه فى دين الله ولا تكونوا اعرابا) : اي لا تكونوا كالاعراب

«١» تفسير المراغي ج١١ ص٤٨

(٢) اصول الكافي ج١ ص٥٥ باب فرض العلم .

جاهلين بالدين غافلين عن احكامه معرضين عن تعلمها ﴿ فان من لم يتفقه في دين الله لم ينظر الله اليه يوم القيامة ﴾ كناية عن سخطه وغضبه وعدم الاعتداد به وسلب رحمته وفيضه واحسانه واكرامه عنه وحرمانه عن مقام القرب والاختصاص فان عدم نظرنا الى احد مستلزم لهذه الامور ، وامثال هذه الافعال اذا نسبت الى من لا يجوز فيه ارادة الحقيقة يراد بها اللوازم والغايات فليس المراد بعدم النظر عدم الرؤيه لأنه تعالى يراه كما يرى غيره ولا يخفى عليه شيء ولا عدم تقليب الحدقة الى جانب المرئى طلباً لرؤيته لان هذا السلب ثابت له تعالى بالنسبة الى الجميع باعتبار ان التقليب المذكور من صفات الاجسام والله سبحانه منزه عنها .

والوجه في عدم نظره اليه ان استحقاق العبد للكرامة يوم القيامة ليس باعتبار انه خلق الله ولا باعتبار جسمه وحسن صورته وكثرة امواله واولاده وعشيرته بل انما هو لصفاء قلبه واحاطته بالمعارف الآلهية واتصافه بالصور العلمية واذعانه بالشرايع النبوية وانقياده للاحكام الشرعية فكل من كان فيه شيء منها كان ابداً منعوتاً بالحرمان موصوفاً بالخذلان ويرشد اليه ايضاً ما روى من طريق العامة عنه صلى الله عليه وآله قال : ان الله لاينظر الى صوركم واموالكم ولكن الى قلوبكم ونياتكم واعمالكم : (ولم يزك له عملا) اي لم يقبل له عملا لان قبول العمل لازم لتزكيته عن شوائب النقصان وانتفاء اللازم مستلزم لانتفاء الملزوم اولم يوفق له في تزكيته لعدم استعداده لذلك كيف وتزكية العمل متوقفة على العلم بكماله ونقصانه وشرايطه الى غير ذلك من الامور المعتبرة فيه والمفسدة له والمفروض انه

جاهل بجميع ذلك . (١)

عن الصادق عليه السلام ، قال : تفقهوا في الدين فان من لم يتفقه منكم في الدين فهو اعرابي ، وان الله عز وجل يقول في كتابه - ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون . (٢)

قال بعض العلماء : لان اجلس ساعة فافقه في دينى احب الى من ان احيي ليلة الى الصباح (٣)

عن الصادق عليه السلام : قال : اذا اراد الله بعبد خيرا فقهه في الدين (٤)

روى خرج رسول الله صلى الله عليه وآله ، فاذا فى المجلسان مجلس يتفقهون ، ومجلس يدعون الله تعالى ويسألونه - فقال صلى الله عليه وآله : كلا المجلسين الى خير ، اما هؤلاء فيدعون الله ، واما هؤلاء فيتعلمون ويتفقهون الجاهل ، هؤلاء افضل بالتعلم . (٥)

عن ابو هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين . (٦)

قال الشاعر ونعم ما قال :

---

(١) شرح اصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج٢ ص١٨

(٢) المحجة البيضاء ج١ ص١٦

(٣) جامع بيان العلم وفضله ج١ ص٢٤

(٤) المحجة البيضاء ج١ ص ١٦

(٥) لآلي الاخبار ج٢ ص٢٥٠

(٦) جامع بيان العلم وفضله ج١ ص ١٩ .

تفقه فان الفقه افضل قائد
الى البر والتقوى واعدل قاصد
هو العلم الهادي الى سنن الهدى
هو الحصن ينجى من جميع الشدائد
فان فقيها واحداً متورعـــا
اشد على الشيطان من الف عابد

عن ابان بن تغلب عن ابي عبد الله عليه السلام ، قال : لوددت ان اصحابي ضربت رؤسهم بالسياط حتى يتفقهوا .(١)

قال المولى محمد صالح المازندراني : في شرح هذا الحديث الشريف ، (لوددت ان اصحابي ضربت) بضم التاء على صيغة المتكلم او بسكونها وضم الضاد على البناء للمفعول (رؤوسهم بالسياط حتى يتفقهوا) السياط بكسر السين جمع السوط وهو الذي يجلد به والاصل سواط بالواو فقلبت ياء للكسرة ما قبلها ويجمع على الاصل على اسواط ، واما جمعه على اسياط فشاذ ، وفي ذكر الرأس دون سائر الاعضاء مع انه اشرفها ولذلك ورد النهي عن ضربه فى الحدود لما فيه من الوجه واكثر القوى مبالغة في تأديبهم بترك التفقه وفيه دلالة على انه لابد للحاكم من ان يحمل الرعية على المعروف اذا تركوه وان احتاج الى الضرب وغيره من انحاء التأديب والتعذيب . (٢)

«١-٢» شرح اصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج٢ص١٩-٢١

الهداية والتعليم

قال الله العزيز الحكيم : من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفساً بغير نفس او فساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعاً ولقد جاءهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيراً منهم بعد ذلك فى الارض لمسرفون . (١)

لاشك فى ان الحياة من اعز الاشياء واغلاها بل وليس شيء يعادلها من حيث العظمة والجلالة ، لأنهـــا وسيلة الى جميع الخيرات الحسنة والاعمال الصالحة وفي الحقيقة هي الاساس لتمام الكمالات البشرية والدرجات الرفيعة الانسانية ، ومن المعلوم ان الحياة تنقسم على اقسام ، منها حياة ظاهرية ، وهى عبارة من ان الانسان اذا لم يأكل ولم يشرب حينما يحتاج الى الاكل والشرب فتنعدم هذه الحياة الظاهرية ونموت .

ومنها الحياة الابدية التي من اجلها يقوم الانسان بافعال حسنة حتى يحصل الثواب من عند الله تعالى وهذه هي الحياة التي تخلد الانسان خلودا ابديا وهي اشرف وافضل من جميع اقسامها . والاخبار التي نذكرها تاليا انما هي تشير الى هذا النوع من الحياة ،

وان قلب انسان الجاهل كارض ميتة التي لا زرع فيها واذا اراد شخص ان يحييها فيزرعها فيجري فيها الماء فتحيي ، والعوام من الناس كذلك هم فى الحقيقة اموات واذا علمهم عالم مسائل دينية وقوانين شرعية وهديهم الى صراط المستقيم من الدين الحنيف فكأنما هو احياهم بحياة طيبة

(١) سورة المائدة ص٣٢

خالدة .

وقبل ذكر الروايات التي تدل على هذا القسم من الحياة نتعرض تفسير آية الشريفة من قول بعض المفسرين : (من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفساً بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعاً) اي انه بسبب هذا الجرم الفظيع والقتل الشنيع الذي فعله احد هذين الاخوين ظلما وعدوانا فرضنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفساً بغير نفس اي بغير سبب موجب للقصاص الذي شرعه في قوله (وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس) الآية ، او قتل نفساً بغير سبب فساد في الارض يسلب الامن والطمانينة واهلاك الحرث والنسل كما تفعله عصابات اللصوص المسلحة المستعدة لقتل الانفس ونهب الاموال او افساد الامر على الدولة التي تقوم بتنفيذ حدود الله تعالى - من يفعل شيئاً من ذلك فكانما قتل الناس جميعا اذا الواحد يمثل النوع ، فمن استحل دمه بغير وجه حق - استحل دم كل واحد كذلك . لانه مثله .

والمقصد من ذلك تعظيم امر القتل العمد العدوان وتفخيم شأنه ، اي فكما ان قتل كل الخلق مستعظم مستبشع لدى الناس كلهم فكذلك قتل الواحد مستفظع مستعظم ، وكيف لا يكون مستعظما وقد قال تعالى: (ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما) (ومن احياها فكانما احيا الناس جميعاً) اي ومن كان سبباً في حياة نفس واحدة بانقاذها من موت كانت مشرفة عليه فكانما احيا الناس جميعاً ، لان الباعث له على الانقاذ وهو الشفقة والرحمة واحترام

الحياة الانسانية والوقوف عند حدود الشرايع ، دليل على انه اذا استطاع ان ينقذهم كلهم من الهلاك لايدخر وسعاً ولا ينى في ذلك .

وفي الآية ارشاد الى مايجب من وحدة البشر وحرص كل منهم على حياة الجميع والابتعاد عن ضرر كل فرد ، فانتهاك حرمة الفرد انتهاك الحرمة الجميع ، والقيام بحق الفرد بمقدار ما قرر له في الشرع قيام بحق الجميع ، وتقدم ان قلنا ان القرآن كثيراً ما يشير الى وحدة الامة ووجوب تكافلها حتى انه ليسند اعمال المتقدمين منها الى المتأخرين ويشير الى ان جناية الانسان على غيره تعد جناية على البشر كلهم : (١)

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لعلى عليه السلام ، حين بعثه الى اليمن ، لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك مما تطلع عليه الشمس او تغرب . (٢)

عن عبد الله عمرو قال ، جاء حمزة بن عبد المطلب الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله اجعلني على شيء اعيش به فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا حمزة نفس تحييها احب اليك ام نفس تميتهـــا ، قال : بل نفس احييهـــا قال : عليك بنفسك (٣)

عن سماعة قال : قلت لابي عبد الله عليه السلام ، انزل الله عز وجل ، من قتل نفساً فكانما قتل الناس جميعاً ، ومن احياها فكانما احيا الناس

(١) تفسير المراغي ج٦ ص١٠٢

(٢) تفسير مفاتيح الغيب ج٢ ص ١٨٠

(٣) تفسير ابن كثير ج٢ ص٤٧

جميعاً ، قال : من اخرجها من ضلال الى هدى فقد احياها ومن اخرجها من هدى الى ضلال فقد والله اماتها (١)

عن فضيل قال : قلت لابي جعفر عليه السلام ، قول الله في كتابه ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعاً ، قال : من حرق او غرق ، قلت فمن اخرجها من ضلال الى هدى ، فقال : ذلك تاويلها الاعظم . (٢)

قال علي بن محمد عليهما السلام : لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم عليه السلام من العلماء الداعين اليه والدالين عليه والذابين عن دينه بحجج الله والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك ابليس ومردته ومن فخاخ النواصب لما بقى احد إلا ارتد عن دين الله ولكنهم الذين يمسكوا زمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكانها اولئك هم الافضلون عند الله عز وجل . (٣)

عن ابي محمد العسكري ، قال : قال علي بن ابي طالب عليه السلام ، من كان من شيعتنا عالماً بشريعتنا فاخرج ضعفاء شيعتنا من ظلم (ظلمة خل) جهلهم الى نور العلم الذي حبوناه به جاء يوم القيامه وعلى رأسه تاج من نور يضيء لأهل جميع العرصات وعليه حلة لا يقوم لاقل سلك منها الدنيا من حبرة جهله فليشبث بنوره ليخرجه من حيرة ظلمة هذه العرصات الى نزه الجنان فليخرج كل من كان علمه في الدنيا خيراً اوقع عن قلبه

(١) بحار الانوار ج١ ص ٧٤

(٢) نفس المصدر ج١ ص ٧٦ وتفسير صافي ص١٢٧

(٣) الاحتجاج ج١ ص١٠

من الجهل قفلا اواوضح له عن شبهة (١)

روى ان داوود عليه السلام ، اعتزل الناس وقتاً واختاره لنفسه اوحى الله اليه اخرج الى الناس وعلمهم العلم ، فان ذلك افضل من الدنيا وما فيها . (٢)

عن ابي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ان معلم الخير يستغفر له دواب الارض وحيتان البحر وكل ذى روح فى الهواء وجميع اهل السماء والارض ، وان العالم والمتعلم فى الاجـــر سواء ، ياتيان يوم القيامة كفرسى رهان يزدهان . (٣)

قال ابو محمد الحسن العسكري عليه السلام : قالت فاطمة عليها السلام : وقد احتصم اليها امرأتان فتنازعتا في شيء من امر الدين احداهما معاندة والاخرى مؤمنة ففتحت على المؤمنة حجتها فاستظهرت على المعاندة ففرحت فرحاً شديدا ، فقالت فاطمة (ع) :ان فرح الملائكة باستظهارك عليها اشد من فرحك ، وان حزن الشيطان ومردته بحزنها عنك اشد من حزنها ، وان الله عز وجل قال للملائكة : اوجبوا لفاطمة بما فتحت على هـذه المسكينة الاسيرة من الجنان الف الف ضعف مما كنت اعددت لها ، واجعلوا هذه سنة فى كل من يفتح على اسير مسكين فيغلب معاندا مثل الف الف ما كان له معدا من الجنان . (٤)

وقال ابو محمد عليه السلام : قال الحسن بن علي بن ابي طالب عليهم

(١) بحار الانوار ج١ ص٧٠

(٢) لآلىء الاخبار ج٢ ص٢٥٧

(٣) بحار الانوار ج١ ص٧٥ (٤) الاحتجاج ج١ ص١١

السلام وقد حمل اليه رجل هدية فقال له : ايما احب اليك ان ارد عليك بدلها عشرين ضعفاً ، عشرين ضعفاً ، يعني عشرين الف درهم ، او افتح لك بابا من العلم تفهر فلان الناصبي في قريتك تنقذه ضعفاء اهل قريتك ، ان احسنت الاختيار جمعت لك الامرين ، وان اسأت الاختيار ، خيرتك لتأخذ ايهما شئت .

فقال : يابن رسول الله صلى الله عليه وآله فثوابي من قهري ذلك الناصب واستنقاذي لأولئك الضعفاء من يده قدره عشرون الف درهم ، قال بل اكثر من الدنيا عشرين الف الف مرة ، يابن رسول الله صلى الله عليه وآله ، فكيف اختار الا دون بل اختار الافضل ، الكلمة التي اقهر بها عدو الله واذوده عن اوليائه .

فقال الحسن بن علي عليهما السلام : قد احسنت الاختيار ، وعلمه الكلمة واعطاه عشرين الف درهم ، فذهب فافحم الرجل ، فاتصل خبره به فقال له حين حضر معه : يا عبد الله ما ربح احد مثل ربحك ولا اكتسب احد من الاوداء مثل ما اكتسبت مودة الله اولا ومودة محمد وعلي ثانياً ومودة الطيبين من آلهما ثالثاً ومودة ملائكة الله تعالى المقربين رابعا ومودة اخوانك المؤمنين خامساً . واكتسبت بعدد كل مؤمن وكافر ماهو افضل من الدنيا الف مرة فهنيئاً لك هنيئا (١)

عن ابي عبد الله عليه السلام ، قال : معلم الخير لتستغفر له دواب الارض وحيتان البحر وكل صغيرة وكبيرة في ارض الله وسمائه . (٢)

---

(١) الاحتجاج ج١ ص ١١

(٢) بحار الانوار ج ١ ص٧٥

قال ابو محمد عليه السلام لبعض تلامذته : لما اجتمع اليه قوم من مواليه والمحبين لآل محمد رسول الله صلى الله عليه وآله بحضرته وقالوا : يابن رسول الله صلى الله عليه وآله ، ان لنا جارا من النصاب يؤذينا ويحتج علينا في تفضيل الاول والثاني والثالث على امير المؤمنين عليه السلام ويورد علينا حججاً لاندري كيف الجواب عنها والخروج منها : مر بهؤلاء اذا كانوا مجتمعين يتكلمون فتستمع عليهم فيستدعون منك الكلام فتكلم وافحم صاحبهم واكسر عربه « اي حدته » وفل حده ، ولاتبق له باقية . فذهب الرجل وحضر الموضع وحضروا وكلم الرجل فافحمه ووصيره لايدرى فى السماء هو او في الارض . قالوا : ووقع علينا من الفرح والسرور مالا يعلمه الا الله تعالى وعلى الرجل والمتعصبين له من الغم والحزن مثل ما لحقنا من السرور .

فلما رجعنا الى الامام (ع) . قال لنا : ان الذين في السماوات لحقهم من الفرح والطرب بكسر هذا العدو لله كان اكثر مما كان بحضرتكم ، والذي كان بحضرة ابليس وعتاة مردته من الشاطين من الحزن والغم اشد مما كان بحضرتكم ، ولقد صلى على هذا العبد الكاسر له ملائكة السماء والحجب والعرش والكرسى ، وقابلها الله تعالى بالاجابة فاكرم ايابه وعظم ثوابه ، ولقد لعنت تلك الاملاك عدو الله المكسور وقابلها الله بالاجابة فشدد حسابه واطال عذابه . «١»

«١» الاحتجاج ج١ ص١٣

قال ابن عباس : ان اول درهم ودينار ضربا في الارض نظر إليهما ابليس . فلما عاينهما اخذهما ثم ضمهما الى صدره ثم صرخ صرخة ، ثم ضمهما الى صدره ، ثم قال : قرة عيني وثمرة فؤادي ما ابلي من بني آدم اذا احبوكما ان لا يعبدوا وثنـــا ، حسبي من بني آدم ان يحبوكما . (١)

الدرهم والدينار

لما نظرت الى الروايات والاحاديث الشريفة الواردة عن المعصوم عليه السلام وكلمات اكابر العلماء والفضلاء في حول الدرهم والدينار لقد اعجبني ان اكتب مقالا مختصرا في هذا الشأن لكي تظهر قيمتهما من حيث موقعيتهما في بين الناس وفي الواقع لما نتوجه الى اوضاع البشرية وعقيدتهم ومقالهم ليس كلام بينهم الا عن الدرهم والدينار وانهما صارا باعثاً لايجاد الفتن والشرور والاعمال اللادينية مضافا من هذه المفاسد ونرى كثيراً من الناس يبيعون دينهم وايمانهم بالدرهم والدينار مع انهم ينظرون الى النصوص الواردة عن المعصوم عليه السلام في ذمهما ، فمن جملة الروايات ، انه ، قال امير المؤمنين عليه السلام : الفتن ثلث ، حب النساء وهو سيف الشيطان ، وشرب الخمر وهو فخ الشيطان ، وحب الدرهم والدينار وهوسهم الشيطان . (٢)

وروي ايضاً انه اتى يهودي الى امير المؤمنين عليه السلام فسأله عن

(١) سفينة البحار ج١ ص٤٤٤ كلمة الدرهم .

(٢) نفس المصدر ج١ ص٤٤٥ .

عن مسائل فكان فيما سأله ، لم سمي الدرهم درهما والدينار دينارا ، فقال عليه السلام : انما سمي الدرهم درهما لأنه دارهم من جمعه ولم ينفقه في طاعة الله اورثه النار ، وانما سمي الدينار دينارا ، لأنه دار النار من جمعه ولم ينفقه في طاعة الله اورثه النار (١)

وقال النبي صلى الله عليه وآله : الدينار والدرهم اهلكا من كان من قبلكم وهما مهلكاكم (٢)

عن الصادق عليه السلام عن ابيه عليه السلام انه سئل عن الدنانير والدراهم ، وما على الناس فيها ، فقال ابو جعفر عليه السلام : هي خواتيم الله في ارضه جعلها الله تعالى مصحة لخلقه وبها تستقيم شؤنهم ومطالبهم فمن اكثر له منها فقام بحق الله تعالى فيها وادى زكوتها فذاك الذي طابت وخلصت له ومن اكثر له منها فبخل بها ولم يؤد حق الله فيها واتخذ منها الآنية فذاك الذي حق عليه وعيد الله عز وجل في كتابه ﴿ يوم يحمى عليها في نار جهنم ﴾ الآية . (٣)

الى غير ذلك من الروايات والاحاديث التي تدل على ذمهما وقبح من يجمعهما خصوصاً من غير طريق الحلال ، ولكثير من الحكماء والعلماء في حول هذا الموضوع كلمات جيدة نثراً وشعراً واننا نذكر قسما منهـا نموذجاً لان كتابة هذا المقال خارج عن المبحث تقريبا لكنما لما رايت لطافته وادبيته وبعده يجيء البحث تحت عنوان (العلم والمال) ، اذا

---

(١) سفينة البحار ج١ ص ٤٤٥

(٢) نفس المصدر ج١ ص ٤٤٥

(٣) سفينة البحار ج١ ص ٤٤٥ كلمة الدرهم .

يكفيه هذا المقدار من المناسبة .

قال بعض الحكماء : ما من حلية هي للغنى مدح الا وهي للفقير عيب ، فان كان شجاعاً سمى اهوج ﴿ اى كان طويلا في حمق وطيش وتسرع ، وان كان مؤثرا سمى مفسدا ، وان كان حليما سمى ضعيفا ، وان كان وقور اسمى بليدا (اي غير ذكي) وان كان لسنا سمى مهذارا (اى يخلط في منطقة ويتكلم بما لا ينبغي) وان كان صموتا سمى عيا ﴿ عيا فى النطق ، حصر ، وعي الرجل اى اتى بكلام لا يهتدى اليـــه ﴾ .

ولقد نظم الشاعر هذا المعنى حيث قال ولله دره :

وان كان سكيتا يقولون ابكم وان كان منطيقا يقولون مهذر
وان كان صواما وبالليل قائما يقولون زراق يراثى ويمكر

وقال المتنبي مشيرا الى هذا المعنى :

ابى خلق الدنيا حبيبا تذيمه فما طلبي منها حبيبا نرده
واسرع مفعول فعلت تغيرا تكلف شيء في طباعك ضده
واتعب خلق الله من زاد همه وقصر عما تشتهي النفس وجده
فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده
وفي الناس من يرضى بميسور عيشه ومركوبه رجلاه والثوب جلده
ولكن قلبا بين جنبي ماله مدى ينتهي بي فى مراد احده
تولى الصبا عنى فاخلفت طيبه وما ضرني لما رايتك فقده

وقال آخر :

المال يفرق بين الام والولد فذاك ادنى نسيب عند كل يد

عهدي به خادما كالعبد تملكه فما لعيني تراه سيد البلد

وقال آخر :

اظهروا للناس زهدا وعلى الدينار داروا
وله صاموا وصلوا وله حجوا وزاروا
لو يرى فوق الثريا ولهم ريش لطاروا

وقال آخر :

الناس اتباع من دامت له نعم والويل للمرء ان زلت به القدم
المال زين ومن قلت دراهمه حي كمن مات الا انه صنم
لما رايت اخلائي وخالصتي والكل مستتر عني ومحتشم
ابدوا جفاء واعراضا فقلت لهم اذنبت ذنبا . فقالوا ذنبك العدم

وقال شاعر آخر :

لعمرك ان المال قد يجعل الفتى سريا وان الفقر بالمرء قد يزرى
وما رفع النفس الدنية كالغنى ولا وضع النفس النفيسة كالفقر

ومن شعر ابن المعتز ، قال :

اذا كنت ذا ثروة من غنى فانت المسود فى العـــالم
وحسبك من نسب صورة تخبر انك من آدم

قال عباس بن عبد المطلب : المال للناس الزم من الشعاع للشمس ، وهو عندهم اعذب من الماء ، وارفع من السماء ، واحلى من الشهد ، وازكى من الورد ، خطائه صواب ، وسيأته حسنات :

قال الشاعر :

ان الدراهم في المواطن كلها تكسوا الرجال مهابة وجمالا

فهي اللسان لمن اراد فصاحة فهي السلاح لمن اراد قتالا

وقال ايضاً بعضهم من الشعراء :

فقر الفتى يذهب انواره كما اصفرار الشمس عند المغيب
ان غاب لا يذكر بين الورى وماله في قومه من نصيب
يجول في الاسواق مستخفيا وفي الفلا يبكي بدمع صبيب
والله ماالانسان في أهله اذا بلى بالفقر الا غريب

وقال بعض الشعراء ونعم ما قال :

مال يميل الى الانسان من صغر وكلما شب شب الحب في الكبد
لو يجمع الله مافي الارض قاطبة عند امرىء لم يقل حسبي فلا تزد
كل يروح من الدنيا الغرور كما اتى بلا عدد منها ولا عدد
لو كان يأخذ شيئاً قبلنا احد
لم يبق شيء لنا من سالف الامد
اذا المرء لم يعتق من المال نفسه
تملكه المال الذى هو مالكه
الا انما مالى الذي انا منفق وليس لي المال الذي انا تاركه

وقال ابو الفتح البستي وقد دره :

والناس اعوان من والته دولته
وهم عليه اذا عادته اعوان

﴿ سحبان ﴾ من غير مال : باقل : حصر

و﴿ باقل ﴾ في ثراء المال سحبان

وقال الشاعر : في ابياته الحكمية :

ان قل مالي فلا خل يصاحبني ان زاد مالي فكل الناس خلاني
فكم عدو لاجل المال صاحبني وكم صديق لفقد المال عاداني

وقال بعضهم الآخرون :

من كان يملك درهمين تعلمت شفتاه انواع الكلام فقالا
وتقدم الاخوان فاستمعوا له ورأيته بين الورى مختالا
لولا دراهمه التي يزهو بها لوجدته في الناس أسوأ حالا
ان الغني اذا تكلم بالخطأ قالوا صدقت ومانطقت محالا
اما الفقير اذا تكلم صادقا قالوا كذبت وابطلوا ما قالا
ان الدراهم فى المواطن كلها تكسو الرجال مهابة وجمالا
فهي اللسان اذا اراد فصاحة وهي السلاح لمن اراد قتالا

وقال آخر ولله دره :

ان الدراهم كالمرا هم تجبر العظم الكسيرا
لو نالهن لبيب فى صبحه اضحى اميرا

وقال شاعر آخر :

واذا ما رايت صعوبة فى مطلب فاحمل صعوبته على الدينار
وابعثه فيما تشتهيه فانه حجر يابن قسوة الاحجار

وقال احمد بن فارس بن زكريا اللغوي القزويني في هذا المعنى :

اذا كنت في حاجة مرسلا وانت بها كلف مغرم
فارسل حكيما ولا توصه وذاك الحكيم هو الدرهم

وقال اسماعيل بن احمد الهروي ايضا فى هذا المعنى :

وما ارسل الاقوام في نيل حاجة كابيض وضاح صحيح مدور

فارسله مرتادا وايقن بانه سيحصل ما ترتاد واسمح تصدر
ولاتعتمد شيئاسوى الدرهم الذي ينال به المحروم حظ الموفر
فما درهم في فعله غير مرهم ومدراءهم من فؤاد محير

ومن شعر احمد بن زكريا اللغوي ايضاً :

قد قال فيما مضى حكيم ما المرء الا باصغريه

وروى هذا البيت بنحو آخر وهو :

قد قال قوم بغير فهم ما المرء الا باكبريه
فقلت قول امرء حكيم ما المرء الا بدرهميه
من لم يكن درهم لديه لم يلتفت مرسه اليه
وكان من ذله حقيرا تبول سنوره عليه

وقال شاعر آخر ولله دره :

فصاحة سحبان وخط ابن مقلة وحكمة لقمان وزهد ابن ادهم
اذا اجتمعت في المرء والمرء مفلس فليس له قدر بمقدار درهم

وقال احمد شوقي :

قل لابن سينا : لا طبيـــب اليوم إلا الدرهم
هو قبل بقراط وقبلـــك للجراحـة مرهم
والناس مذ كانوا عليـــه دائرون وحوم
وبسحره تعلو الاســـا فل في العيون وتعظم

ونعم ما قال الشاعر الفارسي في هذ المعنى ولله دره :

تركيا : تازروسيمت بكف است جاذب خلق جو مغناطيسي
در نظر باهمه نادا نيهـــا چون فلاطون وارسطاليسى

ورزرت نيست هما نا بنظر خلق را شو متراز ابليسى
گر زرت هست توئي رستم زال ورنه پيره زن چر خك ريسي

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : هلاك امتي العلم والمال في شيئين ، ترك العلم ، وجمع المال . (١)

ومن اعظم الخسارات التي يخسرها الانسان في طول حياته شيئان : -

الشيء الاول الموجب لهلاك الانسان هو ترك تحصيل العلوم الالهية والمعارف الدينية والفضائل النفسانية الانسانية لان العلم لا ريب انه احسن جوهر من الجواهر التي خزنت في خزانة قدرة رب العالمين واعلى منجى ينجي صاحبه من الهلاكة والذلة في جميع الحالات والازمان ، وانما ثبت في شريعة الاسلامى هلاك كل انسان بترك تحصيل العلم والمعارف لأن الانسان به يفوز وبه يرتقى الى اية درجة من الدرجات العالية دنيوية وآخروية وان الانسان اذ لم يقم بتحصيل العلم يبقى جاهلا فحينئذ لا يمكنه ان يجلب العزة والسعادة لنفسه اوينجي نفسه من العذاب المؤلم الالهي ، فثبت ان السبب الوحيد لنجاة كل انسان هو العلم الذي فرضه الله تعالى على كل شخص ان يتعلم حد الواجب منه .

والشيء الثاني الباعث لهلاك الانسان هو عبارة من جمع الاموال الدنيوية من غير طريق شرعي ، لان الانسان لما يجمع شيئاً من الاموال مع انه لا يعلم كيفية جمعه وصرفه فانه يقينا يقع في الهلاكة .

مثلا ان الشخص يجمع اموالا من طريق الحلال ، او يجمعها من اي

(١) المستطرف ج١ ص٣٠ والمحلاة ص١

طريق يرد حلالا او حراما ويصرفها في غيرما امره الله تعالى فانما هذا النوع من الاموال يخطر على الشخص بل يوجب هلاكه ، وله شواهد كثيرة في التاريخ الاسلامى والروايات الشريفة واننا نتعرض قسما من الروايات وعبارات اكابر العلماء ، وبعد انت تميز علو قدر العلم وذلة منزلة المال .

ولقد احسن من قال ابياتاً عربية يبين فيها فضل العلم على المال :

يا ساعياً في طلاب المال همته　　اني اراك ضعيف العقل والدين
عليك بالعلم لا تطلب له بدلا　　واعلم بانك فيه غير مغبون
العلم يجدي ويبقى للفتى ابدا　　والمال يفنى وان اجدى الى حين
فذاك عز وذا ذل لصاحبه　　مازال بالبعد بين العز والهون

قال الامام الفخر الرازي في تفسيره مستخرجاً من الآيات القرانية استدلالا كاملا بفضل العلم على المال وقال : تفكر ان الله تعالى ، ما اعطى من العلم الا القليل قال (وما اوتيتم من العلم الا قليلا)

وسمى الدنيا بامسرها قليلا (قل متاع الدنيا قليل) فما سماه قليلا لا يمكننا ان ندرك كميته فما ظنك بما سماه كثيرا .

البرهان العقلي على قلة الدنيا وكثرة الحكمة ، ان الدنيا متناهى القدر متناهى العدد متناهى المدة ، والعلم لا نهاية لقدره . وعدده ومدته ولا السعادات الحاصلة منه وذلك ينبهك على فضيلة العلم (١)

قال مؤيد الدين الاصفهاني المعروف بالطغرائي :

من قاس بالعلم الثراء فانه　　في حكمه اعمى البصيرة كاذب

(١) تفسير مفاتيح الغيب ج٢ ص١٧٩

العلم تخدمه بنفسك دائما والمال يخدم عنك فيه نائب
والمال يسلب او يبيد لحادث والعلم لا يخشى عليه سالب
والعلم نقش في فؤادك راسخ والمال ظل عن فنائك ذاهب
هذا على الانفاق يغزر فيضه ابدا وذلك حين تنفق ناضب

قال بعضهم : العلم لا ينفصل عن العالم باي وجه من الوجوه ، ولكن بخلاف المال ، فانه ينفصل عن الانسان بمدة ساعة او اقل منها ، وكم من غنى قد اصبح فقيرا ، ولقد احسن من قال : في الفارسية :

تكيه برجاه وجهان ازتو نه برجاي خود است
زانكه گر چشم خرد نيك برو بگماري
زينت جاه بجام مى گلگون ماند
كه بيكدم شود از كسوت خوبي عاري

وقال الشيخ محمد رضا الشبيبي ونعم ما قال :

العلم والجهل اثراء وافلال وامتع الثروتين العلم لا المال
مالى ارى الناس بالاعراض قد فتنوا والافتتان بحب الشيء قتال
اذا رأوا داعياً للفخر انقلبوا وان رأو داعياً للثروة انهالوا

قيل للخليل بن احمد : ايهما افضل ، العلم او المال ، قال : العلم ، قيل له : فما بال العلماء يزدحمون على ابواب الملوك ، والملوك لا يزدحمون على ابواب العلماء ، قال : ذلك لمعرفة العلماء بحق الملوك ، وجهل الملوك بحق العلماء .

قال الشاعر : يجهل فضل العلم على المال .

جعلت المال فوق العلم جهلا لعمرك فى القضية ما عدلتا

وبينهما بنص الوحي بون　　ستعلمه اذا طه قرأتـــا

وقال شاعر آخر ولله دره :

ذخائر المال لاتبقى على احد　　والعلم تذخره يبقى على الابد

والمرء يبلغ بالآداب منزلة　　يذل فيها له ذو المال والعقد

وقال شاعر آخر ونعم ما قال :

المال يفنى مع الايام ان قلبت　　والعلم يصطحب الانسان للترب

اغنم جنى غرسه تحظ بنيل منى　　وتعل بالقدر فوق السبعة الشهب

وقال لقمان الحكيم : اطلب فى الحياة العلم والمال تحز بهما الرياسة في الزمان ، لانك بين خاص وعام ، فالخاصة تفضلك بما تحسن ، والعامة تفضلك بما تملك . (١)

استعار رجل من رجل كتابا بنفسه ثم رده مع غلام له ، فكتب اليه ، ليس من حق العلم ان يمكن منه غير اهل العلم ، وقد كان ينبغي ان تكون الكرامة فى رده كالكرامة فى اخذه ، وانك لما اخذته بنفسك ، وجب ان ترده بنفسك ، فكتب اليه ، ان الغلام الذي انفذته معه مؤتمن على المال ، فكتب اليه ، العلم افضل من المال ، وليس كل مؤتمن على المال بؤتمن على العلم . والمال يعرف قدره كل احد ، فهو يصونه ويعظمه ، وليس العلم كذلك ولم يعره شيئاً بعد ذلك (٢)

لمسافرين الحسن احد ادباء خراسان :

اجود بجل مالي لا ابالي　　وابخل عند مسألة الكتاب

(١) مختار الحكم ص ٢٧٧

(٢) تقييد العلم ص ١٤٩

وذاك لانني انفقت حرصا على تحصيله شرخ الشباب

وقال الشيخ مهدي الساعدي في فضل العلم على المال :

العلم نور ودليل في الظلم والمال مردى في صحارى واكم
في الحر والبرد بشدة التعب والعلم ينجيك ويحيي للنسب
يحفظك العلم ولا يرديكا والمال ان تجمع له يغويكا
فالمال كم اردى باهله الخطر والعلم بالدنيا وبالاخرى الفخر
فهو عدو المرء في الحياة كمثل من قصر في الزكاة
لاتفخرن يا سعد في الاموال فالعلم خير لك في المال
ماالاصل ماالفخار في الاموال فالفخر فخر العلم والكمال
مالفخر بالاموال والآثار فالفخر بعلم وولا الاطهار

عن امير المؤمنين علي عليه السلام ، قال العلم افضل من المال بسبعة .

الاول : انه ميراث الانبياء ، والمال ميراث الفراعنة

الثاني : العلم لا ينقص بالنفقة والمال ينقص .

الثالث : يحتاج المال الى الحافظ ، والعلم يحفظ صاحبه .

الرابع : العلم يدخل في الكفن ويبقى المال .

الخامس : المال يحصل للمؤمن والكافر ، والعلم لايحصل إلا للمومن .

السادس : جميع الناس يحتاجون الى العلم في امر دينهم ، ولا يحتاجون الى صاحب المال .

السابع : العلم يقوي الرجل على المرور على الصراط ، والمال يمنعه . (١)

(١) تفسير مفاتيح الغيب ج٢ ص ٢٦٨

ومن كلامه عليه السلام ايضاً قاله لكميل بن زياد النخعي رضى الله تعالى عنه :

يا كميل ، العلم خير من المال ، العلم يحرسك وانت تحرس المال . والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكوا على الانفاق : (١)

قال ابن ابي الحديد المعتزلى في شرح هذه العبارة من كلامه عليه السلام :

ثم شرع عليه السلام في ذكر العلم وتفضيله على المال ، فقال : ﴿ العلم يحرسك ، وانت تحرس المال ﴾ وهذا احد وجوه التفضيل .

ثم ابتدأ فذكر وجهاً ثانيا . فقال : المال ينقص بالانفاق منه ، والعلم لاينقص بالانفاق بل يزكوا ، وذلك لان افاضة العلم على التلامذة تفيد المعلم زيادة استعداد ، وتقرر في نفسه تلك العلوم التي افاضها على تلامذته ، وتثبيتها وتزيدها رسوخا .

ومن كلامه عليه السلام ايضاً قاله لكميل بن زياد النخعي .

يا كميل بن زياد ، معرفة العلم دين يدان به ، به يكسب الانسان الطاعة فى حياته ، وجميل الاحدوثة بعد وفاته ، والعلم حاكم ، والمال محكوم عليه (٢)

قال ابن ابي الحديد المعتزلي فى شرح هذه الجملة من كلامه عليه السلام .

فان قلت : ما معنى قوله عليه السلام : ﴿ معرفة العلم دين يدان

(١) خطبة ١٤٣ من خطب كتاب نهج البلاغة

(٢) نفس المصدر

به ﴾ وهل هذا إلا بمنزلة قولك : معرفة المعرفة او علم العلم ، وهذا كلام مضطرب .

قلت : تقديره معرفة فضل العلم او شرف العلم ، او وجوب العلم دين يدان به ، اى المعرفة بذلك من امر الدين ، اي ركن من اركان الدين واجب مفروض .

ثم شرح عليه السلام حال العلم الذي ذكر ان معرفة وجوبه او شرفه دين يدان به . فقال ﴿ بالعلم يكسب الانسان الطاعة فى حياته ﴾ اي من كان عالماً كان لله مطيعا ، كما قال سبحانه : ﴿ انما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ . (١)

ثم قال عليه السلام : ﴿ وجميل الاحدوثة بعد وفاته ﴾ اي الذكر الجميل بعد موته .

ثم شرع فى تفضيل العلم على المال من وجه آخر ، فقال : ﴿ العلم حاكم ، والمال محكوم عليه ﴾ وذلك لعلمك ان مصلحتك في انفاق هذا المال تنفقه ، ولعلمك بان المصلحة في امساكه تمسكه ، فالعلم بالمصلحة داع ، وبالمضرة صارف ، وهما الامران الحاكمان بالحركات والتصرفات اقداما واحجاما ، ولا يكون القادر قادرا مختارا إلا باعتبارهما ، وليسا إلا عبارة عن العلم او ما يجري مجرى العلم من الاعتقاد والظن ، فاذن قد بان وظهر ان العلم من حيث هو علم حاكم ، وان المال ليس بحاكم ، بل محكوم عليه . (٢)

العلم حاكم ، والمال محكوم عليه ، ولقد ادرج هذه العبارة الجيدة

(١) سورة الفاطر ص٢٨ (٢) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج١٨ ص٣٤٩

من كلام الامام علي عليه السلام فى شعره الشاعر النبيل الشيخ عبد المنعم الربيعي ، وقال :

العلم دين وبه يدان　　يكسب فيه الطاعة الانسان
والمال محكوم عليه سوقة　　والعلم فهو الحاكم السلطان

وقال احد شعراء العرب ولله دره :

لا فقر اكبر من فقر بلا ادب　　ليس اليسار بجمع المال والنشب
ما المال الا جزازات ملفقة　　فيها عيون من الاشعار والخطب

في مصباح الكفعمى ، عن الصادق عليه السلام ، قال : من قال كل يوم اربعه مرات مدة شهرين متتابعين ، رزق كنزاً كثيراً من علم . او كنزاً كثيراً من مال :

استغفر الله الذي لا إله الا هو الحي القيوم الرحمن الرحيم ، بديع السموات والارض من جميع ظلمي وجرمى واسرافي على نفسي ، واتوب اليه .

واخيراً ، عليك بقراءة هـــذه القصة اللطيفة التي تبين لك فضل العلم على المال وان كـتب التاريخية الاسلامية مملوءة عن مثلهـــا وانما ذكرناها نموذجا .

ابو عثمان ربيعة بن ابي عبد الرحمن فروخ ، المعروف بربيعة الرأى فقيه اهل المدينة . ادرك جماعة من الصحابة ، وعنه اخذ مالك بن انس وكان فروخ ابو ربيعة ، خرج في البعوث الى خراسان ايام بنى امية ، وربيعة حمل في بطن امه ، وخلف عند زوجته ام ربيعة ثلاثين الف دينار ، فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة وهو راكب فرسا وفي يده

رمح ، فنزل ودفع الباب برمحه . فخرج ربيعة ، وقال : يا عدو الله ، اتهجم على منزلي . فقال فروخ : يا عدو الله ، انت دخلت على حرمي . فتواثبا حتى اجتمع الجيران ، فبلغ مالك بن انس فأتوا يعينون ربيعة ، وكثر الضجيج وكل منهما يقول : لا فارقتك ، فلما ابصروا بمالك سكتوا فقال مالك : ايها الشيخ لك سعة في غير هذه الدار ؟ فقال الشيخ : هي داري وانا فروخ . فسمعت امرأته كلامه ، فخرجت وقالت : هذا زوجي ، وهذا ابني الذي خلفه وانا حامل به ، فاعتنقا جميعاً وبكيا .

ودخل فروخ المنزل وقال : هذا ابني . فقالت : نعم ، قال : اخرجي المال الذي عندك . قالت : قد دفنته وانا اخرجه . ثم خرج ربيعة الى المسجد وجلس في حلقته . فاتاه مالك ، والحسن واشراف اهل المدينة واحدق الناس به ، فقالت امه لزوجها فروخ : اخرج فصل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ، فخرج ، فنظر الى حلقة وافرة ، فاتاها فوقف عليها ، فنكس ربيعة رأسه يوهمه انه لم يره ، وعليه فلنسوة طويلة ، فشك ابوه فيه ، فقال : من هذا الرجل ، فقيل : هذا ربيعة بن ابي عبد الرحمن ، فقال : فقد رفع الله ابني . ورجع الى منزله ، وقال لوالدته : لقد رايت ولدك على حالة ما رأيت احدا من اهل العلم والفقه عليها .

فقالت امه : فايهما احب اليك ، ثلاثون الف دينار . اوهذا الذي هو فيه ، فقال : لا والله بل هذا ، فقالت : انفقت المال كله عليه ،

قال : فوالله ما ضيعته (١)

قال بعضهم من الشعراء :

ولست ارى السعادة جمع مال　　ولكن السعيد هو العليم
وتقوى الله خير الزاد ذخرا　　وعند الله للاتقى مزيد
وما لابد ان يأتي قريب　　ولكن الذى يمضي بعيد

العالم والغنى

قال بعض الادباء : ان العلماء بعلمهم قد استحقوا التعظيم ، لا بالقدرة والمال . (٢)

وقال بعضهم الاخرون: ان الاغنياء بمالهم يستخفون .

لا يمكن البحث والقياس بين العالم والغني من حيث الفضيلة والكرامة ، لان البحث عن جميع الجهات والقياس عن تمام المزايا التي تتعلق بهذا الشأن لكثيرة جدا . فمن جملة الفروق ان العالم كلما يزيد في علمه وعرفانه يزيد في ورعه وتقويه ويتجنب عن المعاصي وتزول عنه الصفات الخبيثة السبعية ، ويتخلق باخلاق حسنة انسانية ، ولكن بخلاف الشخص المثري فانه كلما يزيد في ماله وثروته تزيد فيه الصفات الرذيلة والاخلاق الدنيئة .

وايضاً ، ان العالم اذا احترمه اي شخص لاجل علمه وفضيلته فان الله تعالى يعطيه الاجر والثواب في الجنة والرضوان والاخبار الواردة عن المعصوم عليه السلام تدل عليه بخلاف الغني ان كل من يحترمه لاجل

(١) وفيات الاعيان ج٢ ص٥١ حرف الراء المهملة

(٢) جواهر الادب ج٢ ص ٣١

ماله وثروته فان هذا يقرب صاحبه الى الشرك والاخبار وردت كثيرا فى ذم من يكرم الغني لثروته .

وايضاً ، ان العالم كلما يزيد في علمه ، ينور العالم بعلمه ، بخلاف الغنى كلما زاد ماله وثروته ، فانه يغرق في بحر ظلمته ويحرق نفسه بنيرانه .

فعليك بقراءة نبذ من الروايات الشريفة والاشعار الراقية اللطيفة الراجعة في الموضوع وفي النتيجة تظهر لك مقام العالم وشخصيته ، وايضاً تبين لك النكبات التي ترد على الغني لاجل ماله وثروته .

وقال شاعر عليم مخاطباً الجاهل المثري :

من كان مفتخراً بالمال والنسب فانما فخرنا بالعلم والادب
لا خير في رجل حر بلا ادب لا،لا، وان كان منسوبا الى العرب

قال الشاعر العارف يخاطب العالم ويهيج نشاطه العلمي .

لان رفع الغني لواء مال لانت لواء علمك قد رفعتا
وان جلس الغني على الحشايا لانت على الكواكب قد جلستا
ومهما افتض ابكار الغواني فكم بكر من الحكم افتضضتا

وجاء هذا المعنى مثلا فى الفارسية ايضاً :

﴿ دختران مدرسى ، وسخنان فلسفي هردو بكر اند ، اما اين كجا وآن كجا ﴾

اخرج ديو جانس الحكيم ، مع رفيق له ، مؤسر فى سفر فعرض لهم اللصوص ، فقال : الويل ان عرفوني ، فقال الحكيم : الويل ان لم يعرفوني .

قيل لفيثا غورث الحكيم : ما بال العلماء ياتون ابواب الاغنياء اكثر مما ياتي الاغنياء ابواب العلماء ، فقال : لمعرفة العلماء بفضل الغني ، وجهل

الاغنياء بفضل العلم :

قال لقمان الحكيم : (سائلا عن الناس) فاي الناس اغنى ، فقالوا : الغنى من المال ، قال : لا ، ولكن الغني من العلم الذى اذا احتيج الى ما عنده وجد ، وان استغنى عنه كفى نفسه (١)

قال الشاعر الفارسى الاديب :

از بي درمى برفت عيسى بفلك

وز پر درمى برفت قارون بدرك

گر زانكه كسى زكس بزر به بودي

عيسى بدرك رفتى وقارون بفلك

ومن كلام امير المؤمنين عليه السلام الذي قال لكميل بن زياد ﴿ وصنع المال بزول بزواله ﴾ (٢)

قال ابن ابي الحديد المعتزلي في شرح هذه الجملة من كلامه عليه السلام .

فاما قوله : وصنيع المال بزول بزواله ، فتحته سر دقيق حكمي ، وذلك لآن المال انما يظهر اثره ونفعه فى الامور الجسمانية ، والملاذ الشهوانية . كالنساء والخيل والابنية والمأكل والمشرب والملابس ونحو ذلك . وهذه الاثار كلها تزول بزوال المال او بزوال رب المال . الا ترى انه اذا زال المال اضطر صاحبه الى بيع الابنية والخيل والاماء ، ورفض تلك العادة من المآكل الشهية ، والملابس البهية ، وكذلك اذا زال رب

(١) مختار الحكم ص ٢٧٣

(٢) خطبة ١٤٣ من خطب نهج البلاغة

المال بالموت ، فانه تزول آثار المال عنده ، فانه لا يبقى بعد الموت آكلا شاربا لابسا . واما آثار العلم فلا يمكن ان تزول ابدا ، والانسان في الدنيا ، ولا بعد خروجه عن الدنيا ، اما فى الدنيا فلأن العالم بالله تعالى لا يعود جاهلا به ، لان انتفاء العلوم البديهية عن الذهن وما يلزمها من اللوازم بعد حصولها محال ، فاذا قد صدق قوله عليه السلام فى الفرق بين المال والعلم : (ان صنيع المال يزول بزواله) اى وصنيع العلم لا يزول ، ولا يحتاج الى ان يقول (بزواله) لان تقدير الكلام : وصنيع المال يزول ، لان المال يزول . واما بعد خروج الانسان من الدنيا ، فان صنيع العلم لا يزول ، وذلك لان صنيع العلم في النفس الناطقة اللذة العقلية الدائمة لدوام سببها . وهو حصول العلم في جوهر النفس الذي هو معشوق النفس مع انتفاء ما يشغلها عن التمتع به ، والتلذذ بمصاحبته ، والذي كان يشغلها عنه في الدنيا استغراقها في تدبير البدن ، وما تورده عليها الحواس من الامور الخارجية ، ولا ريب ان العاشق اذا خلا بمعشوقه ، وانتفت عنه اسباب الكدر ، كان في لذة عظيمة فهذا هو سر قوله ﴿ وصنيع المال يزول بزواله ﴾ (١)

ومن جملة كلامه عليه السلام الذي قاله لكميل بن زياد النخعي .

يا كميل بن زياد ، (هلك خزان الاموال وهم احياء ، والعلماء باقون ما بقى الدهر ، اعيانهم مفقودة ، وامثالهم فى القلوب موجودة) (٢) .

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١٨ ص٣٤٩

(٢) خطبة ١٤٣ من خطب نهج البلاغة

قال ابن ابي الحديد المعتزلي فى شرح هذه الجملة من كلامه عليه السلام .

(هلك خزان الاموال وهم احياء) وذلك لان المال المخزون لافرق بينه وبين الصخرة المدفونة تحت الارض ، مخازنه هالك لا محالة ، لانه لم يلتذ بانفاقه ، ولم يصرفه فى الوجوه التي ندب الله تعالى اليهـــا ، وهذا هو الهلاك المعنوي ، وهو اعظم من الهلاك الحسي .

ثم قال عليه السلام : (والعلماء باقون ما بقى الدهر) هذا الكلام له ظاهر وباطن ، فظاهره قوله (اعيانهم مفقودة ، وامثالهم فى القلوب موجودة) اى آثارهم وما دونوه من العلوم ، فكانهم موجودون ، وباطنه انهم موجودون حقيقة لا مجازا ، على قول من قال ببقاء الانفس : وامثالهم في القلوب كناية ولغز ، ومعنـــاه ذواتهم في حظيرة القدس ، والمشاركة بينها وبين القلوب ظاهرة ، لان الامر العام الذي يشملها هو الشرف ، فكما ان تلك اشرف عالمها ، كذا القلب اشرف عالمه ، فاستعير لفظ احدهما وعبر به عن الآخر (١)

قوله عليه السلام : هلك خزان الاموال وهم احياء ، والعلماء باقون ، قال الشيخ عبد العظيم الربيعي فيه شعرا وفه دره .

خازن المال هالك وهو حي غير ان البقاء للعلماء
فهمو يفقدون عينا وامثا لهمو فى ضمائر الاحيـــاء

---

(١) خطبة ١٤٣ من خطب نهج البلاغة

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج١٨ ص٣٥٠

المفاخرة بين العلم والمال

قال الامام امير المؤمنين علي عليه السلام : العلم سلطان ، من وجده صال به ، ومن لم يجده صيل عليه . (١)

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ان كان لك مال فلك حسب ، وان كان لك خلق فلك مروءة ، وان كان لك دين فلك كرم . (٢)

وقد مضى بحث لطيف راجع فى الموضوع اى (العلم والمال) آنفاً ، وذكرنا فيه الآيات الكريمة والروايات الشريفة وكلمات الحكماء الاجلاء واقوال العلماء والادباء التي وردت بشأن العلم والمال .

ورأيت مقالا جيداً تحت عنوان (المفاخرة بين العلم والمال) بقلم المرحوم السيد محسن الامين العاملي ، فبادرت بكتابته وتقديمه الى القراء الأعزاء لاجل ان يستفيدوا منه استفادة كاملة .

ويوجد فيه بعض الاشعار والعباراب متكررة بالنسبة الى المبحث المقدم الماضي ، واننا لم نحذف الموارد المتكررة ، خوفا لعدم رضاية مؤلفه ولسلامة المتن وحفظ الامانة ، وقال السيد المرحوم :

حدثنا عبد الله المعروف بالخيال وعبد الواحد المسمى بالفكر الجوال ، قال : خرجنا من بلدتينا المسماتين بالمخيلة والمفكرة ، ومعنا صاحب لنا يسمى الحس المشترك وجعلنا نتعسف المهامة والقفار ، حتى ساقتنا الاقدار ، الى مدينة مطردة الانهار ملتفة الاشجار . فبينما نحن نمشي في ازقتها واذا

(١-٢) معادن الجواهر ج٢ ص٣٧٨/٣٨٢

قد قابلنا باب دار مفتوح فدنونا منه ونظرنا واذا بدار فسيحة الارجاء مشيدة البناء فطلبنا الاذن في الدخول من البواب ، فانعم في الجواب ، فلما دخلنا رأينا دارا لم نر مثلها في المخيلة ولا فى المفكرة مع ان فيها العجب العجاب ، واعترف رفيقنا الحس المشترك انه لم يمر عليه مثلها الى اليوم ، في يقظة ولا نوم ، فدنونا ، من صدر الدار واذا بمجلس قد زين بانواع الرياش ، واصناف الفراش ، وفيه قوم جلوس تسطع من وجوههم الانوار ، وعليهم سيماء الهيبة والوقار ، وبينهم رجل جليل القدر عظيم الشأن على رأسه تاج وقد جلس في صدر المجلس وجلس الكل متأدبين بين يديه فجلسنا ناحية متأدبين .

ثم سألنا بعض من يتولى الخدمة عن هؤلاء الجالسين ، فقال : اما ذلك الرجل الجالس في صدر المجلس الذي على راسه التاج والكل متأدبون بين يديه ، فهو الملك واسمه (العقل) واما الرجل الجالس الى جانب الملك الذي عليه آثار الأبهة والجلالة فهو (الشجاعة) واما الاخر الذي الى جانبه الذي ترى اهل المجلس مقبلين عليه بكلهم فهو اخوه وشقيقه (الكرم) واما ذلك الصبيح الوجه المحبوب الى القلوب الجالس فى طرف المجلس فهو (التواضع) واما الآخر الجالس الى جانبه الذي يغلب عليه التبسم فهو (حسن الخلق) واما ذلك الذى يحدث القوم ويجرى في حديثه كالسيل فهو (الفصاحة) واما الاخر الذى يتناوب معه في الحديث فهو (البلاغة) واما ذلك المطرق الذى تعلوه السكينة والوقار فهو (الحلم) واما الرجل الذى الى جانبه المطرق المتفكر فهو (التأني) واما ذلك الملتحف بازاره المتحزم بثيابه العاض على نواجذه فهو (الصبر) واما

ذلك الرث الهيئة الجالس في طرف المجلس مقابل التواضع فهو (الفقر) ﴿ الفقر ﴾ وما زال يعدد لنا اسماء الجالسين حتى انتهى الى آخرهم ، فبينما نحن كذلك اذ اقبل شيخ بهي المنظر صبيح الوجه عليه سيماء العظمة والجلالة والنور يسطع من جبهه وخلفه كهل يشبهه في صباحة الوجه وحسن الهيئة والخلق والخلق فكانه اخوه وشقيقه فلما بصر الحاضرون بالشيخ قاموا اجلالا له على الاقدام ، ووفوه حقه من التبجيل والاحترام ، وتنحوا له عن صدر المجلس وقام اليه الملك واجلسه الى جانبه وجلس الباقون متأدبين بين يديه .

بعد ان تسابقوا الى تقبيل يده والسلام عليه ، وجلس الكهل الى جانب الشيخ فسألنا عنهما ، فقالوا : اما الشيخ فهو (العلم) واما الكهل الذي معه فهو (العمل) ثم اقبل من بعدهما شاب نظيف الثياب ، طيب الريح ، ذي وجه صبيح ، عليه آثار النعمة ، فسألنا عنه . فقالو : هذا هو (المال) فتقدم الى الملك وحياه بتحية الملوك ، ثم استأذنه فى الجلوس فاذن له فجلس في يسار المجلس مقابل العلم ، فلما استقر به المجلس ، اقبل على العلم من بين القوم وحياه بالسلام .

قائلا : السلام عليك ايها الشيخ الجليل .

(العلم) وعليك السلام ايها الشاب الظريف ورحمة الله وبركاته .

﴿ المال ﴾ قد روينا في صحيح الاخبار عن اهل بيت النبي المختار صلى الله عليهم اجمعين ، ان من الجفاء ان يصحب الرجل الرجل ولا يسأله عن اسمه وكنيته ، فمن انت ايها الشيخ .

(العلم) انا العلم ابو الفضائل .

﴿ المال ﴾ حياك الله وبياك ، الحمد لله الذي وفقني للقائك فطالما كنت مشتاقا الى رؤيتك لما اسمعه من الثناء الجميل عليك .

« العلم » ومن انت ايها الشاب .

« المال » انا المال ابو المفاخر .

« العلم » قدمت خير مقدم مرحباً بك واهلا وسهلا .

« المال » كيف حالك ياسيدي .

« العلم » انا بخير لولا ما اقاسيه من هجر اكثر الناس لي والتفريق بيني وبين العمل اخي وصاحبي هذا الجالس بجانبي وانت كيف حالك .

« المال » انا في احسن حال ، لاني لا اصاحب الا الاغنياء والوجهاء والعظماء ، واتباعد عن اهل الهيئة الرثة والثياب القذرة المسمين بالفقراء الا انني قد ابتلى بصحبة البخلاء فيطيلون حبسي ، ويمنعونني عن التصرف في نفسي ، ويضيقون مني الانفاس ، ويمنعونني عن معاشرة الناس ، ولا يدعونني استنشق الهواء او ارى الضياء وانشد :

انت للمال اذا امسكته　　فاذا انفقته فالمال لك

« العلم » اسأل الله ان يجعلك دائما في صحبة الكرماء والاسخياء ويعجل خلاصك من ايدي البخلاء إنه سميع الدعاء وانشد :

لا يعرف المال الاريث ينفقه　　او يوم يجمعه للنهب والبدد

﴿ المال ﴾ وانا اسأله تعالى ان يلهم اهل عصرنا الاقبال عليك وان لا يفرقوا بينك وبين اخيك وصديقك العمل انه سميع مجيب وانشد :

ولم يحمدوا من عالم غير عامل ولم يحمدوا من عامل غير عالم

(العلم) —

آمين آمين لا ارضى بواحدة حتى اضيف اليها الف آمينا

(المال) حقاً انك اخي الشقيق دون كل مخلوق فبك وبي حياة العالمين ، وانتظام امر الدنيا والدين وما انا وانت في الفضل وعلو الشأن الا ككفتي ميزان وانشد : —

ما احسن العلم حيث المال يعضده واقبح الجهل والافلاس بالرجل

(العلم) لا تعط العبد كراعاً فيطلب ذراعاً اراك ايها الشاب قد تعديت طورك ولم تقف عند حدك وغرك شبابك وزهو نفسك وانشد :

تناول سرحان فريسة ضيغم فقضقضه بالكف منه وحطما

(المال) ولماذا ايها الشيخ الجليل والفاضل النبيل تنسبني الى تعدي طوري وتقتصر بي عن غيري وانشد :

لساني طويل فاحترس من شذاته عليك وسبقي من لساني أطول

وانشد ايضاً :

ألم تعلموا اني صبور على الوغى سريع الى الداعي اذا كثر القتل

(العلم) لانك ساويت نفسك بمن لا تساويه ، وتشبهت بمن لست له بشبيه وانشد :

من تحلى بغير ما هو فيه كذبته شواهد الامتحان

(المال) أولست انا وانت سيان في الفضل ، بل رأيت كثيراً من الناس يقدمونني عليك عند العقد والحل وانشد :

ارى كل ذي مال يبر بماله وان كان لا اصل هناك ولا فصل

فشرف ذوي الاموال حيث لقيتهم فقولهـــم قـــول وفعلهم فعل

(العلم) كلا لقد فضلني الله عليك ورفع قدري فوق قدرك وما فضلك علي الا أهل الجهل الذين هم كالانعام بل هم اضل سبيلا وانشد :

لا تدخر غير العلو م فانها نعم الذخائر
والمرء لو ربح البقا معع الجهالة كان خاسر

﴿ المال ﴾ مالك ايها الشيخ قد سارعت الى الجدال والخصام وتعمدت خشونة الكلام ، فان ظننت اني عنك عاجز ، فها انا لك مناجز ، وان جنحت للسلم فذلك احب الي وانشد :

ان تركبوا فركوب الخيل عادتنا او تنزلون فانا معشر نزل

وانشد ايضاً :

نصحتك فالتمس ياويك غيري طعاماً ان لحمي كان مرا

﴿ العلم ﴾ :

هذا أوان الحرب فاشتدي زيم قد لفها الليل بساق حطم
ليس براعي ابل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم

اني والله لاكره الخصومة كراهة ما عليها من مزيد ولكن لابد للحر الكريم من ان يحمي حوزته ويدافع عن حقه وانشد :

اظن الحلم دل على قومي وقد يستجهل الرجل الحليم
ومارست الرجال ومارسوني فمعـوج علي ومستقيم

وانشد ايضاً :

ومن لم يذد عن حوضه بسنانه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن يعص اطراف الزجاج فانه يطيع العوالي ركبت كل لهذم

وانشد ايضاً :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

﴿ المال ﴾ قد كان يبلغني عنك انك تحب التواضع وتكره الفخر فقد رأيت غير ما سمعت ورب مشهور لا اصل له وانشد :

اذا النفس جاءها ما يهيجها تبين ذو حلم ومن يتحلم

فان كنت تظن اني عاجز عن منازلتك فاني والله كما قال الاول :

اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

ويمشي اذا ما الموت كان امامه كذا الشبل يحمي الانف ان يتأخرا

﴿ العلم ﴾ اني وان كان التواضع مشربي ، والفخر ليس من مذهبي الا ان الضرورة تدعوني الى بيان حسبي ونسبي ، لئلا يغتر الجاهل بكلامك هذا فيظن ان منصبك يساوي منصبي ، فتأخر حيث اخرك الله ولا تقس نفسك بي وانشد :

وللحلم اوقات وللجهل مثلها ولكن ارقاني الى الحلم اقرب

وانشد ايضاً :

العلم فيه جلالة ومهابة والعلم انفع من كنوز الجوهر

تفنى الكنوز على الزمان وصرفه والعلم يبقى باقيات الاعصر

﴿ المال ﴾ مهلا ايها الشيخ غض من جماحك وكف عن حماسك فاني لست دونك فى الفضل وانا ثمن الدنيا والآخرة وقوام العالم ولولاي لم تكن انت شيئاً مذكورا فبسببي حصلك اهلوك وحازك ذووك وبي تعمر المدارس وتجهز الجيوش وتحرز الجنات واراك تفخر علي بغير دليل قاطع ولا برهان ساطع وانشد :

سأعمل نص الميس حتى يكفني　　غنى المال يوما اوغنى الحدثان
فللموت خير من حياة يرى لها　　على المرء بالاقلال وسم هوان
اذا قال لم يسمع لحسن مقاله　　وان لم يقل قالوا عديم بيان

وانشد ايضاً :

ولي فرس للحلم بالحلم ملجم　　ولي فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن شاء تقويمي فاني مقوم　　ومن شاء تعويجي فاني معوج

﴿ العلم ﴾ لقد أخطأت المرمى وما اصبت الغرض فهل تكون ثمنا للدنيا والآخرة الا بي ولو لم اهدك الطريق لكنت سببا لخسران الدنيا والآخرة واما قولك بعجبي حصلك اهلوك فما احراه بقول من قال ﴿ اقلب تصب ﴾ ولولا بعض ولدي المسمى بعلم الحساب لاقتسمتك الذئاب وكيف تساويني في الفضل والشرف ويمدحي قد نطق القرآن العظيم ، وفاه النبي الكريم عليه وعلى آله افضل الصلوة والتسليم ، قال الله تعالى ﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون . انما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ وجاء في السنة الزهراء ﴿ العلماء ورثة الانبياء ﴾ وقال امير المؤمنين علي بن ابيطالب عليه السلام : العلم سلطان ، من وجده صال به ومن لم يجده صيل عليه ، وقال عليه السلام : العلم افضل الكنوز واجملها خفيف الحمل عظيم الجدوى ، في الملأ جمال وفي الوحدة انس ، وقال عليه السلام ، العالم مصباح الله في ارضه فمن اراد الله به خيرا اقتبس منه (وقال عليه السلام) الجاهل صغير وان كان شيخا ، والعالم كبير وان كان حدثا وقال حكيم الشعراء :

رضينا قسمة الجبار فينا　　لنا علم وللجهال مال
فان المال يفنى عن قريب　　وان العلم باق لا يزال

وقال آخر :

مضى ذكر الملوك بكل عصر وذكر السوقة العلماء باقي

وينسب الى امير المؤمنين علي بن ابى طالب عليه السلام :

ما الفضل الا لاهل العلم انهم على الهدى لمن استهدى ادلاء

ففقم بعلم ولا تطلب به بدلا فالناس موتى واهل العلم احياء

« المال » سبحان الله احفظت ما جاء في حقك من المدح ونسيت ما ورد فى حقي ، فكنت كما قال الشاعر :

يا ايها المدعي في العلم فلسفة حفظت شيئا وغابت عنك اشياء

« العلم » وما جاء فى حقك من المدح قل حتى اسمع :

« المال » اما سمعت قول الله تعالى ﴿ مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مأة حبة والله يضاعف لمن يشاء » اما سمعت ما جاء فى السنة المطهرة فى حق المتصدقين من المدح والثناء العظيم مما شاع وذاع وملأ الاسماع وقال الشاعر :

قد قال قوم بغير علم ما المرء الا باصغريه

فقلت قول امرىء حكيم ما المرء الا بدرهميه

من لم يكن درهم لديه لم ترض عرسه عليه

وقال الآخر :

ذريني للغنى اسعي فاني رأيت الناس شرهم الفقير

وقال الآخر :

جذلان يعلم ان المال ساق له ما لم يسقه له دين ولا خلق

فمن يكن عن كريم الناس يسألني فاكرم الناس من كانت له ورق

وقال آخر :

اجلك قوم حين صرت الى الغنى　　وكل غني في العيون جليل

وقال آخر :

اني مقيم على الزوراء اعمرها　　ان الكريم على الاخوان ذو المال

كل النداء اذا ناديت يخذلني　　الا ندائي اذا ناديت يا مالي

وقال الآخر :

طلبت فنون العلم ابغي بها العلى　　فقصر بي عما سموت به القل

تبين لي ان المحاسن كلها　　فروع وان المال فيها هو الاصل

﴿ العلم ﴾ سبحان الله ، اين قول الله تعالى هذا من الثناء عليك هذا ثناء على المنفقين والمتصدقين لا عليك واني اراك في هذا الافتخار كما قيل :

(افتخرت الفرعاء بشعر خالتها) وقيل للبغل من ابوك ، فقال : (خالي الفرس) وما رأيت لك في الكتاب العزيز والسنة المطهرة الا الذم والتوبيخ ، قال الله تعالى :

(المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا) وانا من الباقيات الصالحات ، وقال تعالى (انما اموالكم واولادكم فتنة) وقال أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام (في المال ثلاث خصال مذمومة ، اما ان يكتسب من غير حقه او يمنع انفاقه في حقـــه او يشتغل باصلاحه عن عبادة الله تعالى) واما مااستشهدت به من الشعر فهو عليك لا لك لو عقلت فانه ذم للمال في صورة المدح ولو اتممت الابيات الرائية لعلم الحاضرون ما فيها من الذم العظيم لك حيث يقول بعد هذا البيت :

وابعدم واهونهم عليهم　　وان امسى له حسب وخير

يباعده الندي وتزدريـــه　　حليلته وينهره الصغير

وتلقى ذا الغنى وله جلال يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل عيبه والعيب جم ولكن الغنى رب غفور

(المال) الى متى تغالط ايها الشيخ في استدلالك تريد ان تغمط فضلي وتحط من قدري فان زعمت انه لا فضل لي الا بانفاقي في سبيل الله فانت لا فضل لك الا بالعمل قال (عليه السلام) العلم بلا عمل كالشجر بلا ثمر ، بل العالم غير العامل شر من الجاهل ، وهل تريد برهاناً على ذلك اعظم من علم ابليس وبلعم بن باعورا ، فهل نفعها علمها اذ لم يقرناه بالعمل وانشد :

ما بال عينك لاترى اقذاءها وترى الخفي من القذى يجفوني

وانشد ايضاً :

وكل امرئ يرنوا الى عيب غيره سريعاً وتعمى عينه عن عيوبه

وانشد ايضاً :

لا تهتكن من مساوي الناس ما ستروا فيهتك الله ستراً عن مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم اذا ذكروا ولا تعب احداً منهم بما فيكا

﴿ العلم ﴾ لقد نسبتني الى المغالطة والمغالط انت انا بشرطي خير منك وافضل واشرف واجل ، انا ميراث النبيين ومرشد المسترشدين والموصل الى معرفة رب العالمين ودليل المتحيرين وبي يفتخر النبيون والمرسلون وبك يفتخر الجبارون ، قال سيدالكونين صلى الله عليه وآله ﴿ انا مدينة العلم وعلي بابها ﴾ وقال فرعون : لولا القي عليه اسورة من ذهب ، وقال مشركو قريش : لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فبقربي يفتخر النبيون واما انت فقد افتخروا ببعدهم عنك ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ﴿ الفقر فخري ﴾ وانشد :

العلم يحيي قلوب الميتين كما　　تحيا البلاد اذا مامسها المطر

والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه　　كما يجلي سواد الظلمة القمر

﴿ المال ﴾ لو كان ما تقول حقاً من الذم لي لما طلب سليمان بن داود على نبينا وآله وعليه السلام ملكا لا ينبغي لاحد من بعده ولما ملك ذو القرنين وهو نبي او عبد صالح مشارق الارض ومغاربها ولما طلب يوسف عليه السلام من عزيز مصر ان يجعله على خزائن الارض وانشد :

ساكسب مالا او اموت ببلدة　　يقل بها قطر الدموع على قبري

(العلم) هذا عليك لا لك ، اما علمت ان عدد الانبياء عليهم السلام مأة واربعة وعشرون الف نبي قبل نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فلو كان للمال شرف كما زعمت لكانوا كلهم مثل سليمان عليه وعليهم السلام ومحمد صلى الله عليه وآله افضل من سليمان ومن يوسف عرضت عليه مفاتيح خزائن الارض ولا ينقص من اجره شيء فابى ان يقبلها وانشد :

وكم من قليل المال يحمد فضله　　وآخر ذو مال وليس له فضل

وماسبقت من جاهل قط نعمة　　الى احد الا اضر بها الجهل

(المال) اني اراك كثير الجدل الد الخصام وقد كنت الزمت نفسي ان لا اجادل مثلك وانشد :

ولست بمفراح اذا الدهر سرني　　ولا جازع من صرفه المتقلب

ولا اتمنى الشر والشر تاركي　　ولكن متى احمل على الشر اركب

(العلم) انى لأخشي ان يكون الذي حداك على هذا الكلام العجز عن جوابي فان كان ظهر لك ان الحق في جانبي فلا يمنعك التعصب لنفسك عن الاعتراف بحقي فالعاقل من يقول الحق : ولو على نفسه وانشد :

ما كلف الله نفساً فوق طاقتها ولا تجـود يد الا بما تجد

(المال) كيف يكون الحق في جانبك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله . ان كان لك مال فلك حسب ، وان كان لك خلق فلك مروءة ، وان كان لك دين فلك كرم ، وقال ابن عباس : الدنيا العافية والشباب الصحة ، والمروءة الصبر ، والكرم التقوى ، والحسب المال . وكان سمدبن عبادة يقول : اللهم ارزقني حمدا ومجدا فانه لا حمد الا بفعال ولا فعال الا بمال ، وقال عبد الرحمن بن عوف يا حبذا المال اصـــون به عرضي واتقرب به الى ربي . وقال سفيان الثوري : المال سلاح المؤمن في هذا الزمان . وقالت الحكماء : لا خير فيمن لا يجمع المال يصون به عرضه ويحمي به مروءته ويصل به رحمه ، وقال حكيم لابنه : يا بني عليك بطلب المال فلو لم يكن فيه الا انه عز في قلبك وذل في قلب عدوك لكفى .

(العلم) كفى في تفضيلي عليك قول امير المؤمنين على بن ابي طالب عليه السلام ، لصاحب له يسمى كميل بن زياد ، يا كميل ، العلم خير من المال ، العلم يحرسك وانت تحرس المال ، والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو وينمو على الانفاق ، يا كميل مات خزان المال وهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر اعيانهم مفقودة وانقالهم في القلوب موجودة . وقال الشاعر :

علمي معي حيث ما يممت ينفعني قلبي وعاء له لا بطن صندوق
ان كنت في البيت كان العلم فيه معي او كنت في السوق كان العلم في السوق

(المال) ان نفسي تأبى التسليم لك بالفضل وكيف اسلم بفضلك وانا ارى لنفسي من الفضائل ما ليس لك وانشد :

اذا انت لم تنصف اخاك وجدته على طرف الهجران ان كان يعقل

ويركب حد السيف من ان تضيمه اذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل

(العلم) يا سبحان الله قد وضح الفجر لذى عينين وبان الصدق من المين وجاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا قال متى تركن الى المخالفة فان كان لك برهان فهاته ، او جواب فأت به فانه لا عطر بعد عروس .

(المال) انك رجل قد تعودت على النزاع والجدال ، وتعلمت ترتيب القضايا والاشكال ، ومارست صنوف المخادعة والاحتيال ، وتمرنت على اقامة الادلة والبراهين ، وربيت فى المدارس بين العلماء والمتعلمين ، اما انا فقد ربيت مع التجار من الخان الى الدكان ومن السوق الى الصندوق ومن البيت الى المخزن والذى اظن ان قوة احتجاجك من شدة ذكائك لا ، لان الحق في جانبك وضعف احتجاجي لقلة اطلاعي وان كان الحق معي فانا اريد بيني وبينك حكما عادلا . فتراني ح بحكمه قابلا وانشد :

فان الحق مقطعه ثلاث يمين او نفاد او جلاء (١)

(العلم) والى من تريد ان تحاكمنى وانا الحاكم على الكل فى الكل وانشد

ترى الناس ان سرنا يسيرون خلفنا وان نحن اومأنا الى الناس وقفوا

(المال) احاكمك الى من حكمه الله تعالى على وعليك وجعله دليل عباده عليه وبه يثيب ويعاقب وهو ملكنا المعظم العقل .

(العلم) الآن قد انصفت فسمعا وطاعة لحكم العقل .

(ثم اقبلا) على العقل وقالا : ايها الحاكم العادل والملك العظيم المسلط الذي الى حكمه تنتهي جميع الامور ، انا اتيناك متخاصمين ، فاحكم بيننا بما اراك الله ، فانا بحكمك راضون ولامرك مطيعون .

(١) اراد ان الذي يثبت الحق بيمين او حكومة او بينة .

(العقل) اجلسا متساويين في مجلس الخصمين لأحكم بينكما حكما لا يدانيه جور ولا حيف ثم انشد :

انا اذا مالت دواعي الهوى وانصت السامع للقائل
واعتلج الناس بآرائهم نقضي بحكم عادل فاصل
لا نجعل الباطل حقا ولا ناط دون الحق بالباطل

فجلسا بين يديه متأدبين فقال لهما : تكلما لأسمع خصومتكما .

(العلم) انا العلم وهذا المال وهو يدعى مساواتي في الفضل وانا ادعى التفضيل عليه بحكمك وحكم النقل .

(العقل) ما تقول انت : ايها المال فيما يدعيه خصمك ؟

(المال) اني لا ارى له علي شيئا من الفضل فاحكم انت بيننا ايها الحكم العدل .

(العقل) قد فهمت كلامكما واني ادعوكما الى الصلح والصلح خير وانهاكما عن الجدال والخصام ، فانهما يجلبان الندامة والملام ، فان ابيتما الا القول الفصل حكمت بينكما بمر الحق غير مبال برضى من يرضى ولا بسخط من يسخط (فقالا) بل نريد مر الحق ، فعندها وضع العقل يده على جبهته وفكر ساعة ثم رفع رأسه اليهما وقال : اقول لكما : والحق اقول : ان لكل منكما فضلا ولكل منكما آفة فان سلمتما من الآفات فالفضل للعلم هذا حكمي وقد ابرمته والسلام على من اتبع الهدى

(المال) قد رضيت بما حكمت به ايها الملك العظيم والحاكم العادل ، وانا اعتذر الى العلم واسأله ان يعفو عني ثم تقدم الى العلم وصافحه .

(العلم) قد قبلت عذرك واسأله تعالى ان يبقيك وينميك لتكون لنا

لنا عوناً ويجعلك مصروفا في طاعته آمين .

(العقل) بارك الله فيك ايها المال . لقد سر الملك من اطاعتك وانقيادك سروراً عظيما .

(المال) الحمد لله الذي وفقني للاذعان بالحق وامتثال امر الملك .

(العقل) وانت ايها العلم اياك ان تشمخ بانفك وتفتخر بالغلبة وتغتر بتفضيلي اياك ولا تعرف حق المال عليك فطالما كان السبب في وجودك وحياتك .

(العلم) ما اقبلني لنصح الملك واعرفني بحق المال علي .

(العقل) وانتما ايها العلم والمال تعاضدا وتعاونا على نجاح الامة وسعادتها ولا تنازعا فتفشلا وتذهب ريحكما .

(العلم والمال) سمعا وطاعة لامر الملك الشفيق الناصح .

ثم انفض المجلس والكل مبتهجون بهذا الحكم العادل والوفاق المبارك الميمون ولاهجون بالدعاء لملكهم بطول البقاء والنصر على الاعداء ومثنون عليه اطيب الثناء «١»

العلم والعمل

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : طوبى لمن عمل بعلمه ، وانفق الفضل من ماله .

وامسك الفضل من قوله (٢)

قال الامام الغزالى : العلم شجرة ، والعمل ثمرتها ، ولو قرأت العلم مأة سنة وجمعت الف كتاب ، لا اكون مستعدا لرحمة الله تعالى ، الا

«١» معادن الجواهر ج ٢ ص ٣٨٥ .

(٢) جامع بيان العلم وفضله ج ٢ ص٤ .

بالعمل ، لأن ليس للانسان الا ما سعى ، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ، لان من عمل عملا صالحاً فالئك هم يدخلون الجنة لا يظلمون شيئاً (١) ،

قال بعض المحققين : العلم والعبادة (العمل) جوهران لاجلهما كان كلما ترى وتسمع من تصنيف المصنفين ، وتعليم المعلمين ، ووعظ الواعظين بل لاجلهما انزلت الكتب وارسلت الرسل . بل لاجلهما خلقت السماوات والاوض وما فيهما من الخلق وناهيك لشرف العلم قوله تعالى (الذين خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا) الآية ولشرف العبادة قوله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) فحق للعبد ان لا يشتغل الا بهما ولا يتعب الا لهما (٢) .

وقال بعضهم لاخرون : العلم والعمل شيئان متلازمان . لان العلم كالأس والعمل كالبناء . وكما لا يغني أس ما لم يكن بناء ، ولا يثبت بناء ما لم يكن أس كذلك لا يغني علم بغير عمل ، ولا عمل بغير علم . وكذلك قال الله تعالى (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) والعلم اشرفهما لكنه لا يغنى بغير عمل ، ولشرفه . قال رجل للنبي صلى الله عليه وآله : ايما الاعمال افضل يا رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : العلم ، فاعاد عليه السؤال ، فقال : العلم . فقال الرجل : في الثالثة اسألك عن العمل ، لا عن العلم ، فقال صلى الله عليه وآله : عمل قليل مع العلم خير من عمل كثير مع الجهل (٣) .

---

(١) مجاني الادب ج ١ ص١٧ .

(٢) سفينة البحار ج ٢ ص٢٢١ .

(٣) العابدون ص١٢ .

قال حكيم من الحكماء : القلب ميت وحياته بالعلم ، والعلم ميت وحياته بالطلب ، والطلب ضعيف وقوته بالمدارسة ، فاذا قوى بالمدارسة فهو محتجب واظهاره بالمنازره ، واذا ظهر بالمناظره فهو عقيم ، ونتاجه بالعمل . فاذا زوج العلم بالعمل توالد وتناسل ملكا ابديا لا آخر له ، وان نملة واحدة نالت الرياسة بمسألة واحدة ، علمتها وذلك قولها (وهم لا يشعرون) (١) .

وقال بعضهم ايضاً : لا تتم اربعة اشياء الا باربعة اشياء . لا يتم الدين الا بالتقوى . ولا يتم القول الا بالفعل . ولا تتم المروءة الا بالتواضع ، ولا يتم العلم الا بالعمل .

فالدين بلا تقوى على الخطر ، والقول بلا فعل كالهدر ، والمروءة بلا تواضع كشجرة بلا ثمر ، والعلم بلا عمل كغيث بلا مطر (٢) .

قال بعض الحكماء : لولا العقل لم يكن علم ، ولولا العلم لم يكن عمل ، ولان ادع الحق جهل به خير من ادعه زهداً فيه .

وقالوا ايضاً : من حجب الله عنه العلم عذبه على الجهل واشد منه عذابا ، من اقبل عليه العلم فادبر عنه ، ومن اهدى الله اليه علماً فلم يعمل به .

وقالوا ايضاً : قالت الحكمة : ابن آدم ، ان التمستني وجدتني في حرفين تعمل بخير ما تعلم وتدع شر ما تعلم .

وقال ابو الدرداء : ويل لمن لا يعلم ولا يعمل مرة . وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات .

وقال عيسى بن مريم عليه السلام : من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما

---

(١) تفسير غرائب القرآن ج١ ص٨٣ .

(٢) تفسير مفاتيح الغيب ج٢ ص١٨٥ .

في ملكوت السموات (١) اخذه بكر بن حماد فقال :

واذا امرؤ عملت يداه بعلمه نودى عظيما فى السماء مسودا

وايضاً قال عيسى ابن مريم للحواريين : نحن اقول لكم . ان قائل الحكمة وسامعها شريكان ، واولاهما بها من حفظها بعمله ، يابنى اسرائيل ، ما يغنى عن الاعمى معه نور الشمس وهو لا يبصرها ، وما يغنى عن العالم كثرة العلم وهو لا يعمل به (٢) .

وقال بعض العلماء : اطلب خمسة فى خمسة ، الاول اطلب العز في التواضع لا في المال والعشيرة ، والثاني اطلب الغنى في القناعة لا في الكثرة والثالث : اطلب الأمن فى الجنة لا في الدنيا ، والرابع اطلب الراحة فى القلة لا في الكثرة ، والخامس اطلب منفعة العلم في العمل لا في كثرة الرواية «٣» .

قال رجل لابراهيم بن ادهم : قال الله عز وجل « ادعونى استجب لكم » فما لنا ندعوا فلايستجاب لنا ، فقال إبراهيم : من اجل خمسة اشياء ، قال وما هي . قال عرفتم الله جل جلاله فلم تؤدوا حقه ، وقرأتم القرآن فلم تعملوا بما فيه ، وقلتم نحب الرسول صلى الله عليه وآله وتركتم سنته ، وقلتم نلعن ابليس واطعتموه ، والخامسة تركتم عيوبكم واخذتم فى عيوب الناس «٤»

ويقال ان في الانجيل مكتوبا : لا تطلبوا علم ما لم تعملوا حتى تعملوا بما

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ج٢ ص٥ .

(٢) جامع بيان العلم وفضله ج ٢ ص٥

(٣) تفسير مفاتيح الغيب ج ٢ ص ١٨٢ .

(٤) جامع بيان العلم وفضله ج٢ ص٥ .

علمتم «١» وروى أيضاً . انه جاء رجل الى علي بن الحسين عليهما السلام ، فسأله عن مسائل ، فاجاب ، ثم عاد ليسأل عن مثلها ، فقال علي بن الحسين عليهما السلام : مكتوب في الانجيل ، لا تطلبوا علم ما تعلمون ، ولما تعملوا بما علمتم ، فان العلم اذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه الا كفرا ، ولم يزدد من الله الا بعدا (٢) .

وقال المولى محمد صالح المازندراني في شرح هذا الحديث الشريف .

(جاء رجل الى علي بن الحسين عليهما السلام فسأله عن مسائل) اي عن مسائل متعلقة بالعمل بقرينة السياق (فاجاب ثم عاد ليسأل عن مثلها) اي عن مسائل مماثلة لها في تعلقها بالعمل ، (فقال عليه السلام : مكتوب في الانجيل) فيه تنبيه على ان الحكم الآتي غير مختص بهذه الشريعة ، بل كان في الشرايع السابقة ايضاً (لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ولما تعملوا بما علمتم) اي الأولى والانسب بحالكم ترك طلب العلم اذا تركتم العمل بما علمتموه ، وفيه دلالة على امور ، الاول :

جواز ترك التعليم اذا لم يعمل المتعلم بما علمه والنهي عنه في بعض الروايات مقيد بما اذا كان المتعلم عاملا . الثاني :

ان ذلك الرجل السائل لم يعمل بما سأل عنه من المسائل ، فكأن مجلس السؤال كان متعددا كما يشعر به لفظ (ثم) ومضى وقت العمل بها والا فلا وجه لزجره عن السؤال ، الثالث :

ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ينبغي ان يكون بالرفق ولين القول (فان العلم اذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه الا كفرا) اي جحودا وانكارا لما

(١) جامع بيان العلم وفضله ج٢ ص٥ ، (٢) اصول الكافي ج ١ ص٧٩ .

علمه اذ لو كان له اقرار به لما تركه وهذا اسوء حالا من الجاهل لخلو الجاهل عن الاقرار والانكار جميعا او جحودا او انكار لنعمة العلم . فان العلم من جلائل نعم الله تعالى فشكره وهو العمل به واجب وتركه كفر وجحود لتلك النعمة ، او جحودا وانكارا لاستحقاقه تعالى بالعبادة والعمل له ، اذ لو كان له اعتقادا بذلك اعتقادا صحيحا ثابتا لما اقدم على ترك العبادة والعمل له . او المراد بالكفر تغطية الحق وستره وافشاء الباطل واعلانه . ثم الظاهر ان هذا التعليل منه عليه السلام لما في الانجيل ويحتمل ايضاً ان يكون مكتوبا فيه والله اعلم (ولم يزددمن الله الابعدا) اى لم يزددالابعدا من رحمته واكرامه في الآخرة وقبول هدايته وانعامه في الدنيا . وانما قال : (ولم يزدد) من الازدياد لما فيه من المبالغة في البعد ، لان العمل موجب للقرب منه تعالى فتركه فى نفسه مع وخامة ما يتبعه من الامراض النفسانية المهلكة موجب لزيادة البعد فكيف اذا انضم معه العلم الموجب لزيادة السخط والغضب «١» .

وفي الحديث الشريف ، اذا اظهر الناس العلم ، وضيعوا العمل ، وتحابوا بالالسن ، وتباغضوا بالقلوب ، وتقاطعوا الارحام ، لعنهم الله تعالى عند ذلك فاصمهم واعمى ابصارهم «٢» .

وقال بعض الادباء : العلم مقلوب من العمل ، فان العلم فعل القلب ، والعمل فعل الجارحة وهو يبرز عن الذي هو العلم .

قال بعض الشعراء :

يا من تقاعد عن مكارم خلقه ... ليس التفاخر بالعلوم الفاخره

من لم يهذب علمه اخلاقه ... لم ينتفع بعلومه في الآخرة

---

(١) شرح اصول الكافى للمولى محمد صالح المازندراني ج٢ ص ١٧٠

(٢) تفسير مقتنيات الدرر ج١ ص ١٠٥

وايضا قال بعضهم من الشعراء :

يا طالب العلم صارم كل بطال　　وكل غاو الى الاهواء ميال

واعمل بعلمك سرا او علانية　　ينفعك يوما على حال من الحال

عن اسماعيل بن جابر ، عن ابي عبد الله عليه ، قال : العلم مقرون الى العمل ، فمن علم عمل ومن عمل علم والعلم يهتف بالعمل ، فان اجابه والا ارتحل عنه «١»

قال المولى محمد صالح المازندراني في شرح هذا الحديث الشريف ايضا (عن ابي عبد الله عليه السلام ، قال : العلم مقرون الى العمل) قيل : يعني العلم مقرون في كتاب الله مع العمل كقوله تعالى (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وعلق المغفرة والنجاة عليهما والاظهر انه اخبار بان العلم لا يفارق العمل ، لان من رسخت معرفته وتنور قلبه بنور العلم زينت جوارحه واركانه بحلل الاعمال لما عرفت من ان العلم دليل وباعث عليه وبهما يتم الحقيقة الانسانية ويحصل الاستحقاق للكرامة الابدية (فمن علم عمل ومن عمل علم) قيل : هذا امر في صورة الخبر ، يعني يجب ان يكون العلم مع العمل بعده ، والعمل مع العلم قبله ، والا ظهر انه اخبار بان كل واحد من العلم والعمل لا يفارق صاحبه ، وقد شبه المحقق الطوسي ، العلم بالصورة ، والعمل بالمادة وقال :

فكما لا وجود للمادة بلا صورة ولا ثبات للصورة بلامادة فكذلك لا وجود لعمل بلا علم ، ولا ثبات لعلم بلا عمل ، واذا اجتمعا حصل الغرض الاصلي من خلق الانسان .

اقول : سر ذلك ان المراد بالعلم ، العلم المعتبر عقلا وشرعا وهو الذي

«١» اصول الكافي ج ١ ص٩٧

خرج من حد الحال الى حد الرسوخ والملكة ، وهذا العلم لا ينفك عنه آثاره قطعاً ، ومن جهاتها الاعمال الحسنة . وكذلك المراد بالعمل ، العمل الموجب للقرب من الحق والدخول في زمرة المقربين وهذا العمل لا يفارق عنه العلم اصلا . فبينهما تلازم كما بين المادة والصورة ، فكل علم لم يكن معه عمل فهو حال مقرون بالاستخفاف بالدين ومثل هذا العلم لكونه حالا ومشتملا على الاستخفاف ومع امكان زواله لحصول اسباب الزوال وموانع الرسوخ ليس بعلم حقيقة ، وكل عمل لم يكن معه علم فهو متضمن للبدعة والفساد على اليقين ، لأن مايفسد العامل الجاهل اكثر مما يصلح ومثل هذا العمل ليس بعمل حقيقة .

﴿ والعلم يهتف بالعمل ، فان اجابه والا ارتحل عنه ﴾ فى المغرب الهتف الصوت الشديد من باب ضرب ، وهتف به صاح به ودعاه وتقول : سمعت هاتفا يهتف ، اذا كنت تسمع الصوت ولا تبصر احدا ، شبه العلم بمن يدعو صاحبه فى محل موحش . فاستعير الهتف والارتحال له .

وحاصل الكلام ، ان العلم باعث على العمل ودليل عليه والعمل حافظ له وسبب لبقائه ، فان عمل العالم بمقتضى علمه دام نور قلبه من العلم والا زال عنه ، توضيح ذلك ان العلم نور الهي وسراج ربانى يتنور القلب به بالافاضة اما بالكاشفة او بالكسب والتعليم ، وهو سبب لحالات اخرى للقلب مثل الشوق والعزم على العمل الموجب لقرب الحق ، والعمل له تأثير عظيم في صفاء القلب وازالة الظلمة والحجاب عنه ، وهو بذلك سبب لحفظ العلم وحراسته كما ان ترك العمل وهو ذنب له تأثير فى ظلمة القلب وكدورته واحتجابه بالغشاوة الموجبة لزوال العلم ، لان احاطة الظلمة وسواد الكدورة بجزء من القلب يوجب خروج نور العلم منه حتى اذا احاطت الظلمة بجميع

اجزائه خرج عنه نور العلم بالكلية ، وبما ذكرنا يظهر حقيقة قوله عليه السلام ﴿ والعلم يهتف بالعمل ﴾ لان العلم سبب للعمل ودليل عليه ، والسبب يدعو المسبب ويطلبه فان اجابه وتبعه بقى العلم واستمر ثباته ، لان العمل يصلح مرآة القلب ويصقله آنا فآنا فيستمر فيضان نور العلم وانتفاش شعاعه وبذلك يتم نظام القلب ويكمل استقامته وينتظم سياسته وان لم يجبه ولم يتبعه ارتحل العلم وزال ، لان وجه المرآة مسود مظلم ، والظلمة ضد النور ، واذا غلب احد الضدين ، على الآخر واخذ محله زال الآخر عنه قطعا (١) .

العلم يهتف بالعمل ، فان اجابه والا ارتحل عنه وللشيخ عبد العظيم الربيعي فيه بيت :

العلم يهتف بالعمل　　فاذا اجاب او ارتحل
فاعلم لتعمل ثم تبلغ　　في زيادته الامل (٢)

وقال ايضاً بعضهم من الشعراء :

العلم تهيف بالعمل　　فاعمل تنل كل الجمل
بالعلم يخشى الله من　　كل عليم قد وصل
العلم كشف الحجب　　عن سر الحقايق في الازل
علم يقين بعده　　عين اليقين بلا وجل
من بعده حق جلى　　حق اليقين لمن عقل
من بعد ذا فوق المقام　　كبرى الولاية فاتصل
وصل هو الفضل الذي　　يجلي الضياء لمن نهل

---

(١) شرح اصول الكافى للمولى محمد صالح المازندراني ج ٣ ص ١٦٧

(٢) ديوان الربيعي ج١ ص٧٣

من بعد ذلك خطوة للفرد تجلي والبطل
مجلي كمال باطن عن كل جهد اوأمل
نور خفي غيب جلى للفرد فى التفريد حل

قال بعضهم من العلماء الابرار : ما يغني عنك ما جمعت من علم العلماء وانت تجري فى العمل مجرى السفهاء (١) .

عن ابى الدرداء ، قال : لا تكون تقياً حتى تكون عالماً ، ولا تكون بالعلم جميلا حتى تكون به عاملا .

ان سفيان الثوري كان ينشد متمثلا وهى لسابق البلوى فى شعره مطول

اذا العلم لم تعمل به كان حجة عليك ولم تعذر بما انت جاهله
فان كنت قد اوتيت علماً فانما يصدق قول المرء ما هو فاعله

عن امير المؤمنين علي عليه السلام ، انه قال : يا حملة العلم اعملوا به ، فانما العالم من علم ، ثم عمل ، ووافق علمه عمله . وسيكون اقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم تخالف سريرتهم وعلانيتهم ويخالف عملهم علمهم ، يقعدون حلقا فيباهى بعضهم بعضا حتى ان الرجل ليغضب على جليسه ان يجلس الى غيره ويدعه اولئك لا تصعد اعمالهم في مجالسهم تلك الى الله عز وجل (٢) .

عن ابى بن كعب ، قال : تعلموا العلم واعملوا به ، ولا تتعلموه لتتجملوا به . فانه يوشك ان طال بكم زمان ان يتجمل بالعلم . كما يتجمل الرجل بثوبه .

قال بعض الحكماء : اذا كانت حياتي حياة السفيه ، وموتي موت الجاهل فما يغنى عنى ما جمعت من غرائب الحكمة

(١) مجموعة ورام ج٢ ص٢١٣ .

(١) جامع بيان العلم وفضله ج٢ ص٧ .

قال عبد الملك بن ادريس الحزيري الوزير الكاتب :

والعلم ليس بنافع اربابه ما لم يفد عملا وحسن تبصر
سيان عندي علم من لم يستفد عملا به وصلاة من لم يطهر
فاعمل بعلمك توف نفسك وزنها لا ترض بالتضييع وزن المحسر

قال عبد الله بن مسعود تعلموا تعلموا ، فاذا علمتم فاعملوا .

وانشد احمد بن محمد بن مسروق :

اذا كنت لا ترتاب انك ميت ولست لبعد الموت تسعى وتعمل
فعلمك ما يجدى وانت مفرط وذكرك في الموتى معد محصل

وقال منصور بن اسماعيل الفقيه :

اذا كنت تعلم ان الفرا ق فراق الحياة قريب قريب
وان المعد جهاز الرحيل ليوم الرحيل مصيب مصيب
وان المقدم ما لا يفو ت على ما يفوت معيب معيب
وانت عن ذاك لا ترعوي فامرك عندي عجيب عجيب

قال الحسن : الذي يفوق الناس فى العلم جدير ان يفوقهم فى العمل .

ان عيسى بن مريم عليهما السلام قال للحواريين : لست اعلمكم لتعجبوا انما اعلمكم لتعملوا ليست الحكمة القول بها ، انما الحكمة العمل بها (١) .

وانشد الرياش :

ما من روى ادبا فلم يعمل به ويكف عن زيغ الهوى باديب
حتى يكون بما تعلم عاملا من صالح فيكون غير معيب
ولقلما تجدى اصابة عالم اعماله اعمال غير مصيب

وقال منصور :

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ج٢ ص١٠ .

ليس الاديب اخا الروا ية للنوادر والغريب
بل الشعر شيخ المحدثين ابي نواس او حبيب
بل ذو التفضل والمرو ءة والعفاف هو الاديب

قال علي بن الحسين عليهما السلام : كان نقش خاتم حسين بن علي عليهما السلام : علمت فاعمل (١) .

قال بشر بن الحارث : انما انت متلدد تسمع وتحكي ، انما يراد من العلم العمل ، اسمع وتعلم واعلم وعلم واهرب ، الم تر الى سفيان ، كيف طلب العلم فعلم وعلم وهرب . هكذا العلم انما يدل على الهرب عن الدنيا ليس على طلبها .

قال الثوري : العلماء اذا علموا علموا ، فاذا عملوا شغلوا ، فاذا شغلوا فقدوا ، فاذا فقدوا طلبوا ، فاذا طلبوا هربوا .

قال بعض الشعراء : ناصحاً طلاب العلوم الدينيه :

يا طالب العلم باشر الورعا ثم اهجر النوم واترك الشبعا
واقبل على الدرس . احذر لانفارقه فالعلم بالدرس قام وانتفعا

وانشد ابو احمد عبد العزيز بن عبد الملك لابيه من قصيدة طويلة :

واعلم بان العلم ارفع رتبة واجل مكتسب واسنى مفخر
وبضمر الاقلام يبلغ اهلها ما ليس يبلغ بالجياد الضمر
فاسلك سبيل المقتفين له تسد ان السيادة تقتنى بالدفتر
والعالم المدعو حبرا انما سماه باسم الحبر حمر المحبر
والعلم ليس بنافع اربابه ما لم يفد عملا وحسن تبصر

(١) جامع بيان العلم وفضله ج٢ ص١١ .

فاعمل بعلمك توف نفسك وزنها　　لاترض بالتضييع دون المخسر
سيان عندي علم من لم يستفد　　عملا به وصلاة من لم يطهر

قال بعضهم : اذا اردت ان تعلم ان علمك ينفعك ام لا ، فاطلب من نفسك خمس خصال : حب الفقر لقلة المؤنة ، وحب الطاعة طلباً للثواب ، وحب الزهد في الدنيا طلباً للفراغ ، وحب الحكمة طلبا لصلاح القلب ، وحب الخلوة طلباً لمناجاة الرب (١) .

وانشد الشيخ الشبستري وفه دره :

ميان دربند چون مردان بمردي　　درآ درزمره اوفوا بعهدي
برخش علمو چوگان عبادت　　زميدان دربا گوي سعادت
تورا ازبهراين كار أفريدند　　اگرچه خلق بسيار أفريدند
بدرچون علم ومادرهست اعمال　　بسان قرة العين است احوال

ابن عبد الدائم المقدسي : زين الدين احمد الحنبلي الشامى الفاضل الكاتب حكى انه كان يكتب اذا تفرغ في اليوم تسع كراريس ، وكان ينظر فى الصفحة مرة واحدة ويكتبها ، ولازم النسخ خمسين سنة وخطه لا نقط ولا ضبط ، وكتب الفين كتابا ، وفي آخر عمره عجز عن الكتابه ، فقال : في ذلك (٢) :

عجزت عن حمل قرطاس وعن قلم　　من بعد الفي بالقرطاس والقلم
كتبت الفا والفا من مجلدة　　فيها علوم الورى من غير ما الم
ما العلم فخر امرىء الا لعامله　　ان لم عمل فالعلم كالعدم

(١) تفسير مفاتيح الغيب ج ٢ ص ١٨٢ .
(٢) الكنى والالقاب ج١ ص٣٤٦ .

وقال بعضهم من الشعراء ، ولله دره :

لكل مجد في الورى نفع فاضل وليس يفيد العلم من دون عامل
يسابق بعض الناس بعضاً بجدهم وما كل كر بالهوى كر باسل
اذا لم يكن نفع لذى العلم والحجا فما هو بين الناس الا كجاهل
كذاك اذا لم ينفع المرء غيره يعد كشوك بين زهر الخمائل

سئل الصادق عليه السلام ، عن قوله تعالى : (فلله الحجة البالغة) فقال ان الله يقول : للعبد يوم القيامه ، اكنت عالما ، فان قال: نعم ، قال : افلا عملت بما علمت ، وان كان جاهلا ، قال له : افلا تعلمت حتى تعلم وتعمل فيخصمه ، فتلك (الحجة البالغة) .

ومن شعر ابراهيم بن محمد التنوخي :

اعمل بعلمك تؤت حكمة انما جدوى علوم المرء نهج الاقوم
واذا الفتى قد نال علما ثم لم يعمل به فكأنه لم يعلم

روى عن النبي صلى الله عليه وآله ، كل علم وبال على صاحبه الا من عمل به .

وعن الامام امير المؤمنين عليه السلام ، تعلموا ما شئتم ان تعلموا فلن ينفعكم الله بالعلم حتى تعملوا به : لان العلماء همتهم الرعايه ، والسفهاء همتهم الروايه .

وقال بعض الشعراء :

اذا انت لم يشهرك علمك لم تجد لعلمك مخلوقا من الناس يقبله
وان صانك العلم الذي قد حملته اتاك له من يجتنيه ويحمله

وقال بعض الشعراء ايضاً :

مفتاح رزقك تقوى الله فاتقه وليس مفتاحه حرصا ولا طمعا
والعلم اجمل ثوب انت لابسه فاختر له عملين الدين والورعا

ابن عيينة ، كان يقول : وهو من كبار العلماء . اذا كان نهاري نهار سفيه وليلي ليل جاهل ، فماذا اصنع بالعلم الذي كتبت (١) .

وقال الشاعر الفارسي ولله در٥ :

گر عمل باعلم باشداندكي هست بسيار وقبولست بيشكى
وربود باجهل بسياري عمل كم بود نايد قبول از صديكى

ان اباذر ، رضي الله عنه ، لما مات بالربذة ، رأته ابنته في المنام ، فقالت : يا ابت ما فعل بك ربك

العمل والعبادة

قال : يا بنتي ، قدمت على رب كريم رضي عني ، ورضيت عنه ، واكرمني وحباني ، فاعملي ولا تغتري (٢)

ولقد عرفت من البحث السابق ، ان بين (العلم والعمل) ملازمة تامة بحيث لا ينفك كل واحد منهما عن الاخر لان العمل بلا علم بكيفيته لا يمكن ، والعلم بلا عمل لا يثمر صاحبه ، فعلى اى حال اننا نخص البحث في هـــذا العنوان (اي العمل والعبادة) في قيمة العمل وعبادة الله تعالى فهذا الموضوع من الموضوعات الواضحه وكل فرد من افراد الانسان عالم بان الله تعالى خلقه لاجل ان يعمل باحكامه ويعبده عبادة خالصة كما ان هذا المعنى يظهر من الآيات الكريمة ومن جملتها هذه الاية الشريفه (ما خلقت الجن والانس الا ليعبدون (٣) .

---

(١) الكنى والالقاب ج ١ ص٣٦٥

(٢) سفينة البحار ج٢ ص٢٧٩ كلمة عمل .

(٣) سورة الذاريات ى٥٦ .

مضافاً من الآيات القرانية الروايات والقصص التى تحكى عن حالاتهم الكثيرة ، وايضاً ، ان الانسان العاقل العليم اذا نظر الى تراجم العلماء وحالات اولياء الله والانبياء سلام الله عليهم وأئمة الدين والايمان عليهم السلام ليرى انهم كيف كانوا يعبدون الله عبادة خالصة ، وكانوا عاملين بما قال الله تبارك وتعالى وواقفين نفوسهم في طريق طاعة الله عز وجل فهذه اعمالهم عظة لنا ، ودرس لكل جيل مسلم فهنيئاً لمن يتأسي بهم ، فالروايات التالية تبين لك كيفية العمل باحكام الله تعالى .

ابن محبوب عن عمر بن يزيد ، قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول : اذا احسن المؤمن عمله ضاعف الله عمله لكل حسنة سبع مأة وذلك قول الله تعالى (والله يضاعف لمن يشاء) فاحسنوا اعمالكم التي تعملونها لثواب الله ، فقلت له : وما الاحسان ، قال : فقال : اذا صليت فاحسن ركوعك وسجودك واذا صمت فثوق كلما فيه فساد صومك ، واذا حججت فثوق ما يحرم عليك في حجك وعمرتك . قال : وكل عمل تعمله فليكن نقيا من الدنس (١) .

روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، انه قال : لا بد للمؤمن ، من اربعة اشياء دابة فارهة ، ودار واسعة ، وثياب جميلة ، وسراج منير ، قالوا : يا رسول الله لنا ذلك ، قال : اما الدابة الفارهة فعقله ، واما الدار الواسعة فصبره واما الثياب الجميلة فحيائه ، واما السراج المنير فعمله (٢) .

ومن كلام الامام الباقر عليه السلام لبعض اصحابه . اتقوا الله واعملوا لما عند الله ليس بين الله وبين احد قرابة . واحب العباد الى الله واكرمهم

(١) سفينة البحار ج٢ ص٢٧٩ كلمة عمل .

(٢) موعظة السالكين ج١ ص١٢ .

عليه اتقيهم له ، والله ما يتقرب الى الله تعالى الا بالعمل ، وما معنى براءة من النار ، وما لنا على الله من حجة ، من كان مطيعاً لله فهو لنا ولي ، ومن كان عاصياً لله فهو لنا عدو ، والله لا تنال ولايتنا الا بالعمل (١) .

قيل لمحمد بن علي بن الحسين عليهم السلام : ما اقل ولد ابيك ، قال : العجب لى كيف ولدت ، كان ابى يصلي في اليوم والليلة الف ركعة . فاى وقت يفرغ للدنيا (٢) .

وفي الخبر . ان عيسى بن مريم عليهما السلام : مر برجل مقطوع اليدين والرجلين ، اعمى العينين ، اصم الاذنين ووقعت الاكلة في بدنه وهو يقول : الحمد لله الذي عافانى من البلاء . فقال له عيسى عليه السلام : تحمده وقد وكلت البلاء بك ، وهل في خزانة الله تعالى بلاء اشد مما ابتليت به ، قال نعم بلية الكفر والجحود ، وقال : يا روح الله وكل بلاء فى جنب بلاء الكفر عافيه من شفاء الصدور (٣) .

جاء : ان مالكا الاشتر رضي الله تعالى عنه ، كان مجتازا بسوق الكوفة وعليه قميص خام وعمامة منه . فرآه بعض اهل السوق فازدرى بزيه فرما ببندقة تهاونا به ، فمضى ولم يلتفت ، فقيل له : ويلك اتدري بمن رميت ، فقال : لا . فقيل له : هذا مالك صاحب امير المؤمنين عليه السلام . فارتد الرجل ومضى اليه . ليعتذر منه فرآه وقد دخل مسجدا وهو قائم يصلي ، فلما انتفل اكب الرجل على قدميه يقبلهما . فقال ما هذا الامر ، فقال .

---

(١) مجموعة ورام ج٢ ص ٢٧ .

(٢) مجموعة ورام ج ٢ ص٢٠١ .

(٣) المخلاة ص٢٩١ .

اعتذر اليك مما صنعت ، فقال : لا بأس عليك فو الله ما دخلت المسجد الا لاستغفرن لك (١) .

سمع رجل من التابعين انس بن مالك يقول : نزلت هذه الآية في علي بن ابيطالب عليهما السلام (امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) قال الرجل : فاتيت عليا عليه السلام لأنظر عبادته فاشهد الله لقد اتيته وقت المغرب ، فوجدته يصلي باصحابه المغرب .

فلما فرغ جلس للتعقيب الى ان قام الى العشاء الآخرة ، ثم دخل منزله فدخلت معه فوجدته طول الليل يصلي ويقرأ القرآن الى ان طلع الفجر ثم جدد وضوئه . وخرج الى المسجد فصلى بالناس صلاة الفجر . ثم جلس في التعقيب الى ان طلعت الشمس ثم قصده الناس ، فجعل يختصم اليه رجلان فاذا فرغا قام آخران الى ان قام الى صلاة الظهر ، فجدد لصلاة الظهر وضوئه ثم صلى باصحابه الظهر ثم قعد في التعقيب الى ان صلى بهم العصر ، ثم اتاه الناس فجعل يقوم اليه رجلان ويقعد رجلان وهو يقضي بينهم ويفتيهم الى ان غربت الشمس ، فخرجت وانا اقول : اشهد بالله سبحانه ، ان هذه الآية نزلت فيه (٢)

كان النبي صلى الله عليه وآله ، جالساً يوما مع اصحابه ، فاذا بلال مؤذن النبي صلى الله عليه وآله مقبل وهو غضبان ، فسلم ثم قال : يا نبي الله لقد جرى بيني وبين ابي ذر كلام ، فقال لي يا ابن الحمراء وما اتم كلامه حتى

---

(١) مجموعة ورام ج١ ص ٤

(٢) مجموعة ورام ج ٢ ص ١٦٧

جاء ابو ذر ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله : يا اباذر بلغني انك اليوم عيرت اخاك بامه ، فقال : نعم ، فلامه النبي صلى الله عليه وآله بقوله :

انك لست بافضل من احمر فيها ولا اسود ، الا ان تفضله بعمل ، فخاف ابوذر من غضب النبي صلى الله عليه وآله . وعلم انه اساء الى بلال فرمى بنفسه على الارض ، وقال لبلال : قم برجلك على خدي ، فاسرع بلال اليه وقبله ، وقال : قم يا اباذر غفر الله لك (١)

جاء ، ان موسى عليه السلام مر يوما على ساحل البحر ، فقال : الهى قد سكت ركبتاي وانحنى ظهرى ، وفرخت جبهتي ، فما انت صانع ، فاوحى الله تعالى الى ضفدع من ضفادع البحر .

اجب موسى عليه السلام ، فاجابه فقال : يابن عمران ، اثمن على ربك بعبادتك وقد اصطفاك وكلمك وقربك وناجاك ، فوالذى خلقني وبرئني ، انني على صخرة منذ ثلاثمأة وستين سنة ، اسبحه ليلا ونهارا ، لا افتر عنها طرفة عين ومنذ ثلاثة ايام لا آكل شيئا ، وكل ساعة ترعد فرائصي من هيبته ، فقال له موسى عليه السلام : يا ضفدع باي طمع تصنع ما انت صانع فقال : وما حسبت ان يجعلني من مسبحيه حتى اطمع منـــه شيئا آخر (٢)

وايضا عن الصادق عليه السلام ، قال سهر داود عليه السلام ليله يتلو الزبور . فاعجبته عبادته فناداه ضفدع ، يا داود تعجبت من سهرك ليلة ،

(١) الدين فى قصص ج٣ ص ٩

(٢) موعظة السالكين ج١ ص ١٠٤

واني لتحت هذه الصخرة منذ اربعين سنة . ما جف لساني عن ذكر الله تعالى (١)

قال الربيع بن خثيم : اتيت اويسا فوجدته جالسا فد صلى الفجر ، فجلست موضعا ، وقلت : لااشغله عن التسبيح فمكث مكانه حتى صلى الظهر ولم يقم صلى العصر، ثم جلس موضعه حتى صلى المغرب ،ثم ثبت حتى صلى العشاء ثم ثبت مكانه حتى صلى الصبح ثم جلس فنعست عيناه ، فقال : اللهم اعوذ بك من عين نوامة ومن بطن لا يشبع .

وجاء ان عيسى بن مريم عليهما السلام ، صعد جبلا فرأى شيخا يعبد الله عزوجل في حر الشمس ، فقال عيسى عليه السلام : الا تبنى لك بيتا حتى تسكن فيه من الحر والبرد ، فقال :

يا نبي الله إني سمعت من الانبياء عليهم السلام ، اني لم اعش اكثر من سبع مأة سنة . فليس من عقلي ان اشتغل في البناء . فقال عيسى عليه السلام : اني لاخبرك بما يعجبك فقال : وما ذاك ، قال يكون في آخر الزمان قوم لا ينتهي عمرهم اكثر من مأة سنة . وهم يبنون القصور والدور والبساطين ويؤملون امل عمر الف سنة .

فقال الشيخ : اف عليهم ما اكثر غفلتهم والله لو ادركت زمانهم لجعلت عمري في سجدة واحدة .

ثم قال لعيسى عليه السلام : ادخل في هذا الكهف حتى ترى عجبا ، فدخل عيسى عليه السلام الكهف فرأى سريرا من حجر وعليه ميت وعلى راسه

(١) موعظه السالكين ج١ ص ١٠٤

لوح من حجر مكتوب فيه انا فلان ابن فلان الملك . انا الذي عمرت الف سنـــة ، وبنيت الف مدينـة والف قصر ، وتزوجت الف بكر وحاربت الف جيش ، ثم كان مصيري الى ما ترون ، فاعتبروا يا اولى الابصار (١) .

وجاء ان رجلا اشترى غلاما ، فقال له غلامه يا مولاي اريد منك ثلاثة شروط ، احدها ان لا تمنعني عن الصلاة اذا دخل وقتها ، والثاني ان تستخدمني بالنهار ولا تشغلني بالليل .

والثالث : ان تجعل لي بيتا لا يدخله احد غيري ، فقال له : لك ذلك فانظر الى هذه البيوت . فطاف الغلام بها حتى رأى بيتا خربا فما كان منه الخراب الا ان اختاره .

فقال له مولاه : لم اخترت الخراب ، فقال الغلام : يا مولاي اما علمت ان يكون مع الله عمارا وبستانا .

وصار الغلام يأوي اليه في الليل يتعبد لربه . ويتضرع لخالقه . ففي ذات ليلة . اتخذ مولاه مجمعا للشراب واللهو . فلما انتصف الليل وتفرق اصحابه . قام يطوف في الدار . فوقع بصره على حجرة الغلام فاذا فيها قنديل من نور معلق من السماء . والغلام في السجود يناجي ربه . وهو يقول :

الهي اوجبت على خدمـــــة مولاى نهارا . ولولاه ما اشتغلت الا في خدمتك ليلي ونهاري . فاعذرني ربي . فلم يزل مولاه ينظر اليه . ويستمع

(١) المخلاة ص ١٩٣

حتى طلع الفجر . فارتفع القنديل والتأم السقف وجاء الرجل زوجته مسرعا واخبرها بما وقع بصره من العجب .

فلما كانت الليلة التالية ، اقام الرجل وامرأته على الحجرة ، والقنديل معلق ، والغلام في السجود والمناجاة ، الى طلوع الفجر ، ثم دعيا الغلام وقالا له : انت حر لوجه الله تعالى حتى تتفرغ لخدمة من كنت تعتذر اليه ، واخبراه بما رأيا من كرامته على الله تعالى . فلما سمع ذلك رفع يديه وقال : الهي ، كنت اسألك ان لا تكشف سترى ، وان لا تظهر حالي فاذا كشفته فاقبضني اليك ، فخر ميتاً ، رحمه الله تعالى (١) .

فضل المعلم على الوالد

قال بعض الحكماء العالم أرأف بالتلميذ من الأب والأم ، لان الاباء والامهات يحفظونه من نار الدنيا وآفاتها ، والعلماء يحفظونه من نار الأخرة وشدائدها .

فقد وقع الخلاف بين علمائنا الابرار ، في تفضيل الابوين ، الأب النسبي والاب الروحي .

فجماعة منهم يقولون الاب النسبي افضل ، وحكمه من الاوامر والنواهي بالنسبة الى ابنه اقوى ، لانه في الحقيقة صار باعثاً لايجاده وسببا لخلقته ، ولولاه لما كان ان يخلق ويتكون الابن ، فمن المعلوم ، بانتفاء السبب ينتفي المسبب قطعا .

مضافا من هذا المعنى ، ان الأب اذا لم يربي طفله من اول يومه الذي يفتح عينه في هذا العالم حتى يصل حد التمييز والرشد فأنه يموت طبعا ، فبناء على

(١) الدين في قصص ج ١ ص٨ .

هذا ان سبب حياة الطفل بسبب تكفل ابيه فمن هذين الجهتين وجهات اخرى هو افضل من ابه الروحي :

واما جماعة الاخرون يقولون : انما الافضل والاشرف هو الاب الروحي لانه يقوى روح الطفل ويعلمه الانسانية ، ويعرفه المجد وطريق الرشاد والسعادة ويربيه تربية صحيحة شرعيه اخلاقيه ودينيه التي بها ينال الدرجة العظمى من الفضيلة والكرامة دنيوية واخرويه .

ولولاه لما كان الطفل ان يعرف اي شيء من الفضائل الدينية والاخلاقية فيمشي في الاسواق والصحاري مشى المجانين والحيوانات ، ويمكن ان نطبق في حقه هذه الاية الشريفة (بل هم اضل سبيلا) وعلى هذا المعنى . لقد رجح كثير منهم ، حق العالم على حق الوالد ، حتى قال بعضهم : من علم الناس كان خير أب .

وجاء في افضلية المعلم على الوالد الروايات الشريفة وكلمات العلماء والحكماء شعرا ونثرا ونتعرض قسما منها استشهادا لاثبات المطلب وفي خلال العبارات تبين شرافته وفضيلته (١) .

---

(١) ان معلمي الذي ربانى تربية علمية مدة من الزمن وعلمنى حقايق دينيه التى لست اعرفها قبل ، وهو العالم الربانى سماحة العلامة الجليل حجة الاسلام والمسلمين حضرة الشيخ موسى الاخلاقى الافغاني حفظه الله تعالى ، صاحب الحوزات المتعددة فى تدريس مختلف العلوم الدينية والمعارف الاسلامية كالفقة . والاصول ، والتفسير ، والمنطق وغيرها من العلوم الادبيه ، وقد يحضر مجالس بحث سماحته فى كل يوم اكثر من مأة شخص لاستفادة المبانى الشرعية ، فارجوا من الله العزيز القدير توفيقه ودوام عزته . امين ـــ

قيل للاسكندر : انك لتعظم مؤدبك اكثر من تعظيمك لابيك ، فقال : ان ابى سبب حياتي الفانية ، ومؤدبى سبب حياتي الباقية

ولقد اخذ الشاعر هذا المعنى وقال :

اقدم استاذى على نفس والدي وان نالني من والدى الفضل والشرف
فذاك مربي الروح والروح جوهر وهذا مربى الجسم والجسم من صدف

وقال الشاعر الفارسى وفه دره :

علم بودچشمه آب حيات علم بود معنى راه نجات
علمو كمالو هنر آموختن به بود ازسيم وزر آندوختن
چون بودت گنج نهانش كني چون بودت علم عيانش كني
آن سبب وحشت و آفات تست واين همگي فخرومباهات تست
علم به قيمت زگهر بيشتر قدر معلم زپدر بيشتر
زآنكه پدر روح ترا آز سماك آورد آلوده نمايد بخاك
ليك معلم دهدش بال وپر تا كه نمايدسوى گردون سفر

وقال ايضاً الشاعر الفارسى السعدي الشيرازي :

پادشاهى پسر بمكتب داد لوح سيمينش بركنار نهاد
برسر لوح اونوشته بزر چوب استاد به زمهر پدر

ولقد شرح هذا المطلب العلامة الجليل السيد محمد علي الحامي وقال :

ان الاستاذ ، هو الاب الروحي الذي يكون احق بالتكريم ، واجدر

ـــ يا رب العاملين *

ونتمنى من سماحته ان يدعو لي ايضاً بالتوفيق والنجاح الكامل ـ لانني احتاج الى الدعاء ـ .

بالتعليم ، من الابوة النسبية ، فان الابوين وان كان لهما حق الاسبقية في تربية الطفل ، وان الام هي المدرسة لاولادها الصغار ، كما وصفها شاعر النيل في قوله :

الام مدرسة اذا اعددتها ... اعددت شعبا طيب الاعراق
الأم روض ان تعهده الحيا ... بالري اورق أيما ايراق
الام استاذ الاساتذة الالى ... شغلت مآثرهم مدى الافاق

وان الاب ، هو الذي يقطع اشواط الحياة تعبا ونصبا في سبيل ايجاد العيش لاولاده . فحنان الابوين لا يعدله حنان احد ، وحرصهما على تنمية اولادهما ، لا يجاريه شيء . ومع هذا ، فان الدور الذي يخرج به الطفل من بيت ابويه لأجل التلمذة والمدرسة ، اكتساب العلم والتعلم ، فان هذا الدور هو من اختصاص المعلم والاستاذ . فالولد يكون تحت رعاية استاذه ومعلمه وهو الموجه له ، لاجل ان يستقبل الحياة . ليكون عارفا لمفاهيمها ، فاهما لمغزاها وشؤنها .

وهذا الدور يحتاج الى المراس والحنكة والفطنة اكثر من غيره من بقيه ادوار حياة الطفل . لان المطلوب من المعلم والاستاذ ان يوجه التلميذ توجيها صحيحا . ليكون رجل المستقبل الذي منه يتكون المجتمع الصالح ، فالمسؤولية التي تلقى على عاتق الاستاذ مسؤولية اجتماعية ، وفردية . ودينية .

فردية ، من حيث ان الولد اعز الاشياء التي استحصلها الانسان في حياته ، وعليه قد عقد أماله ، واحلامه ، فيجب المحافظة عليه ، والرعاية المطلوبة في حفظ الامانات .

ودينية . حيث ان الولد بعد ان سلمه الوالد الى استاذه . يجب على الاستاذ

ان يغذيه العقائد الدينيه الصحيحة . وان لا يلوث تفكيره وعقله بشوائب الاوهام من فساد العقائد والزيغ عن المثل العليا في مكارم الاخلاق . ويعلمه التمسك بالدين ونظام الشريعة المقدسة .

واجتماعية . لأن الولد يعتبر ثمرة من ثمرات الشعب والمجتمع . فاذا صلح صلح المجتمع . واذا فسد فسد المجتمع . لان المجتمع يتكون منه ومن امثاله من ابناء وطنه كما وصفهم العلامة الاديب الشبيبي في قصيدته الى عنوانها رجال الغد) بقوله :

انتم متعتم بالسؤدد ... يا شباب اليوم اشياخ الغد
يا شبابا درسوا فاجتهدوا ... لينالوا غاية المجتهد
وعد الله بكم اوطانكم ... ولقد آن نجاز الموعد
انتم جيل جديد خلقوا ... لعصور مقبلات جدد

فلا بد وان يكون الاستاذ والمعلم فيه من الكفاءة والقابلية التي يؤهل بها الجيل الذي يكتسب منه التعليم ، ويأخذ عنه مناهج الحياة ، ويحسن ان يعبر عنه بالأب الروحي ، حيث ان بيده تغذية العلم والمعارف ، دون الاب النسبي ، فان بيده التغذية الجسمية . فمثل هذا الاستاذ والمعلم احق بالتعظيم واجدر بالتكريم . كما يقول الشاعر شوقي :

قم للمعلم وفه التبجيلا ... كاد المعلم ان يكون رسولا

لذلك فهذه الانطباعات التعليمية والتوجيهية من الاستاذ للتلميذ تؤثر علاقة عاطفية فردية بين الطرفين ، فيندفع بتقديم اهداء ما ينتجه له مريدا بذلك اظهار بعض الوفاء نحو خدمات معلمه ، وابداء ان تعاليمه لم تذهب هباء ، وان ما غرسه من العلم في قلب التلميذ قد اينع وأثمر . وهذه من

احدى ثمراته (١) .

قال بعض الافاضل من العلماء : حق المترشح لتعلم الحقايق ، ان يراعي ثلاثة احوال ، الاول :

ان يطهر نفسه من ردي الاخلاق تطهر الارض للبذر ، من خبائث النبات ، فالطاهر لا يسكن الا بيتا طاهرا وان الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب .

والثاني ان يقلل من الاشغال الدنيوية ، ليتوفر فراغه على العلوم الحقيقية ، قال الله تبارك وتعالى : (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) والفكرة متى توزعت تكون كجدول تفرق مائه وتشربه الارض ، فلا يقع به نفع واذا جمع بلغ به المزارع فانتفع به .

والثالث : ان لا يتكبر على معلمه . ولا على العلم . فالعالم افضل افضل المجاهدين . الجهاد : جهادان جهاد بالبيان ، وجهاد بالبنان ، وحق المعلم ان يجري متعلمه منه مجرى بينه ، فانه في الحقيقة اشرف من ابوين ، كما قال الاسكندر :

وقد سئل ، امعلمك اكرم عليك ام ابوك ، قال : بل معلمي . لانه سبب حياتي الباقية ، ووالدي سبب حياتي الفانية ، وارى عالم لم يكن من يفيده العلم صار كفاقر لا نسل له . فيموت ذكره بموته ، ومتى استفيد علمه كان في الدنيا موجودا وان فقد شخصه ، كما قال امير المؤمنين علي عليه السلام :

---

(١) المطالعات في مختلف المؤلفات ج١ ص٩٤

العلماء باقون ما بقي الدهر . وآثارهم في القلوب موجودة (١)

عن الدرجات الرفيعة ، العالم السيد علي خان الشيرازي (ره) كان السيد رضي رضي الله عنه ، عفيفا شريف النفس ، عالي الهمة ، لم يقبل من احد صلة ، ولا جائزة حتى انه رد صلات ابيه ، وناهيك بذلك (٢)

قال ابو الحسن العمري : وكان يقدم على اخيه المرتضى ، والمرتضى اكبر محله في نفوس العامة والخاصة ، ولم يقبل الرضي من احد شيئا اصلا ، وكان حفظ القرآن على الكبر ، فوهب له معلمه الذي علمه القرآن دارا يسكنه ، فاعتذر اليه .

وقال اني لا اقبل بر ابي ، فكيف اقبل برك ، فقال : ان حقي عليك اعظم من حق ابيك وتوسل اليه فقبل منه الدار (٣)

قال الغزالي : ومهما اشتغل (المعلم) بالتعليم فقد تقلدوا امرا عظيما وخطرا جسيما ، فليحفظ آدابه ووظائفه :

الوظيفة الاولى : الشفقة على المتعلمين وان يجريهم مجرى بنيه ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : انما انا لكم مثل الوالد لولده .

بان يقصد انقاذهم من نار الآخرة وهو اهم من انقاذ الوالدين ولدهما من نار الدنيا ، ولذلك صار حق المعلم اعظم من حق الوالدين . فان الوالد سبب الوجود الحاضر . والحياة الفانية والمعلم سبب الحياة الباقية . ولولا المعلم لأنساق ما حصل من جهة الأب الى الهلاك الدائم ، وانما المعلم هو

(١) برهان دانش ص٧ .

(٢) ذرايع البيان ج٢ ص٨٦

(٣) روضات الجنات ص٥٤٨

المفيد للحياة الاخروية الدائمة . اعني معلم الدنيا على قصد الآخرة . لا على قصد الدنيا . واما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك واهلاك (١) .

محمد بن علي بن ابراهيم بن ابي جمهور الاحسائي الهجري العالم الفاضل الحكيم المتكلم . المحدث الماهر : كتاب الغوالي اللالي وغيره

وكان معاصرا للمحقق الكركي . واجاز ابن ابي جمهور ، السيد محمد محسن الرضوي . واجاز الشيخ ربيعة بن جمعة . والسيدشرف الدين محمود الطالقاني والشيخ محمد بن صالح الغروي الحلي .

قال :في بعض اجازاته بعد التوصية برعاية العلم والقيام بخدمته . واوصيك بما يتعلق باستاذك ومعلمك . وهو ان تعلم اولا . انه دليلك وهاديك ومرشدك وقائدك فهو الاب الحقيقي والمولى المعنوي فقم بحقه كل القيام ونوه بذكره بين الانام . وكن مطيعا لامره ونهيه لما قال سيد العالمين صلى الله عليه وآله :

(من علم شخصا مسألة ملك رقه . فقيل له صلى الله عليه وآله : ابيعه قال : لا ولكن يأمره وينهاه (١)

وقال بعض العلماء ايضا : يلزم ان يعتقد المتأدب في مؤدبه انه الأب الحقيقي والوالد الروحاني وهو اعظم من الوالد الجسماني . ويبالغ بالادب في حقه .

وقد قال الاديب البارع الشيخ محمد تقي البهلول في الفارسية :

در شريعت سه پدر باشد ترا　　اول آن كز پشت او گشتي جدا

( ) احياء علوم الدين ج١ ص٥٦

(١) الكنى والالقاب ج ١ ص١٨٨

دوم آن کوخانه ات آباد کرد دختر خود دادت وداماد کرد
سوم آن کاموختت علم وأدب قدر این بالا بود از آن دو أب
از پدر گر جسم گیرد تقویت از معلم روح یابد تربیت
هرمعلم را پدردان بهرخویش خاص آنکس کو ترا آموخت کیش
هر مربي را تو باب خود ببین خاصه آن کزوي گرفتی یاد دین

وجاء في الحديث الشريف : الأب ابوان . اب ولادة واب افادة

ونعم ما قال الشاعر الفارسي :

اي بیخبر اگر پدرت آب ونان بداد
استاد در نهاد تو علم وادب نهاد
حقا که آب ونان ندهد هیچ فائده
تا علم دین وشرع نخواني بر اوستاد

قال الله العزيز الحكيم : قال له موسى

حقوق المعلم هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشداً (١) .

قال المجلسي (ره) : اقول : يظهر من كيفية معاشرة موسى عليه السلام مع هذا العالم الرباني وتعلمه منه احكام كثيرة من آداب التعليم والتعلم من متابعة العالم وملازمته لطالب العلم وكيفية طلبه منه هذا الامر مقرونا بغاية الادب مع كونه عليه السلام من اولى العزم من الرسل وعدم تكليفه ان يعلمه جميع علمه ، بل قال : مما علمت .

---

(١) سورة الكهف ى٦٥/ الى آخر الآية الشريفة من لدنا عذرا ى٧٦ .

وتأديب المعلم للمتعلم واخذ العهد منه اولا . وعدم معصية المتعلم للمعلم ، وعدم المبادرة الى انكار ما يراه من المعلم والصبر على ما لم يحط علمه به من ذلك وعدم المبادرة بالسؤال في الامور الغامضة وعفو العالم عن زلة المتعلم في قوله (ولا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا) الى غير ذلك مما لا يخفى على المتدبر عده (١) .

وقال بعضهم من العلماء : ينبغي ان يتواضع المتعلم لمأدبه زيادة على ما امر به من التواضع للعلماء وغيرهم . وليعلم أن ذله لشيخه عز وخضوعه له فخر وتواضعه له رفعة ، وتعظيم حرمته مثوبة ، والتشمير في خدمته شرف .

قال بعض الأدباء : ليعرف المتعلم لاستاذه فضل علمه ، وليشكر له جميل فعله وان كان خاملا . فقد قال امير المؤمنين علي عليه السلام : لا يعرف فضل العلم الا ، اهل الفضل (٢)

قال آخر : لا يستخف احد بمن تعلم منه علما ، الا وضيع خامل ، او رفيع جاهل .

وقال احـــد الفضلاء : احذر البسط (اى الادلال ، والاجتراء وترك الاحتشام) على من يعلمك ، وان انسك ، وتجتنب الادلال (من ادل عليه اذا انبسط ، اى وثق بمحبته فافرط عليه) عليه ، وان تقدمت صحبته ، ولا تظهر له الا ستكفاء (الاستغناء) منه ، والاستغناء عنه ، فان في ذلك كفرا لنعمته واستخفافا بحقه .

وقال احد الشعراء :

---

(١) سفينة البحار ج٢ ص٢٢١ كلمة علم .

(٢) جواهر الادب ج٢ ص١٩ .

ان المعلم والطبيب كلاهما لا ينصحان اذا هما لم يكرما
فاصبر لدائك ان اهنت طبيبه واصبر لجهلك ان جفوت معلما

عن ابي عبد الله عليه السلام، قال: كان امير المؤمنين عليه السلام، يقول: ان من حق العالم ان لا تكثر عليه السؤال، ولا تأخذ بثوبه، واذا دخلت عليه وعنده قوم، فسلم عليهم جميعا، وخصه بالتحية، دونهم، واجلس بين يديه ولا تجلس خلفه، ولا تغمز بعينك، ولا تشر بيديك، ولا تكثر من القول: قال فلان وقال فلان، خلافا لقوله، ولا تضجر بطول صحبته، فانما مثل العالم مثل النخلة تنتظرها حتى يسقط عليك منها شيء، والعالم اعظم اجرا من الصائم القائم والغازي في سبيل الله (١).

قال المولى محمد صالح المازندراني في شرح هذا الحديث الشريف:

(عن ابيعبد الله عليه السلام، قال: كان امير المؤمنين عليه السلام، يقول، ان من حق العالم ان لا تكثر عليه السئوال) لما كان العالم ابا روحانيا لك. وله عليك حق التقدم والتعليم والتربية، حيث يشفيك عن اسقام الضلالة والجهلالة، وينجيك من الام الغباوة والغواية، ويهديك الى مجاورة المقدسين، ويدعوك الى مصاحبة المقربين وجب عليك تعظيمه وتوقيره وعاية ادبه وترك الاكثار في السئوال مطلقا، سواء كان زايدا على القدر الذي تحمل به او تحفظه او تضبطه اولا، وسواء كان قصدك في الاكثار نفاد ما عنده، او اظهار خطائه او عجزه اولا، لان ذلك قد يؤذيه ويؤلمه الا ان تعلم انه يريد ذلك ومن جعل لفظ (عليه) متعلقا بالسئوال وجعل (على) للضرر وقال المراد بالسئوال عليه الايراد والرد عليه، يرد عليه ان السئوال على هذا

(١) اصول الكافي ج١ ص٧٥.

الوجه قليله وكثيره سواء في تعلق النهي به .

فلا وجه لتعلقه بالاكثار فقط (ولا تأخذ بثوبه) لا في وقت السئوال ولا في غيره ، لأن ذلك استخفاف له وسوء ادب منك (فاذا دخلت عليه وعنده قوم فسلم عليهم جميعا وخصه بالتحيه دونهم) بان تخاطبه وتقول (السلام عليك ورحمة الله وبركاته يافلان . وتسميه باشرف اسمائه وتصبر حتى يرد عليك السلام ثم تخاطب القوم وتقول : السلام عليكم وقد فعل مثل ذلك بعض الصلحاء المقربين حين دخل على الباقر عليه السلام وعنده جماعة كثيرة ، او تقول : السلام عليكم وعليك خصوصا يا فلان او تقول : السلام عليكم جميعا والسلام عليك يا فلان ، او تقصدهم جميعا بالسلام ، وتخصه بالثناء والمدح بعد السلام . وفيه ترجيح العلماء والفضلاء بزيادة المدح والثناء كما كان ذلك شأن اصحاب الأئمة عليهم السلام حين كانوا يدخلون عليهم وعندهم جماعة (واجلس بين يديه ولا تجلس خلفه) لما فيه من صعوبة نظره اليك وحرمانك عن شرف مواجهته ومشافهته ، والنظر الى وجهه وقد ورد (ان النظر الى وجه العالم عبادة) .

وايضاً في الجلوس بين يديه رعاية الأدب ، لأنه مجلس الخدم والعبيد والجلوس على اليمين واليسار داخل في الجلوس بين اليدين بقرينة تخصيص النهي بالخلف ويحتمل ان يكون الجلوس في اليمين واليسار مثل الخلف لما فيه ايضاً من صعوبة النظر وسوء الادب .

وقال ابو عبد الله الابي : وهو من مشاهير علماء العامة : ينبغي ان لا يجلس على يمين الاستاذ الا باذن مقال او حال .

وقد جرت العادة باقامة من لا يستحق ذلك (ولا تغمز بعينك) اى لا تغمزه اولا تغمز احدا من اهل مجلسه .

من غمزه بالعين اوبالحاجب من باب ضرب اذا اشار اليه بهما ، فحذف المفعول لكثرة الفائدة وشمول جميع الاحتمالات ، ويحتمل ان يكون الفعل منزلا منزلة اللازم قصداً لنفي اصل الفعل ومثله قوله (لا تشر بيدك) اي لا تشر بيدك اليه اوالى احد من اهل مجلسه لا للرمز ولا لغيره ، لما في الاشارة باليد والغمز من الاستخفاف به وترك تعظيمه وتبجيله وعدم رعاية الادب معه (ولا تكثر من القول قال فلان خلافا لقوله) لان فيه ايذاء له وترك تعظيمه وتوقيره ومثله ما روى ايضاً عن امير المؤمنين عليه السلام :

(لا تجعلن بلاغة قولك على من سددك) يعني من يهديك الى السداد والصواب لا تعارضه بفصاحة كلامك ، بل اطرق رأسك واسمع قوله بسمع قلبك اذا اردت معرفة ما عنده .

ولما نهى عليه السلام عن اكثار السؤال على العالم واخذ العلوم منه دفعة وفي زمان قليل حث على طول مصاحبته واستمرار ملازمته واخذ ما فيه على سبيل التدريج بقوله (ولا تضجر بطول صحبته) الضجر القلق ، وقد ضجر فهو ضجر وعلل ذلك بالتمثيل لايضاح المقصود ، فقال : (فانما مثل العالم مثل النخلة تنتظرها حتى يسقط عليك منها شيء) تنتفع به فكما انك لا تحرك النخلة ولا تعلوها ولا تعطف اغصانها ولا تكسرها قبل اوان بلوغ ثمرتها . بل تنظر بلوغ ثمرتها وبذلها لتلك الثمرة في وقتها .

فكذلك ينبغي ان لا تحرك العالم ولا تضطربه بكثرة السؤال ولا تكسر قلبه بالاقتراح والالحاح ، بل لابد من ان تنتظر حتى يبذل العلم في وقته .

ولا تضجر بطول الانتظار ، فانه اذا وقع الانتظار لثمرة النخلة لاجل

حياة البدن التي هي الحياة الزايلة الفانية ، فلابد من الانتظار لثمرة العلم لاجل حياة القلب التي هي الحياة الباقية الابدية بالطريق الأولى ، ففيه مبالغة على لزوم الوقوف عند العلماء وترك الالحاح على السؤال (والعالم اعظم اجرا من الصائم القائم الغازي فى سبيل الله ان شاء الله) لان العلم من الصفات الكاملة الروحانية ، وهذه من الاعمال الفاضلة البدنية ، والتفاوت بينهما مثل التفاوت بين الروح والبدن . وايضا هذه الاعمال من فروعات العلم وتوابعه ولا خفاء فى مزية الاصل على الفرع .

وايضاً منافع الصوم والقيام بالعبادة انما تعود الى الصائم والقائم ومنافع العلم تعود الى العالم وغيره الى يوم الدين فانه يقيم نفسه وغيره بالعقائد الصادقة والاخلاق الفاضلة ويطهرهما عن القبائح كل ذلك بالدليل القاطع والبرهان الساطع .

والغازي يدفع تسلط الكفرة على المسلمين ، والعالم يدفع شبههم المبطلة لاصل الدين ، فاجر العالم اعظم من اجر الغازي والحوالة على المشية كما تكون فيما يترتب وقوعه ، مثل افعل غدا ان شاء الله كذلك تكون فيما يتحقق وقوعه قطعاً مثل فعلت كذا ان شاء الله تعالى ، وذلك للتبرك والتنبيه على ان الامر الواقع انما وقع بمشيته تعالى ، لان كل ما هو كان وماهو كائن وما يكون فهو بمشيته سبحانه(١) .

محمد بن علي ، الحكيم المتكلم ، المحدث الماهر ، قال : في بعض اجازاته لبعض العلماء ، بعد التوصية برعاية العلم والقيام بخدمته ، واوصيك بما يتعلق باستاذك ومعلمك ، الى ان يقول :

وقد ورد في رعاية حقوق الشيخ ، وهي : اذا دخلت مجلسه فعم بالسلام

(١) شرح اصول الكافى للمولى محمد صالح المازندراني ج٢ ص٩٩ .

وخصه بالتحية والاكرام ، وتجلس اين انتهى بك المجلس ، وتحتشم مجلسه فلا تشاور فيه احدا ولا ترفع صوتك على صوته ، ولا تغتب احدا بحضرته ومتى سئل عن الشيء فلا تجب انت حتى يكون هو الذى يجيب وتقبل عليه وتصغي الى قوله وتعتقد صحته ولا ترد قوله ، ولا تكرر السؤال عند ضجره ولا تصاحب له عدوا ولا تعاد له وليا ، واذا سئلته عن شيء فلم يجبك فلا تعد السؤال وتعوده اذا مرض وتسأل عن خبره اذا غاب وتشهد جنازته اذا مات فاذا فعلت ذلك علم الله انك قصدته لتستفيد منه تقربا الى الله تعالى ، وطلبا لمرضاته ، واذا لم تفعل ذلك كنت حقيقا ان يسلبك الله العلم وبهاءه ، وهذه وصيتي اليك والله وكيلي عليك وهو حسبي ونعم الوكيل (١)

قال بعض الحكماء : خطاء المرشد انفع للمسترشد من صوابه وينبغي ان لا ينكر عليه . بل ينقاد اليه في اموره كلها ، ويشاوره فى اموره كلها ، ويأتمر بأمره ، ولا يخرج عن رأيه وتدبيره باللسان والقلب .

وقال بعضهم : ينبغي للمتعلم أن يصبر على جفوة يصدر من مؤدبه ، او سوء خلق ، ولا يصده ذلك عن ملازمته وحسن عقيدته واعتقاد كماله ويتأول افعاله التي ظاهرها مذموم على أحسن تأويل .

ونعم ما قال الشاعر الفارسي :

چون باستادي رمي خاموش باش لب ببند وپاي تا سر كوش باش
دم مزن در نزد استاد هنر پيش جالينوس نام طب مبر
از شجاعت در بر حيدر ملاف پي محابا پا منه اندر مصاف
در بر لوتى تو رقاصي مكن با نهنگ بحر غواصي مكن

(١) الكنى والالقاب ج١ ص١٨٨

تا حريف خويش نشنامي درست　　جمله سوى او مكن پالاك وچست

وقال الاديب الكسروي في الفارسية ولله دره :

بر آستان ادب هر كه سود پيشاني　　بر آسمان سخن گشت مهر نورانى
بصدق طاعت استاد آنكه گرد نهاد　　فراز كرسي استاد پا بآسانى
نصيب بزرگري گشت سودحاصل علم　　كه در مزارع اخلاص كرد دهقانى
كسيكه گنج زارباب دانش اندوزد　　تواندآنگه كند در سخن درافشانى

سخن ز گوهر خوشتر كه فرق بسيار است

ميان گوهر طبعي وگوهر كانى

سخن وديعه پروردگار بى چون است

كه وحي شد به پيغمبر زعرش رحمانى

قال رسول الله صلى الله عليه واله : من علم شخصاً مسألة ملك رقه ، فقيل له صلى الله عليه واله : ابيعه قال : لا . ولكن يأمره وينهاه (١) .

قيمة المعلم ووظيفته

قال الامام امير المؤمنين علي عليه السلام : من علمني حرفا صيرني عبدا (٢) .

لكل عامل في كل شغل وحرفة الذي يقوم به ، اللازم عليه ان يتقن شغله ويحكم حرفته . فمثلا . ان شخصا شغله بناء الدور والعمارات ، فيكون الواجب عليه ان يهتم باتقان عمله نهاية الاهتمام حتى يحل ما يأخذ من الاجور ويرضى صاحب العمل من خدمته .

---

(١) الكنى والالقاب ج١ ص٨٨ .

(٢) بحار الانوار ج١

والشخص الآخر الذي هو حرفته الخبازة مثلا . يجب عليه ان يسعى في حرفته غاية السعي من حيث عدم خلط الوساخة او النجاسة في الخبز او خلط اشياء اخرى معه لغرض تثقيل الخبز وزيادته فاذا لم يراعي هذه الجهات التى يحكم بحرمتها الشرع والوجدان البشري ، فانه مسؤل لدى الخالق والمخلوق لسوء العمل .

وهكذا جميع افراد المجتمع البشري فمن الافراد (العالم) الذي يعبر عنه (بالمعلم) فان من اهم الواجبات التى تتوجه اليه هى مسؤلية المجتمع لأنه قائد الأمة والواجب على القائد ان يقود الناس قيادة صحيحة انسانية ولا يشوب اذهانهم باشياء لا دينية التى تتألم روح كل فرد منها، وعليه ايضاً ان لا يخالط جوهر عقيدتهم برذائل الاخلاق والصفات الحيوانية او الوساوس الشيطانية الخبيثة ، واذا اخذ المعلم ابناء الناس تحت التربية الصحيحة الاسلامية وزال عنهم الجهل والزيغ عن قوبهم ، فانه محبوب ومأجور عند الله ومشكور عند وجدان كل انسان واليك الأن بنبذ من كلمات العلماء والروايات الشريفة وفى النتيجه تبين لك قيمة المعلم ووظيفته :

قال بعضهم : ينبغي ان يكون صاحب العلم ناصحا . فالحسد يضر ولا ينفع ، بل يشغله نية تحصيل الكمال ؛ وينبغي ان يكون همة المعلم ان يصير المتعلم في قرنه عالما ، وليشفق على تلامذته بحيث فاق على علماء العالم (١) .

وانشد صاحب بن عباده رحمة الله تعالى عليه :

افاضل الدنيا وان برزوا ... لم يبلغوا غاية استاذها
اما ترى امصارها جمة ... ولا ترى مصرا كبغدادها

(١) آداب المتعلمين ص١٩٤ .

قال لقمان : يابني ، تعلم الخير وعلمه ، واعلم ان الناس بخير ما بقي الاول حتى يعلم الأخر ، وانما كلام المعلم كالينابيع يحتاجها الناس يوما هذا ويوما هذا فينتفعون بها (١)

نقل في بحار الانوار ، ان عبد الرحمن السلمي كان معلما لبعض اطفال الحسين عليه السلام ، وعلمه سورة الحمد المباركة ، وجاء الطفل الى ابيه ، وسورة الحمد التي تلمذها قرأها عند ابيه ، (فاعطاه الف حلة . والف دينار وحشا فاه درآ) قال بعضهم : اين هذا من هذا العمل فقال عليه السلام : اين يقع هذا من عطائه . يعني تعليمه ، وانشد بعده :

اذا جادت الدنيا عليك فجد بها على الناس طرا قبل ان تتفلت
فلا الجود يفنيها اذا هي اقبلت ولا البخل يبقيها اذا ماتولت(٢)

دخل محمد بن زياد مؤدب الواثق على الواثق فاظهر اكرامه ، واكثر اعظامه ، فقيل له : من هذا يا امير المؤمنين ، فقال : هذا اول من فتق لساني بذكر الله تعالى ، وادناني من رحمة الله تعالى (٣) .

فهذا احد التلامذة الذي يعرف مقام معلمه واستاذه الذي تعلم منه علوما

آدم بن احمد بن اسد الهروي ، ابو سعد النحوي اللغوي ، حاذق ، مناظر ، ذكره الحافظ ابو سعد السمعاني ، فقال : هو من اهل هراه سكن بغداد .

كان اديبا فاضلا عالما باصول اللغة صالحا ، حسن السيرة .

---

(١) مختار الحكم ص٢٦٦ .

(٢) ناسخ التواريخ ج٤ ص٨٠ سيد الشهداء .

(٣) مجاني الأدب ج٢ ص٢٠ .

وكان الرشيد محمد بن عبد الجليل الملقب بالوطواط كاتب الانشاء لخوارزم شاه من تلاميذ الشيخ ابي سعد ادم بن احمد الهروي ، وانتقل الرشيد من بلخ الى خوارزم ، واقام بها فى خدمة خوارزم شاه اشهرا ، وكان يكاتب الشيخ ابا سعد ويخضع له ، ويقر بفضله . فمما كتب اليه ، رسالة نسختها .

كتابي وفى الاحشاء وجد على وجد الى الصدر مولانا الاجل ابي سعد
اشم طويل الناع اصبح رافعا الى قمة الأفلاك الوية المجـــد
سراة بنى الاسلام عقد جواهر وفيهم ابو سعد كواسطة العقـــد

سقى الله ايامنا بالعقيق ، ودهورنا باللوى ، واعوامنا بالخليصاء ، وشهور ، بالحمى ، فان هذه المغاني لالفاظ المسرات كالمعاني ، فيها اثمار اطايب الاماني من اشجار وصال الغواني ، لا بل سقى مواقفنا ببلخ فى المدرسة النظامية .

واجتماعنا فى المجالس الأجلية الامامية .

مجالس مولانا ابي سعد الذي به سعد الايام والدين والدنيا
همام حوى يوم الفخار بنانه على رغم اناف العدا قصب العليا

الامام ابو سعد ، وما ادراك ما الامام ابو سعد ، سعد كله ، خير قوله وفعله . صاحب جيوش الفصاحة . مالك رقاب البلاغة ، وناظم عقد المحامد ، وجامع شمل المكارم وناشر اردية الفضل والكرم ، وعامر ابنية الادب والحكم .

لله در امام كله أدب بفضله يتحلى العجم والعرب

الله يعلم اني وان شط المزار ، وشحطت الديار ، لا اقطع اوقاتي ، ولا ازجي اغالب ساعاتي ، الا في مدح معاليه ، وشر ايادية ، لو انفقت جميع عمرى فى ذلك وسلكت طول دهرى تلك المسالك .

لما كنت اقضي بعض واجب حقه ولا كنت احصي من صنائعه عشرا

وكيف لا ابالغ في ثنائه ، ولا اواظب على دعائه ، وهو الذي رفع قدري وشرح للاداب صدري ، وسقاني كئوس العلم واحشائي صادية ، وكساني حلل الفضل وعوراتي بادية ، اغترفت من بحاره ، واقتطفت من ثماره (١) .

وانت الذى عرفتني طرق العلا وانت الذي هديتني كل مقصد

وانت الذي بلغتنى كل رتبة مشيت اليها فوق اعناق حسدي

وقف بعض المعلمين بباب عالم ، ثم نادى : تصدقوا علينا بعالا يتعب ضرسا ولا يسقم نفسا . فاخرج له طعاما ونفقة . فقال : فاقتي الى كلامكم اشد من فاقتي الى طعامكم ، اني طالب هدى لا سائل ندى ، فاذن له العالم وافاده من كل ما سأله عنه ، فخرج جذلا فرحا وهو يقول : علم اوضح لبسا (اي اشتباها) حير من مال اغنى نفسا (٢) .

قال الشاعر الفارسي (ايها) الشيرازى :

كشف اسرار ازل ايدل آگر ميخواهي ازدل پير بجوائينه آگاهي

پير جوپير كه بي پير بسر چشمه عشق نبرى ره اگرت خضر كندهمراهي

عشق اوجوي اگر سرازل ميجوئي مهراو خواه اگرعمرابد ميخواهى

مبرازپير كه بي همت آن هادي غيب غول درباديه خوانت خورداز گمراهي

قال العلامة الشيخ عبد المنعم الفرطوسى ولله دره :

يا رجال التعليم فى المنشآت انتم للعقول خير بناة

هذه المنشآت وهي حقول زاهرات والنشء كالزهرات

---

(١) معجم الادباء ج١ ص١٠٦ .

(٢) جواهر الادب ج١ ص٨ .

انتم منبع الفضيلة فيها وعقول البنين شبه النبات
احسنوا الغرس فى ثراها لكيما يجتنى منه احسن الثمرات
واجيدوا رعاية النشء فيها يا رعاة العقول والعاطفات

ان هذا الطفل الصغير سينمو بعد اكمال آخر النشئات
وله فى الحياة شأن سيبدو بعد حين بماله من صفات
فلكم ما لديه من حسنات وعليكم ما فيه من سيئات
هو فرع له المعلم اصل فهو يحكيه من جميع الجهات
ان اراه تصور فيه كانعكاس الاجسام فى المرآة
ان اخلاقه ليعبق منها كل شىء فيه من النفحات
فانتقوه للطفل خير مرب بعد حجر الآباء والامهات

ان هذا النشء الوديع اليكم وكلوه في هذه المنشئات
علموه فالعلم خير حياة انقذوه فالجهل شر ممات
درسوه الاخلاق فهي سياج يحرس العلم من يد الموبقات
ثقفوه بالدين كي تحفظوه من شذوذ الآراء والنزعات
بيديكم توجيهه حيث شئتم أرأيتم عقارب الساعات

يادعاة التعليم في الشرق انتم لنظام الاصلاح خير دعاة
ان اردتم انقاذ شعب تردى فى مهاو كثيرة العثرات
اصلحوا منه السنا وعقولا باللغى والمعارف الصالحات
أرأيتم شعبا بغير نبوغ ورجال مثقفين دهاة (١)

---

(١) دهاة من الدهاء : جودة الرأي وحذقه .

سار في موكب تسير المعالي　　خلفه في رواحه والغداة
ان شعبا يسوسه عبقري　　هو ارقى سياسة من مئات
ان امية تسيطر فيه　　وهي تمري اجفانه بقذاة (١)
هي شر المستعمرين بلاء　　لعقول بالجهل مستعمرات

ايهذا المعلم الفذ قدست　　مثالا للفضل والمكرمات
فيك سر من النبوغ عظيم　　يتحدى بمجده المعجزات
انت باب الحقيقة منه　　يلج العقل في مجاز النجاة
انت شبه السراج يفنى اشتعالا　　قلبه في انارة الظلمات
لك شبه المرآة ذهن صقيل　　حاشد بالمواهب الخالدات
رسمت ريشة النمارين فيه　　الف لون من شارد الذكريات
هو افق من الخيال بعيد　　فيه تبدوا لافكار كالنيرات
لو يشاد الخلود تمثال مجد　　لابتعدنا فيه عن الطرقات
واقمناه رمز نبل وفخر　　لك في افق دجلة والفرات (٢)

قال المرحوم احمد شوقي بك في المعلم والعلم والتعليم :

قم للمعلم وفه التبجيلا　　كاد المعلم ان يكون رسولا
اعلمت اشرف او اجل من الذي　　يبني وينشيء انفسا وعقولا
سبحانك اللهم · خير معلم　　علمت بالقلم القرون الاولى
اخرجت هذا العقل من ظلمانه　　وهديته النور المبين سبيلا
وطبعته بيد المعلم ، تارة　　صدىء الحديد وتارة مصقولا

(١) تمري : تمسح ، القذاة : ما يقع في العين من غبار ونحوه .
(٢) ديوان الفرطوسي ج١ ص ٢٧٥

ارسلت بالتوراة موسى مرشدا وابن البتول فعلم الانجيلا
وبجرت ينبوع البيان محمدا فسقى الحديث وناول التنزيلا
علمت (يونانا ومصر) فزالتا عن كل شمس ما تريد افولا
واليوم اصبحنا بحال طفولة في العلم تلتمسانه تطفيلا
من مشرق الارض الشموس تظاهرت
ما بال مغربها عليـــه أديلا
يا ارض مذ فقد المعلم نفسه بين الشموس وبين شرقك حيلا
ذهب الذين حموا حقيقة حلمهم واستعذبوا فيها العذاب وبيلا
في عالم صحب الحياة مقيدا بالفرد ، مخزوما به ، مغلولا
صرعته دنيا المستبد كما هوت من ضربة الشمس الرؤوس ذهولا
سقراط اعطى الكأس وهي منية شفتى محب يشتهي التقبيلا
عرضوا الحياة عليه وهي عبارة فأبى وآثر ان يموت نبيلا
ن الشجاعة في القلوب كثيرة ووجدت شجعا العقول قليلا

امعلمي الوادى وساسة نشئه والتابعين شبابه المأمولا
والحاملين اذا دعوا ليعلموا عبء الأمانة فادحا مسئولا
ونيت خطا التعليم بعد محمد ومشى الهوينا بعد اسماعيلا
حتى رأينا مصر تخطوا اصبعا في العلم ، ان مشت الممالك ميلا
تلك الكفور وحشوها امية من عهد (خوفو) لم تر القنديلا
تجد الذين (بنى) المسلة جدهم لا يحسنون لابرة تشكيلا
ويدللون اذا اريد قيادهم كالبهم تأنس اذ ترى التدليلا
يتلوا الرجال عليهمو شهواتهم فالناجحون الذهم ترتيلا

الجهل لا تحيا عليه جماعة كيف الحياة على يدي عزريلا
ربوا على الانصاف فتيان الحمى تجدوهم كهف الحقوق كهولا
فهو الذي يبنى الطباع قويمه وهو الذي يبني النفوس عدولا
ويقيم منطق كل اعوج منطق ويريه رأيا في الامور اصيلا
واذا المعلم لم يكن عدلا مشى روح العدالة في الشباب ضئيلا
واذا المعلم ساء لحظ بصيرة جاءت على يده البصائر حولا
واذا اتى الارشاد من سبب الهوى ومن الغرور فسمه التضليلا

واذا اصيب القوم فى اخلاقهم فاقم عليهم مأتما وعويلا
اني لاعذركم واحسب عبئكم من بين اعباء الرجال ثقيلا
وجد المساعد غيركم وحرمتموا فى مصر عون الامهات جميلا
واذا النساء نشأن في امية رضع الرجال جهالة وخمولا
ليس اليتيم من انتهى ابواه من هم الحياة ، وخلفاه ذليلا
فاصاب بالدنيا الحكيمة منهما وبحسن تربية الزمان بديلا
ان اليتيم هو الذي تلقى له أما تخلت ، او ابا مشغولا

قال اديب پيشاوري ولله دره :

بهنگام خورديم فرخ پدر كه بادش روان شادومينوي در
بيك پرهيز پارسايم سپرد چو مه گشت نوماهيانه شمرد
كه تاجان بدانش برافروزدم زهر گونه دانش بياموزدم
سوي هر دانش آموز هر بامداد
روان كشتمي چست چون تند باد
خجسته دم آموز گاري مرا پرورد جان روزگاري مرا

زخورشيد دانش چوپرتو گرفت هيولاي جان صورت نو گرفت
چنان چونكه تن زنده گردد بجان بدانش بود زنده جان وروان
بس آموزكارت مسيحاي تست دم پاكش افسون احياي تست

وقيل في الفارسية ايضاً :

مرا زدست هنرهاي خويشتن فرياد
كه هريكي بدگرگونه داردم ناشاد
بزرگتر زهنر در عراق عيبي نيست زمن مپرس كه اين نام برتوچون افتاد
هنر نهفته چو عنقا بماند زانكه نماند كسيكه باز شناسد هماي را ازخاد
تمتعيكه من از فضل درجهان ديدم همان جفاي پدر بود وسيلي استاد

قال الامام امير المؤمنين علي عليه السلام ! انما لايجتمع الحكمة لم يجتمع الحكمة والمال ، لعزة وجود الكمال(١) والمال الحكمة في عدم اجتماع الحكمة مع المال ، يمكن ان نقول ! لاشك في ان الحكمة الآلهية والمعارف السبحانية من اغلا الاشياء واعزها التي خلقها الله تعالى وهيئها لاجل سعادة الانسان وخلوده في دار النعيم ، واذا ننظر الى جميع صفات كمال الانسان نرى ان الحكمة خصلة وحيدة وصفة حسنة فائقة من جميعها ولا نظير لها ، وتمام ملكات الفاضلة البشرية ترتبط بها مضافاً من هذه المعاني ، ان الحكمة هي احسن وسيلة للانسان لسعادته في الدارين .

بخلاف المال لانه لايتصورله اي مدح وفضل ، الا ان الانسان اذا يأكل منه يأكل لاجل تربية البدن وحفظه والاكل صفة حيوانية

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي ج٢٠ ص٣٣٣

لا يترتب له شرافة .

والجواب عن عدم اجتماع الحكمة ، فنقول . ان الحكمة هي اغلى جوهر في عالم الوجود ويستلذ بها الروح الانساني ، والنفس القدسي البشري وانها سبب حياتها الخالدة ، وان الله تعالى لايجعلها الا في قلب انسان لايق قابل الذي امتحن الله قلبه بالايمان الخالص .

فاذا تقول ! فكذلك المال انه احسن شيء من الزخارف الدنيوية ويستلذ به الروح الحيواني الانساني وبه ينال الانسان اي مرتبة دنيوية .

فنقول فاذا بعيد من عدالة الله عزوجل ان يجمع بين الفضيلتين لعبد واحد ويحرم الآخر عن كل واحد منهما . او عن كليهما

والجواب الآخر ، كما قلنا ! ان الحكمة الآلهية من اعز الاشياء واغلاها ، وان المال من اخسها وادناها ، ومن المعلوم ان الشيء العزيز لا يجتمع مع الشيء الخسيس لعدم وجود المناسبة ، كمثل اجناس العالية ، كالذهب والفضة ، واجناس الوضيعة كالخزف والتراب ، ولا يمكن الاجتماع بين هذه الاجناس اذ بين كل واحد مع الآخر بون بعيد ، واشارالى هذا الجواب الامام عليه السلام وقال ؛ (لعزة وجود الكمال) ونكتفي بهذين الجوابين عن هذه المسألة الغامضة ، التي تتحير العقول عن رمز حقيقتها ونتركها الى من يتجول في هذا الميدان حتى يحلها حلا صحيحا واضحا مع انه بعيد كل البعد عن فكرة كل حكيم وعليم ان يدرك هذا المعما .

والآن نتعرض جماعة من الاشعار الراقية الحكمية الراجعة في الموضوع مع كلمات من الحكماء والعلماء وعبارات جمع من الادباء

الاجلاء وتراجم بعض الاعيان مع تذكر عيشتهم السيئة وحكمتهم الغزيرة وعلمهم الكثيرة !

السيد بهاء الدين النائيني ! وهو يصف الدنيا في عدم اقبالها على اهل العلم والتقوى ، واقبالها على الاراذل من الناس قال :

فتراها (اي الدنيا) في الاغلب الى الجهال ارغب ، فهي مطلوبة طالبة لراغبيها ، ومعشوقة عاشقة لخاطبيها ، فكم من مفرد في الجهل قد ثنيت له وسادة الافادة في كل جمع ، وعلم علم نكر بيد الانكار فيمج قوله كل سمع ، يقابل هذر ذلك بهذيان تصديقه ويصاول هذا الدراك عند فيضان تحقيقه ، يعامل معاملة القاصر الاحمق ، بل يقاتل مقاتلة الكافر المطلق وكم من ملك مملك احمق من ابن هبنقة ، وملك مستهلك لا يجد ما يسد رمقه فنقه ، شعر ;

وقائلة اراك بغير مال ... وانت مهذب علم امام

فقلت لان مالاعكس لام ... ولم تدخل على الاعلام لام

وكم من طالح نميم بعد ذلك وهاج لديه من الجاه سراج وهاج عناه كنزغناه وجاه عزوجاه سقاه الدهر ماشفاه ، واعتذر بشفاه الشفاة واذا فاه بطلب وفاه وقبل عينه وفاه لا يستعمل عند دعوته ردا ولا صمتا ولا يراه في خدمته عوجا ولا امتا مال اليه مال على مال ، كأنه على الاموال وال ، شعر !

من الناس من يعطى الجزيل من الغنى ... ويحرم من دون الغنى طالب مثلي

كما الحقت واو بعمرو زيادة ... وضويق بسم الله في الف الوصل

وكم من صالح كامل محبر تحرير ابطلت بساط نشاطه نعال يغال وحمير وراجح فاضل ثقلت خصال كمائله على كاهل الزمان فاسقطه على

ارض الزمانة ومرتبة المتربة والهوان .

وكم من طالح جاهل زرع شفا جرف زابل الرذائل ، فانبتت حبة خبه الاف الوف سنابل ، وخفيف نحيف اطارته زعازع رياح الحوادث على اوج فلك الفخار او طاربه طائر طائره الذي في عنقه الى اوكار الاوطار ! شعر :

ولو لم يعل الا ذو محل تعالى الجيش وانحط القتام

فلم يعل الغبار الا لأنه خفيف العيار كما علا الهواء وهوى الماء وعلت قباب الحباب جواهر الدأماء ، فلو كان التعالي بالقدر العالي لم يعل الزبد في القدر العالي كيف وبدن الميت يعلو الماء ولا يخرقه ، والحي يركبه الماء فيغرقه واذا خفت كفة الميزان علت بعلة قوة اللسان ، شعر :

قالت علا الناس الا انت قلت لها كذاك يسفل عند الوزن من رجحا

لكن رجحان الموزون اهم من رجحان الميزان ، اذ لا غرض فيه سوى تعرف الاوزان فكن راجحا بمنقبتك ومعناك ، ولو في دون مرتبتك ومغناك .

فان خفة كفة الجوهر لا يضر علائه ورجحان الحجر عليه لا يجر غلائه لأن لسان الميزان وان تكلم بالنقص والرجحان لكنه فاروق للفضل والفضل مع اتحاد الجنس والاصل فلا يوازن افاضل الانام باراذل الانعام ولا الجوهر بالخزف او اللؤلؤ بالصدف مع ان التواضع يحط المراتب احسنه ما يكون مع الرفعة بالمناقب وخير انواع التذلل ما معه داعي التدلل الخ (١) .

قال شاعر : في اعتراء المصائب والفقر لاهل العلم والفضل :

(١) زواهر الجواهر ، في نوادر الزواجر ص١١٦

تطرق اهل الفضل دون الورى مصائب الدنيا وآفاتها
كالطير لا يسجن شيء بينها الا التي تطرب اصواتها

وقال ابو تمام :

ما زلت ارمي بايامي مطالبها لم يخلق العرض مني سوء مطلبي
اذا قصدت لشأو خلت اني قد ادركته ادركتني حرفة الادب

يقول احد الشعراء يخاطب ولده :

اطرح الدنيا فمن غاداتها تخفض العالي وتعلي من سفل
عيشة الراغب في تحصيلها عيشة الجاهل فيها او اقل
كم جهول بات فيها مكثرا وعليم بات منها في علل
كم شجاع لم ينل فيها المنى وجبان نال غايات الامل

ويشير الى هذا المعنى تقريبا ايضا ابو العلاء المعري :

لقد جاءنا هذا الشتاء وتحته فقير معرى او امير مدوج
وقد يرزق المجدود اقوات امة ويحرم قوتا واحد هواهوج

وانشد جحظة لنفسه :

ما زارني في الحبس من نادمته كأسين : كأس مودة ومدام
بخلوا علي وقد طلبت سلامهم فكأنني طالبتهم بطعام

المهلبي ، ابو محمد الحسن بن محمد بن هارون ينتهي الى المهلب كان وزيرا لمعز الدولة الديلمي ، كان شيعيا ، اماميا ، وكان من ارتفاع القدر واتساع الصدر وعلو الهمة وفيض الكف على ما هو مشهور به ، وكان في غاية الادب والمحبة لاهله .

وكان قبل اتصاله بمعز الدولة في شدة عظيمة من الضر والفاقة وقد سافر مرة ولقي في سفره مشقة صعبة ، واشتهى اللحم فلم يقدر

عليه فقال ارتجالا (١)

الا موت يباع فاشتريه فهذا العيش ما لا خير فيه
الاموت لذيذ الطعم يأتي يخلصني من العيش الكريه
اذا ابصرت قبرا من بعيد وددت لو انني مما يليه
الا رحم المهيمن نفس حر تصدق بالوفاة على اخيه

ومن شعر ابو طاهر في الغنى يقول :

لو ان لي مالا لما قيل لي انت قبيح الوجه لا تعشق
وكم فتى قد زانه ماله وماله حسن ولا منطق
من كان ذا مال فماضره قبح وان قيل ! هو الاحمق

ابو بكر بن دريد ، قال انشد عبد الرحمن !

ارى كل من انثرى يرى ذامهابة وان كان مذموما لئيما نقائبه (١)
ومن يفتقر يدع الفقير ويمتهن غريبا ويبغض ان تراه أقاربه
ويرمى كما ذوالعر يرمى ويتقى ويجني ذنوبا كلها هو غائبه (٢)

وانشد جحظة لنفسه :

الحمد لله ليس لي كاتب ولا على باب منزلي حاجب
ولا حمارا اذا عزمت على ركوبه ، قيل ! جحظة راكب
ولا قميص يكون لي بدلا مخافة من قميصي الذاهب
واجرة البيت فهي مقرحة اجفان عيني بالوابل الساكب
انزارني صاحب عزمت على بيع كتاب لشبعة الصاحب

(١) الكنى والالقاب ج٣ ص١٨٦

(١) نقائبه جمع نقيبة ، وهي الطبيعة والنفس .

(٢) العر : بالضم والفتح الجرب .

اصبحت في معشر تشمتهم فرض من الله لازب واجب
فيهم صديق في عرسه عجب اذا تأمت ، امرها عاجب
تحسبها حرة وحافرها ارق من شعرها خالد الكاتب

العلامة الحبر ، والعالم النحرير فخر الطائفة الأمامية (ميثم بن علي بن ميثم البحراني ره) من اجلاء العلماء كان محققا مدققا ، متكلما ، اديبا ماهرا ، صاحب الشروح الثلاث على (نهج البلاغة) (الصغير ، والمتوسط ، والكبير) وهو شرح لا يمكن توصيفه ولا تعريفه ، لم تر في الامامية مثله ، وهو من مشايخ الامام العلامة الحلي (ره) !

قال الشيخ الجليل سليمان بن الشيخ عبد الله البحراني في كتابه (السلافة البهية في الترجمة الميثمية) وهو الفيلسوف المحقق والحكيم المدقق قدوة المتكلمين وزبدة الفقهاء والمحدثين ، العالم الرباني كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني ! غواص بحر المعارف ومتقنص شوارد الحقايق (الى قوله) والحكيم الفيلسوف سلطان المحققين واستاذ الحكماء والمتكلمين نصير الملة والدين محمد الطوسي شهد له بالتبحر بالحكمة والكلام .

كان رحمه الله تعالى معتزلا عن الناس ومنزويا منهم حتى ان بعض الفضلاء من اهل الحلة كتب اليه كتابا يحتوي على قدحه وملامته على هذا العمل وقالوا ! العجب منك مع شدة مهارتك في تحقيق الحقائق وابداع اللطائف قاطن في ظلال الاعتزال ومخيم في زاوية الخمول الموجب لخمود نار الكمال ، فكتب في جوابهم هذا البيت !

طالبت فنون العلم ابغي بها العلى فقصر بي عما سموت به القل
تبين لي ان المحاسن كلها ، فروع وان المال فيها هو الاصل

فلما وصل اليهم الكتاب ؛ كتبوا اليه ، انك اخطأت في ذلك خطأ ظاهرا وحكمك باصالة المال عجب بل (اقلب تصب) فكتب في جوابهم هذه الاسطر وهي لبعض الشعراء ؛

قد قال قوم بغير علم ما المرء الا باكبريه
فقلت قول امرىء حكيم ما المرء الا بدرهميه
من لم يكن درهم لديه لم يلتفت عرسه اليه

ثم انه (ره) لمارأى ان المراسلات لاتنفع ، عزم العراق لزيارة الأئمة عليهم السلام ، وفي احدالايام لبس ثيابه وارتهاودخل المدارس المشحونة بالعلماء فسلم عليهم فرد عليه بعض ولم يجبه آخرون ، فجلس في صف النعال ولم يلتفت اليه احد ، فدار بين العلماء البحث عن مسألة عويصة ومشكلة كانت من مزال الاقدام ، فاجاب عنها بتسعة اجوبة دقيقة جميلة ، فتوجه اليه بعضهم مستهزء وقال له ؛ يا خليك اخالك طالب علم .

ثم بعد ذلك احضروا الطعام ولم يطعموه بل افردوا له بشيء قليل من الطعام في صحن واجتمعوا هم على المائدة ، فلما انقضى المجلس قام وعاد في اليوم التالي اليهم وقد لبس ملابس فاخرة بهية لها اكمام واسعة وعلى رأسه عمامة كبيرة فلما قرب منهم سلم عليهم فقاموا تعظيما له واستقبلوه تكريما به واجتهدوا في توقيره واجلسوه في صدر المجلس المشحون بالعلماء والافاضل والمحققين ولما شرعوا في في البحث تكلم معهم بكلمات عليلة لا وجه لها فقابلوا كلماته العليلة

بالتحسين واذعنوا له على وجه التعظيم ثم حضرت المائدة فبادروا اليه بانواع الطعام باحترام وأدب ، فالقى الشيخ (قدس الله روحه) كمه في ذلك الطعام وقال إكل يا كمي ! تعجب واستغرب الحاضرون من فعله هذا ، ثم استفسروه عن معنى ذلك الخطاب ؟ فقال (ره) انكم اتيتموني بهذه الاطعمة النفيسة لأجل اكمامي الواسعة لالنفسي القدسية اللامعة والا فانا صاحبكم بالامس لم أر منكم تكريما ولا تعظيما مع اني جئتكم بهيأة الفقراء وسجية العلماء ، واليوم جئتكم بلباس الجبارين وتكلمت بكلام الجاهلين فقد رجحتم الجهالة على العلم والغنى على الفقر ، وانا صاحب الابيات التي في اصالة المال وفرعية الكمال التي ارسلتها وعرضتها عليكم ، فقابلتموها بالتخطئة وزعمتم انعكاس القضية ، فاعترفت الجماعة بالخطأ في تخطأتها اليه واعتذرت بما صدر عنها من التقصير في شأنه (١) .

وانشد جحظة في اماليه ؛

يا من دعاني وفر مني اخلفت والله حسن ظني
قد كنت ارضى بخبز رز ومالح او قليل بن
وسكرة من نبيذ دبس اقام يوما بعقر دن
فكيف يغلو بما ذكرنا مساعد شاعر مغني

قال الشاعر المجيد ابو بكر الصنوبري الحلبي ؛ احد شعراء سيف الدولة ابن حمدان ، قال ابن عساكر ؛ كتب الى ابو سعد السمعاني قال انشدني ابو القاسم الخضر بن الفضل المؤدب للصنوبري ؛

تقول لي وكلانا عند فرقتنا ضدان اد معنا در وياقوت

(١) ذرايع البيان ج٢ ص١١٤

اقم بارضك هذا العام قلت لها كيف المقام وما في منزلي قوت
ولا بارضك حر يستجار به الا لئيم ومذموم وممقوت

ومن شعر المتنبي ؛

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله واخو الجهالة في الشقاوة ينعم
والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم
والذل يظهر في الذليل مودة واود منه لمن يود الارقم
لايسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم
افعال من تلد الكرام كريمة وفعال من تلد الاعاجم اعجم

ومن شعر ابي العلاء المعري قال ؛

اولو الفضل في اوطانهم غرباء تشذو وتنأى عنهم القرباء
وحسب الفتى من زلة العيش انه يروح بادنى القوت وهو حباء
وزهدني في الخلق معرفتي بهم وعلمي بان العالمين هباء
اذا نزل المقدار لم يك للقطا نهوض ولا للمخدرات آباء

احمد بن الفضل النحوي الهمذاني الكاتب ، قال ؛ كنت بالبصرة فاستأذنت على ابي خليفة ، وعنده جماعة من الهاشميين يتغدون ، فحجبني البواب ، فكتبت في رقعة ، وناولتها بعض غلمانه فيها ؛

ابا خليفة تجفو من له ادب وتتحف الغر من اولاد عباس
ماكان قدررغيف لوسمحت به شيئا ، وتأذن لي في جملة الناس

فلما وصلت اليه ، قال ؛ علي بالهمذاني صاحب الشعر ، فادخلت عليه فقدم الي طبقا من رطب ، واجلسني معه (١)

ومن شعر اليافعي ؛

(١) بغية الوعاة ج١ ص ٣٥٣

واحق خلق الله بالهم امرؤ ذو همة تبلى بعيش ضيق

ومن شعر امير المؤمنين علي عليه السلام في ديوانه ؛

لو كان بالحيل الغنى لوجدتني بنجوم اقطار السماء تعلقي
لكن من رزق الحجى حرم الغنى ضدان مفترقان اي تفرق

وايضا في ديوانه عليه السلام ؛

فلو كانت الدنيا تنال بفطنة وفضل وعقل نلت اعلى المراتب
ولكنما الارزاق حظ وقسمة بفضل مليك لا بحيلة طالب

وقال في الفارسية الشيخ السعدي ؛

اكر روزي بدانش در فزودي زنادان تنك روزي تو نبودي
به نادان آن چنان روزي رساند كه صد دانا درآن حيران بماند

وفي غرر الحكم ، كم من طالب خائب ، ومرزوق غير طالب ،
وايضا لو جرت الارزاق بالالباب والعقول ، لم تعش البهائم والحمقى ؛

وقال الاديب الحسيب السيد جعفر الحلي رحمة الله عليه ؛

ما خلت ان الدهر من عاداته تروى الكلاب به ويظمى الضيغم
ويقدم الاموي وهو مؤخر ويؤخر العلوي وهو مقدم
مثل بن فاطمة يبيت مشردا ويزيد في لذاته متنعم

قال بعض العلماء ؛ من طلب شيئا وجد ،

الاجتهاد في تحصيل وجد (١)
المعارف والمعالي لجدوا التعب من مكارم اخلاق الانسانية ،
وفضائل صفات البشرية التي يرتقي الانسان بها
الى ذروة الدرجات الرفيعة والمناصب العالية ، وان رجال التاريخ

(١) آداب المتعلمين ص٢ ، ٣ ، ٤

الذين اشتهرت صيتهم في العالم وهم كانوا مجدين في نيل مقاصدهم ومنوياتهم ، فالواجب على كل طالب علم ان يكون مجتهدا في تحصيل العلوم والمكارم وكسب المعالي والفضائل حتى يصل الحد الذي يريد وصوله اليه ! فاليك الآن بنبذ من كلمات اكابر العلماء والفضلاء .

في آداب المتعلمين ! لابد لطالب العلم من الجد والمواظبة والملازمة قيل ! من طلب شيئا وجد وجد ، ومن قرع بابا ولج ولج .

وقيل بقدر ما يسعي ينال ما يتمنى وايضا جاء فيه !

العلم كثير والعمر قصير ، فينبغي ان لا يضيع الطالب له الاوقات والساعات ، ويغتنم الليالي والخلوات .

قيل ! الليل طويل فلا تقصره بمنامك ، والنهار مضيء فلا تكدره بآثامك ، وايضا فيه !

وينبغي (لطالب العلم) ان يستغرق جميع اوقاته ، فاذا مل عن علم يشتغل بعلم آخر وكان محمد بن الحسن (الطوسي ره) لاينام الليل وكان يضع عنده دفاتر اذا مل من نوع ينظر الى نوع آخر ، وكان يضع عنده الماء ويزيل نومه بالماء ، وكان يقول النومة من من الحرارة (١)

قال بعض الشعراء ! وهو عمر بن الوردي مخاطبا ولده !

اطلب العلم ولا تكسل فما ابعد الخير على اهل الكسل
واحتفل للفقه في الدين ولا تشتغل منه بمال وخول
واهجر النوم وحصله فمن يعرف المطلوب يحقر ما بذل
لا تقل قد ذهبت اربابه كل من سار على الدرب وصل

(١) آداب المتعلمين ص٢ / ٣ / ٤

وقال السيد احمد الهاشمي !

شمر وجد لا مرانت طالبه اذ لاتنال المعالي قط بالكسل
واحذرمساوىء اخلاق تشان بها واسوأالسوء سوءالخلق والبخل

وقال الزمخشري صاحب الكشاف في تفسير القرآن الكريم !

ومن يصبر للعلم يظفر بنيله ومن يخطب الحسناء يصبرعلى البذل
ومن لايدل النفس في طلب العلى يسيرا يعش دهرا طويلا اخاذل

وقال بعضهم الآخرون !

ما للمعيل وللمعالي انما يسمو مدارجها وحيد فارد
كالشمس تنجاب السماء فريدة وابو بنات النعش فيها راكد

وقال صلاح الدين الصفدي !

الجد في الجد والحرمان في الكسل فانصب تصب عن قريب غاية الامل
واصبر على كل ما يأتي الزمان به صبر الحسام بكف الدارع البطل

وقال ابو الفتح السبتي !

دع التكاسل في الخيرات تطلبها فليس يسعد بالخيرات كسلان
لا ظل للمرء يعرى من نهى وتقى وان اظلته اوراق وافنان

فعلى الطالب المجد ان يقرأ هذه الترجمة وهي من احد اعلام الاسلام مع قصته اللطيفة المهيجة التي سجلتهـــا كتب التراجم والتاريخ !

ابن الانباري ، ابو بكر محمد بن بشار اللغوي النحوي ، علامة وقته في الادب واكثر الناس حفظا لها .

حكى انه رأى يوما في السوق جارية حسناء ، فوقعت في قلبه ، فذكرها للراضي بالله (احد الخلفاء الذي كان في وقته) فاشتراها

له وحملها اليه ، فقال لها ! اعتزلي الى الاستبراء قال !

وكنت اطلب مسألة ، فاشتغل قلبي ، فقلت للخادم ! خذها وامض بها ، فليس قدرها ان تشغل قلبي ، عن علمي فاخذها الغلام فقالت له ! دعني اكلمه بحرفين ، فقالت له !

انت رجل له محل وعقل ، واذا اخرجتني ولم تبين ذنبي ظن الناس بي ظناً قبيحاً ، فقال لها ! ما لك عندي ذنب غير انك شغلتني عن علمي ، فقالت !

هذا سهل ، فبلغ الراضي ، فقال ! لا ينبغي ان يكون العلم في قلب احد احلى منه في صدر هذا الرجل (١) .

وقال الشاعر الفارسي ولله دره !

در علم رنج بر كه يكي روز بر دهد
چون تو تربيت كني نهالش ثمر دهد
عاقل هميشه خفتد در خاك بهر علم
بر باد عمر جاهل در كسب زر دهد
بر اهل روزگار آخر دهد سري
اول اكر چه علم ترا درد سر دهد
عالم درخت پر بر وجاهل چو بي براست
با اين زمانه پرورش آن را بتر دهد

وبعض ادباء العرب يشير الى هذا المعنى ايضا !

الى متى انت في حال وترحال تبغي العلى والمعالي مهرها غال
ياطالب المجد دون المجد ملحمة في طيها خطر بالنفس والمال

(١) الكنى والالقاب ج١ ص٢١٤

وللميالي صروف قلما انجذبت الى مراد امرىء يسعى بلا مال

فاليك ايضا هذه القصة المجيدة اقرأها واعتبر عنها وتجعلها دستورا وطريقا لارتقائك الى المعالي والكمالات ! كمـــا اعتبر عنها الذي حكاها عظة وعبرة لنا !

وهو احد علمائنا الابرار ! فهذه ترجمته والقصة التي حكيت عنه !

ابو الحجاج الاقصري ! هو الشيخ العارف الزاهد ، له كلمات في ارشاد المريدين .

وكان يقول ! لا يقدح عدم الاجتماع بالشيخ في محبته ، فانا نحب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، والتابعين وما رأيناهم وذلك لان صورة المعتقدات اذا ظهرت لا تحتاج الى صورة الاشخاص فانها اذا ظهرت تحتاج الى صورة المعتقدات ، فاذا حصل الجمع بينهما فذلك كمال حقيقي .

وقيل له . يوما من شيخك ؟ قال شيخي ابو جعران ، اي الجعل فظنوا انه يمزح ، فقال . لست لمزح ، فقيل له ! كيف ؟ فقال . كنت ليلة من ليالي الشتاء سهران واذ بابي جعران يصعد منارة السراج فيزلق لكونها ملساء ، ثم يرجع فعددت عليه تلك الليلة سبع مأة زلقة ، ثم يرجع بعدها ولا يكل فتعجبت في نفسي فخرجت الى صلاة الصبح ثم رجعت ، فاذا هو جالس فوق المنارة بجنب الفتيلة ، فاخذت من ذلك ما اخذت ، اي انه تعلم منه الثبات مع الجد (١)

وقال السبتي ولله دره .

يامن يسامى العلى عفوا بلاتعب هيهات ينل العلى عفوا بلا تعب

---

(١) الكنى والالقاب ج١ ص٤٤

عليك بالجد اني لم اجد احدا حوى نصيب العلى من غير ما نصب

وقال ابو تمام .

قد علمنا ان ليس الا بشق الـ نفس صار الكريم يدعى كريما
طلب المجد يورث المرء خبلا وهموما تقضقض الحيزو ما
فتراه وهو الخلي شجيا وتراه وهو الصحيح سقيما
تيمته العلى فليس يعد الـ بؤسا ولا النعيم نعيما

ونعم ما قال محمد علي صفوت في الفارسية .

ديدم ميان باديه مور ضعيف را
باري بدوش كرده رود سوي لانه اش
باري كه چند بار زعامل بزركتر
كوئي كه سنبلي كشد او جاي دانه اش
يا صعوه بين كرفته زافسار اشتري
آهسته مي كشد بسوي آشيانه اش
كشتم بحيرت اندرو كفتم اي عجب
موري نشانده چون ملخي را بشانه اش
اين لاشه را بلانه خود جاي چون دهد
طوفان شود چو شبنمي آيد بخانه اش
بشنيد مور اين سخن از من بخنده كفت
بس در شكفتم ازسخن عاميانه اش
مردان بدستياري همت كشند بار
پست آنكه كرد ضعف تنش را بهانه اش

مردي بهمتست وحميت كر ايندو نيست

مردي مخوان وكوش مده بر فسانه اش
كر نيست مرد را كوشش وهمت بلند
مي افكند به پستي ذلت زمانه اش

قال بعض العلماء ! من اطاع التواني ضيع الحقوق ، ومن اطاع الواشي ضيع الصديق .

المفاخرة بين الراحة والتعب

الكسل والتواني من صفات المذمومة التي توجب الحرمان عن تحصيل السعادات الدنيوية والاخروية ولاشك في ان الحرمان عن السعادة خسارة كبرى التي لا يأخذ مكانها اي شيء .

ونرى كثيرا من الاشخاص الذين يعيشون في المجتمع البشري ، وهم مع ذكاوة تامة وفطانة كاملة فقد وقعوا في وادي الخمول وزاوية النسيان ، لانهم جعلوا الكسل شعارهم وتبعوا التواني الذي يحرم الانسان عن وصوله الى مكانة سامية اللائقة له وفي الحقيقة لا تزيد قيمة الكسلان قيمة الزبالة ، وقدمنا بحثا لطيفا في (الاجتهاد في تحصيل المعارف والمعالي) ومن خلال العبارات والكلمات المندرجة فيه تعرف الجد وفضله وايضا تبين مذمة التواني والكسلان ، وايضا تقدم مقالا جيدا الذي يبحث حول الراحة والتعب تحت عنوان ! (المفاخرة بين الراحة والتعب) وهو بقلم العالم الرباني المرحوم السيد محسن الامين العاملي رحمه الله تعالى ، فقال !

حدثنا ابو المغوار عن مسافر بن سيار ، قال ساقتني الاقدار الى بعض الامصار ، فادى بي الطواف ، الى مجلس بعض الاشراف ، فلما دخلت حييت بالسلام ، وجلست حيث اجلسني الغلام ، فرأيت

المجلس غاصا باهله ، غريبا في زيه وشكله ، قد اجتمع فيه العلماء والفقهاء ، والادباء ، والشعراء ، والاشراف ، والامراء والكتاب ، والحجاب ، والاعيان ، والتجار ، وطوائف الخاصة والعامة ، فظننت انهم قد اجتمعوا لدعوة وقلت في نفسي هذه هفوة مني واي هفوة ، فقد وقعت في التطفيل من حيث لاادري ، وسيضيق عن ذلك عذري وسألت رجلا الى جنبي ! هل هذه الدعوة لوليمة عرس ، او ختان او سفر الى حج ، فقال ؛ لاذا ولا ذاك ، وانما اجتمع الناس من كل حدب لسماع المفاخرة بين (الراحة والتعب) فأطمأن جأشي ورجعت الى نفسي ، وقلت ! رب صدفة خير من ميعاد ، وبينما الناس جلوس على مراتبهم اذدخل فتى في عنفوان شبابه عطر الثياب نظيف الأهاب ، صقيل الخدين ، ناعم الكفين ، بادي النعمة يمشي في خدمة ويجلس في خدمة ، فهش له الحاضرون وبشوا .

فسلم وجلس على الين بساط ، وافخر انماط ، فسألت عنه ، فقيل لي !

هو الراحة ، ودخل معه آخر يقاربه في الزي والشكل يمشي متثاقلا ويخطو متماهلا ، فجلس الى جانبه ، فسألت عنه فقيل لي !

هو صاحبه وصديقه الكسل ، ودخل بعدهما رجل خشن الثياب غليظ الجلباب قوي الاعصاب شثن الكفين عبل الذراعين تبدوا عليه مخايل القوة والجلد يسرع في مشيه ويباعد بين خطواته ومعه رجلان كأنهما اسدان .

فسلم وجلس ناحية وجلس صاحباه احدهما عن يمينه والآخر عن شماله ، فسألت عنه فقيل لي !

هو التعب ، وسألت عن صاحبيه ، فقيل لي :اما الجالس عن يمينه فهو صاحبه وملازمه وهو الجد ، واما الذي عن شماله فرفيقه وخليطه وهو النشاط فلما استقر بهم المجلس ، التفتت الراحة الى التعب وقالت !

حياك الله يا اخي ، وانت فحياك الله وبياك من انت ! انا التعب واسمي ايضا النصب ، وماكنيتك ! اكنى ابا الاسفار والاخطار والاعمال والاشغال ، لقد غيرك الدهر بعدي والدهر ذو غير وانشدت !

تعب كلها الحيـاة فما اء جب الامن راغب في ازدياد

ومن انت ؟ انا الراحة الظاهرة الملاحة ، فطوبى لمن كنت له متاحة وبؤساً لمن كنت عنه مزاحة .

(التعب) لا بل البؤس لمن اخلد اليك وعكف عليك فقد فانه مناه وخسر آخرته ودنياه وانشد (للمؤلف) اي الأميني :

اهجر الراحة ان رمت العلا لا ينال المجد الا بالتعب

باجتهاد وبسهد دائم ووجيف فوق كور اوقتب

(الراحة) سفه رأيك لقد سلكت مسلكا وعرا وركبت طريقا صعبا وتعسفت الطريق واوقعت الناس في كل كرب وضيق وحملتهم على المشاق وسقيتهم كأس الزعاق فاصبحت مبغضاً الى القلوب ثقيلا على النفوس تستعيذ الناس من شرك وتخاف من اذاك وضرك اما انا فما زلت حبيبة الى القلوب شهية عندالنفوس وانشدت (للمؤلف) اي الأميني ! (ره)

كيف يختار اخو العقل التعب وهو منه كل ذي عقل هرب

فاطلب الراحة في اوطانها قد ينال المرء يوما ما طلب

التعب اماعلمت ايتها المسكينة ، انها لاتنال معالي الامور الابتحمل المشاق وشرب الزعاق وركوب الاهوال والاخطار وان الاخلاد الى الراحة سبب الحرمان من كل خير .

تريدين من ادراك المعالي رخيصة ولابد دون الشهد من ابر النحل

ولو لا المشقة والتعب ما نال امرؤ ما طلب ولا عرف فضل السابق ونقص المقصر .

لو المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والاقدام قتال

(الراحة) ان الذي يحصل بك من الفوائد لا يقابل ما فيك من المشاق والمتاعب فخيرك لا يقوم بشرك ونفعك لا يعدل بضرك .

(التعب) قد علم كل باد وحاضر انه لو لا التعب ما عرفت لذة الراحة ولو لا السهد ما استطيب طعم النوم !

وليست فرحة الاوبات الا لموقوف على ترح الوداع

فعندها قام (الكسل) ووقف الى جانب الراحة متثاقلا متثائبا وارتجل (للمؤلف) اي الاميني ! (ره)

ليس يدري الناس مانفع الكسل هو بادي النفع عنه لا تسل

هو عند النفس احلى من عسل واليها هو اشهى من بصل

فيه الراحة من كل عمسل سالم من كل ترحال وحل

ليس يهتم بعقد او بحل او بمن جاء ومن كان رحل

او بمن عز من الناس وذل ليس يدنو لخصام او جدل

او لحرب فيه تقريب الاجل وانتضاء البيض اوهز الاسل

او قراع الفارس الجلد البطل نام ان ينعس وان جاع اكل

واذا ما فقد القوت احتمل حافياً يمشي وان شاء انتعل

ان رأى الظل اليه ما انتقل سوف يأتيه فما هذا العجل
او اراد المشي يمشي في مهل عنده الاسراع من بعض الخطل
ليس يعروه حياء لو خجل لا ولا يمنى بخوف او وجل
لا يبالي ان علا وان سفل ذا هو العيش فان جاء الاجل
في جنان الخلد مغبوطا دخل ليس بالمسؤل عما قد فعل
رحمة من ربه عز وجل

فعندها قام (النشاط) مغضباً ، ووقف الى جانب التعب متوثباً ومد بصره الى الكسل مصعدا ومصوبا وانشد برفيع صوته قائلا ! (للمؤلف) اي الاميني . (ره)

خاب فيك اليوم يا هذا الامل والرجا فيك تلاشى واضمحل
فارتقب مني عقابا قد نزل بك بقصيك الى اقصى محل
سوأة للدهر فيما قد فعل حينما اصبحت قرنا للكسل
لست قرنا لي لدى هز الاسل فتأخر وامض من غير مهل
خاسئا او لا فقد حم الاجل وترى الرأس عن الجسم انفصل

فتأخر الكسل متثاقلا يجر رجليه وقد شملته الذلة حتى جلس في صف النعال حيث لا يراه النشاط وضحك الحاضرون كلهم مما جرى له ، فالتفت اليهم النشاط قائلا !

لقد حط هذا الخامل من قدر الراحة بانتصاره لها وانتسابه اليها فما عز من نصره ولا ذل من خذله وكم قد حرم اقواما من الخير بصحبته لهم وبعدوا عن منازل العظماء بملازمتهم له وانشد !

حب السلامة يثني عزم صاحبه عن المعالي ويغري المرء بالكسل

فعندها التفتت الراحة الى التعب وقالت ! انني ابرأ من الكسل

فليس بيني وبينه قرابة ولا نسب ولا صحبة ولا مودة ، فلا تلصق بي عاره ولا تلزمني ذنوبه واوزاره .

(التعب) بل هواخوك الشقيق وجارك اللصيق وصديقك الحميم وقلما افترقتما في سفر او حضر وانا احمد الله تعالى الذي دحض حجتك وأبان نقصك بصحبة الكسل وانتصاره لك وانشد !

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

اذاكنت في قوم فصاحب خيارهم ولاتصحب الاردى فتردى مع الردى

وقال الآخر !

توق صديقا مثل من واحذر الذي يكون كاي بين عرب واعجم

فان قرين السوء يعدي وشاهدي كما شرقت صدر القناة من الدم

(الراحة) مهلا فما كل من صاحب احدا تخلق باخلاقه وقد تدعوالضرورات الى بعض المصاحبات كما قال المتنبي !

وقد يتزيا بالهوى غير اهله ويستصحب الانسان من لا يلائمه

(التعب) الى متى تركنين الى المجادلة وتنكرين الحقائق الواضحة فقد استبان الصدق من المين ووضح الفجر لذي عينين والاصرار على الخطأ خطأ ثان .

(الراحة) ان من الوقاحة تفضيل التعب على الراحة وانشدت قول المعري .

اذا وصف الطائي بالبخل مادر وعير قسا بالفهاهة باقل

وقال السهي للشمس انت ضئيلة وقال الدجى للصبح لونك حائل

وفاخرت الارض السماء سفاهة وكاثرت الشهب الحصى والجنادل

فيا موت زر ان الحياة ذميمة ويا نفس جدي ان دهرك هازل

(التعب) ما اهلك الامم الا الاخلاد الى الراحة وما قادهم الى الكسل الا حب الراحة وترك العمل وهل تدرك الراحة الا بالتعب وتنال معالي الأمور الا بالجد والطلب وانشد !

بقدر الجد تكتسب المعالي ومن رام العلا سهر الليالي
ومن طلب العلوم بغير كد اضاع العمر في طلب المحال

واما انشادك لشعر المعري فانا احق بالاستشهاد به منك .

(الراحة) وما ينفع الجد والطلب اذاكان الجد والحظ في صبب وانشدت !

بالجد لابالمساعي يدرك الشرف تسري الجدود باقوام وان وقفوا

(التعب) هذا من تسويلات النفس الباطلة ولا يميل الى الراحة سوى النفوس الخاملة وترك الجد والعمل اتكالا على الحظ والبخت نوع من الخذلان نعوذ بالله منه وهو دأب الاتكالين الخاملين وهل ينال الدين والدنيا بسوى الكد والعمل والتعب والنصب او ما سمعت قول شاعر العرب امرىء القيس بن حجر الكندي حيث يقول !

بكى صاحبي لمارأى الدرب دونه وايقن انا لا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك أنما نحاول ملكا او نموت فنعذرا

(الراحة) وماذا افاد امرؤ القيس تعبه وكده حيث لم يساعده حظه وجده .

(التعب) قد اجاب امرؤ القيس سلفا من هذا الاعتراض بقوله ! (انما نحاول ملكا او نموت فنعذرا) واجاب عنه الكثيرون من عظماء الرجال في اشعارهم كما قال القائل !

ولابد ان اسعي لاشرف رتبة وامنع من عيني لذيذ منام

فاما مقام يضرب النجم دونه سرادقه او ناعياً لحمامي
اذا انا لم ابلغ مقاما اروده فكم حسرات في نفوس كرام

وقال الآخر ! (فخاطر بها ان العلاء خطار) وقال آخر !

سامضي وما بالموت عار على الفتى اذا ما نوى حقا وجاهد مسلما
وواسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مذموما وخالف مجرما
فان عشت لم اندم وان مت لم الم كفى بك ذلا ان تعيش فترغما

(الراحة) كل من حدثك ان المشي خير من الركوب ، والتعب خير من الراحة ، فلا تصدق وانشدت قول الطغرائي ٠

فيما اقتحامك لج البحر تركبه وانت تكفيك منه مصة الوشل

(التعت) وكل من حدثك ان معالي الأمور تنال بغير التعب فلا تصدقي وانشد !

لا تحسب المجد تمرا انت آكله لاتدرك المجد حتى تلعق الصبرا

وكانك ايتها الراحة لم تقرأي البيت الآخر الذي جعله الطغرائي جوابا لهذا البيت لما جبلت عليه من الكسل وهو قوله !

اريد بسطة كف استعين بها على قضا حقوق للعلى قبلي

وقوله في هذه القصيدة !

وذي شطاط كصدر الرمح معتقل بمثله غير هياب ولا وكل
طردت سرح الكرى عن وردمقلته والليل اغرى سوام النوم بالمقل
فقلت ادعوك للجلي لتنصرني وانت تخذلني في الحادث الجلل
فسر بنا في ظلام الليل معتسفا فنفحة الطيب تهدينا الى الحلل

اما سمعت قول الشريف الرضي حيث يقول !

وصاحب وقذ التهويم هامته دعوته ورواق الليل يؤويني

لادر درك كم نوم على ضمد سقهاولو بطرير الغرب مسنون

وقوله !

يذوق العين طعم النوم مضمضة اذا الجبان ملا عينا بتهجاع

المتسمعي قول الشنفري حيث يقول !

ولي دونكم اهلون سيد عملس وارقط زهلول وعرفاء جيئل (١)

هم الاهل لا مستودع السر ذائع لديهم ولا الجاني بما جر يخذل

وكل ابي باسل غير انني اذا عرضت احدى الطرائد ابسل

وان مدت الايدي الى الزاد لم اكن باعجلهم اذ اجشع القوم اعجل

واني كفاني فقد من ليس جازيا بنعمي ولا في قربه متعلل

ثلاثة اصحاب فؤاد مشيع وابيض اصليت وصفراء عيطل (٢)

هتوف من الملس المتون يزينها رصائع قد ينطت اليها ومحمل

اذا زل عنها السهم حنت كأنها مرزءة ثكلى ترن وتعـــول

ولست بمهياف يعشى سوامـــه مجدعـــة سقبانهـــا فهي بهل (٣)

---

(١) السيد ، الذئب (والعملس) الأملس (والأرقط) النمر (والزهلول) الخفيف او الناعم (والعرفاء) ذات العرف ، الكثير الشعر وهي الضبع ، (والجيئل) الكثيرة الذهاب والمجيء .

(٢) هي القوس ، والعيطل الطويلة .

(٣) (المهياف) السريع العطش (يعشى سوامه) يرعى ابله ليلا لخوفه من العطش (السقبان) جمع سقب وهو ولد الناقة (المجدعة) المحبوسة عن امهاتها (البهل) جمع باهل وهي الناقة التي لا صرار عليها (والصرار) ما يشد على الضرع يمنع الرضاع .

ولا جبأ اكهى مرب لعرسه يطالعها في امره كيف يفعل (١)
ولا خالف داريـــة متغزل يروح ويغدوا داهنـا يتكحل (٢)
ويوم من الشعري يمج لعابه افاعيـــه في رمضائه تتململ (٣)
نصبت له وجهي ولاكن دونه ولا ستر الا الا تحمى المرعبل (٤)

وانى ارانى في احتجاجي عليك كمن يحتج على ان السمـــاء فوق الارض والجبـال اعلى من السهل والنهـار اضوء من الليل والعسل احلى من الحنظل والجبل اكبر من الخردل وانشد !

تريد على مكارمنا دليلا متى احتاج النهار الى دليل

(الراحة)

ان تقبل الحق منا فهو بغيتنا وان ابيت تقاضينا الى حكم

(التعب) ومن هو الحكم الذي يحكم بيننا ، هو العدل ؟

(التعب) لا يحيد عن حكم العدل الا من اتصف بالظلم والجهل ثم تقدم الخصمان ووقفا امام العدل فابتدر التعب وقال ! السـلام عليك ايها الحاكم على الملوك والحكام ومن اليه المفزع في كل نزاع وخصام انت اساس الملك الوطيد وباتباعك سعد كل سعيد ، اناوهذه قدادت بنا المفاخرة الى المنافرة ورضيناك حكما بيننا فاحكم بيننا بالحق .

(العدل) وعليك الســلام ايها المشفق الذي طالما حافظ على

(١) الجبأ ، كسكر ، الجبان ، (والاكهي) الجبـان الضعيف (والمرب) الملازم .

(٢) الخالف ، الاحمق (والدارية) الملازم لداره .

(٣) (الشعري) نجم يطلع عند اشتداد الحر .

(٤) (الاتحمي) من برود اليمن (والمرعبل) الممزق .

سلامتي واسهر طرفه في حراستي !

(الراحة) لا تنس ايها القاضي سعيه ضدك في كثير من المواطن بل من يتعب في احياء الجور لا يقل عمن يتعب في احياء العدل ان لم يزد عليه .

(العدل) ان كان التعب نصرني مرة وقاومني اخرى فلم اجد منك في كل موطن الا الخذلان وانا بما فطرت عليه لا بد لي من ان اعرف لكل ذي فضل فضله ومعاذ الله ان يمنعني تقصيرك او تدعوني نصرته لي الى ان احكم بغير الحق ، وانما خلقت لانصف المظلوم من الظالم واميز الحق من الباطل وسأحكم بينكما حكما لا يشوبه حيف اجلسا فجلسا ثم فكر ساعة فقال !

انما الراحة نعمة محضة خص الله بها اولياءه في الدار الآخرة ولكنها لا تنال الا بالتعب في دار الدنيا فلا راحة في الدنيا لمؤمن والتعب مشقة تنال به السعادة الابدية ويتوصل به الى معالي الامور ولا ينسال شيء من المارب الابه ومن ذلك بسان فضل التعب على الراحة (١)

قال بعض العلماء ! الكتاب جليس ، لا مؤنة عليك فيه .

الكتاب خير انيس وجليس

الاشياء الموجبة لاستئناس الانسان لكثيرة جدا ، ولكن احسنها وافضلها هي الكتب بانواعها المختلفة ، لان فيهاحوال علمائنا السابقين والباقي من رجال الفضيلة والادب والكمال ولما ننظر في الكتب التاريخية نرى انهم

(١) معادن الجواهر ج٢ ص٣٨٦/٣٩٤

كانوا اكثر ما يجعل لهم جليسا وانيسا هي الكتب القيمة وما كان يشغلهم امر سوى الكتب وكان الواجب عندهم صرف الوقت في مطالعتها ، وفي الحقيقة مطالعة الكتب تنور الانكار الراقية ويعرف الانسان كل شيء منها وليس اي شيء غيرها كمثلها ، فعلى طالب العلم الديني ان يهتم بمطالعة الكتب ويجعلها انيسا وخير جليس له ويختارها له نديم ، حتى في قليل من الوقت يصير نابغة من نوابغ الزمان لاطلاعاته الكثيرة وجمعه العلوم الغزيرة وكسبه المعارف الآلهية وغيرها من فنون الادب والثقافة .

فاليك الأن بقليل من كلمات العلماء والأدباء شعرا ونثرا:

قال بعضهم من اكابر العلماء ؛ الكتاب نعم الذخر والعقدة ، والجليس والعمدة ، ونعم النشرة والنزهة ، ونعم المشتغل والرفة ، ونعم الانيس بساعة الوحدة ، ونعم المعرفة ببلاد الغربة ، ونعم القربة والدخيل ، ونعم الوزير والنزيل (١) .

وانشد ابو محمد العسكري لابن المعتز ؛

جعلت كتبي انيسي من دون كل انيس
لانني لست ارضى الا بكل نفيس

ولنعم ما قال حافظ ابراهيم ! وهو يخاطب كتابه !

يا كتابي انت عندي روضة فيها الثمار
اقطف الازهار منها باعتناء واصطبار
وامضي الوقت فيها بين بحث واعتبار
انت بالليل سميري وصديقي بالنهار

(١) محاضرات الابرار ج١ ص٣

يـا كتابي انت باب للمعالي ، والفخـــار

قيل لبعضهم ! اما تستوحش ، فقال ! يستوحش من معه الأنس كله ، قيل وما الأنس كله ، قال ! الكتب ، (١)

ولقد انشد ابن المعتز !

لا شيء انفع من كتاب يدرس فيه السلامـــــة وهو خل مؤنس
رسم يفيد كما يفيد ذوو النهى اعمى اصم عن الفواحش اخرس

وقال بعضهم !

نعم المحدث والرفيق كتاب تلهو بـه ان خانك الاصحاب
لا مفشيا للسر ان اودعته وينـال منه حكمة وصواب

وانشد جعفر بن محمد الخلدي !

نعم النديم اذا خلوت كتاب ان خانك الندماء والاصحـاب
فابحه سرك قد امنت لسانه او ان يغيبك عنده مغتـــاب
واذهفوت امنت عزب لسانه ان العتـاب من النديم عذاب

قـال الخطيب البغدادي ! قلت ! ومع ما في الكتب من المنافع العميمة ، والمفاخرالعظيمة ، فهي اكرم مال ، وانفس جمال والكتاب آمن جليس ، وآسر انيس ، واسلم نديم ، وافصح كليم (٢)

ما احسن ما قال ابن يسير !

فردا تحدثني المـوتى وتنطق لي عن علم ماغاب عني منه الكتب
هم مؤنسـون وآلاف عنيت بهم فليس لي جليس غيرهـــم ارب
لله من جلســـاء لا جليس هم ولا عشيرهـــــــم للشر يرتقب

(١) تقييد العلم ص١٢٥

(٢) نفس المصدر ص١٢١

وقال ايضا ؛

لا بادرات الاذى يخشى رفيقهم ولا يلاقيـــه منهم منطق ذرب
ابقوا لنا حكما تبقى مناقبهـــا اخرى الليالي على الايام وانشغبوا
فايمـــا ادب منهم مددت يدي اليـــه فهو قريب من يدي كثب
ان شئت من محكم الآثار يرفعها الى النبي (ص) ثقات خيرة نجب
او شئت من غرر علما تأولهـــا في الجاهليـــة تأتيني به العرب
اوشئت من سير الاملاك من عجم تنبي وتخبر كيف الرأي والادب
حتى كاني قـد شاهدت عصرهم وقدمضت من دونه من دهرهم حقب

قيل لبعض الادباء ؛ الا تنادم فلانا ، فقال ؛ قد نادمت من لا يتكلف لي ، ولا اتكلف له ، قيل ومن هو قال الكتاب ؛

وتأخر عن بعض الرؤساء نديم له ، فقال ؛ يا غلام علي بالنديم الذي لا يتغير ولا يتغيب ، قال ! من هو قال ؛ الكتاب !

ولقد انشد ابو بكر بن الانباري عن بعضهم !

اذا ما خلـوت من المؤنسين جعلت المؤانـس لي دفتري
فلم اخل من شاعر محسن ومن عـــالم صالح منذر
ومن حكم بين اثنائهـــا فوائـــد للناظر المفكر
فان ضاق صدري باسراره واودعتـــه السر لم يظهر
وان صرح الشعر باسم الحبيب لم احتشمه ولم احـــذر
ونادمت فيه كريم المغيب لندمانـــه طيب المخبر
فلست ارى مؤثرا ما حييت نديما عليه الى المحشر

ومما يحفظ قديما !

نعم المؤانس والجليس كتاب تخلو به ان ملك الاصحاب

لا مفشيا سرا ولا متكبرا وتفاد منه حكمة وصواب

وانشد ابو الحسن الفارسي الفقيه لبعضهم !

آنست الى الى التفرد طول عمري فما لي في البرية من انيس
جعلت محـــادثي وندیم نفسي وانسي دفتري بـــــدل الجليس
قـد استغنيت عن فرس برجلي اذا سـافرت او بغـــل كبوس
ولي عرس جـــديد كل يوم بطرح الهـــم في امر العروس
فبطني سفرتي والخـرج جسمي وهميـــــاني فمي ابدا وكيسي
وبيتي حيث يدركني مســائي واهلي كـــــل ذي عقل نفيس

وقال بعضهم ولله دره !

جليس الانيس يأمن الناس شره ويذكـــر انواع المكارم والنهى
ويأمر بالاحســان والبر والتقى وينهى عن الطغيان والشر والاذى

وقال ابو حيان الاندلسي :

ارحت روحي من الايناس بالناس لمـا غنيت عن الاكياس باليأس
وصرت في البيت وحدي لا ارى احدا بنات فكري وكتبي كان جلاسي

وقال احمد بن فارس :

اذا ازدحمت هموم الصدر قلنـا عسى يوما يكون لهـــا انفراج
نديمي هرتي ، وانيس نفسي دفاتر لي ، ومعشـــــوقي السراج

وانشد ابو بكر الزهري لابن طباطبا في الدفاتر :

لله اخـوان افادوا مفخرا فبوصلهـــم ووفائهم اتكثر
هم ناطقون بغير السنة ترى هم فاحصون عن السرائر تضمر
انابغ من عرب ومن عجم معا علمـــا مضى فيه الدفاتر تخبر
حتى كاني شاهد لزمانهـــا ولقد مضت من دون ذلك اعصر

خطباء ان ابغ الخطابة يرتقوا كفى كفى للدفـــــــاتر منبر
كم قد بلوت بها الرجال وانما عقل الفتى بكتاب علم يســـبر
كم قد هزمت به جليسا مبرما لا يستطيع له الهزيمـــة عسكر

ومن شعر ابو اسحاق ابراهيم الصابي :

ليس لي مسعد على ما اقاسي من كروبي سوى العليم السميع
دفتري مؤنسي وفكري سميري ويدي خادمي وحلمي ضجيعي
ولســاني سيفي وبطشي قريظي ودواتى غيثى ودرجى ربيعى
اتعاطى شجاعة ادعيهـــــــا في القوافي لقلبى المصـــــدوع

قال احمد شوقي :

انــا من بدل بالكتب الصحابا لم اجــد لي وافيا الا الكتابا
صاحب ان عبته او لم تعب ليس بالواحد للصاحب عابا
كلمــا اخلقته جددني وكساني من حلى الفضل ثيابا
صحبة لم اشك منهـا ريبة ووداد لم يكلفني عتابـــا
رب ليل لم نقصر فيه عن سمر طــال على الصمت وطابا
كان من هم نهاري راحتي ونداماي ونقلي والشرابــا
ان يجدني يتحدث او يجد مللا يطوي الاحاديث اقتضابا
تجد الكتب على النقد كمــا تجد الاخوان صدقا وكذابــا
فتخيرها كما تختاره وادخر في الصحب والكتب اللبابا
صالح الاخوان يبغيك التقى ورشيد الكتب يبغيك الصوابا

ايها الطالب العزيز ، اقرأ هذه الجملة التاريخية التالية التي تدل على ان الكتاب اعزشيء عند العالم لانه لمايجلس وفي جوانبه كتب التي ينظر فيها يستلذ فوق ما يتصور :

قال الجاحظ ، دخلت على محمد بن اسحاق امير بغداد في ايام ولايته ، وهو جالس في الديوان والناس مثل بين يديه كأن على رؤسهم الطير ، ثم دخلت عليه بعد مدة ، وهو معزول وجالس في خزانة كتبه وحواليه الكتب ، والدفاتر ،والمحابر ، والمساطر ، فما رايته اهيب منه في تلك الحال (١) .

ونقل عن بعض الاكابر ، انه كان يحترز عن مجالسة الناس ومصاحبتهم ، فقيل له في ذلك (اى اعترضوا عليه) فقال ؛ اي صاحب افضل مما في صدري ، (٢) .

ونعم ما قال شمس الدين محمد المعروف بخواجه حافظ الشيرازي

فراغتي وكتابي وكوشه چمني من اين مقام بدنيا وآخرت ندهم

قال الجرجاني ونعم ما قال !

ما تطعمت لذة العيش حتى صرت في وحدتي لكتبي جليسا
انما الذل في مداخلة النا س فدعها وكن كريما رئيسا
ليس عندي شيء اجل من العلم فلا ابتغي سواه انيسا

قال بعض الادباء ؛ البخل بالعلم على غير اهله ، قضاء لحقه ، ومعرفة بفضله (٣) .

محافظة الكتاب

ومن الاشياء اللازمة على كل شخص من العلماء والادباء ، بل وعلى كل من عنده ادنى معرفة بالكتب وما فيها من العلوم والمعارف ، ان يحافظ على كتبه حفظا كاملا واذا جاء احد ان يستعيرها ويأخذها مدة بعنوان

(١) بجاني الادب ج٢ ص١٣٠ .

(٢) تحفة العالم ج٢ ص٩٥ . (٣) تقييد العلم ص١٤٦ .

الامانة حتى يطالع بها فعليه ان لايعطيها حتى لا تضيع الكتب من عنده لان توجد في مجتمع البشري افراد دنيء النفس ووضيع الحسب والنسب الذين لاوجدان ولا معرفة لهم بالنسبة الى كل شيء ويصدر منهم كل عمل فاسدفانهم اذا استعاروا كتاباً فيضيعوه او يسرقوه ، لانهم لا يهمهم سرقة الكتب وبيعها الى غير اهلها ، كما وقع هذا العمل واني رأيته في البعض ومن المعلوم ان ارتقاء كل شخص من اهل العلم والفضل بسبب الكتب التي درس فيها ويقرأعليها ، وياخذ المعارف والمباني الشرعية الواجبة عليه منها ، فاذا فقد الكتاب من عنده واستعارها شخص اخر الذي لا يليق به ، فانه يبقى فارغا فطبعا ينقص من معلوماته ، فاذا كان الامر كذلك يجب على كل من عنـده كتب قيمة علمية التي يتعلم منها المسائل الشرعية والدستورات الالهية وينظر فيها لاجل ازديـاد المعرفة في كل فصل وبـاب من الآداب الانسانية والاخلاق المرضية البشرية ان لا يعطيها لأحد ، وفي هذا المورد جاء كثير من كلمات العلماء والفضلاء ، فاليك بقليل من اقوالهم المتينة المتقنة في الموضوع !

طلب واستعار بعض العلماء عن بعض الحكماء كتابا يقرأه ، فالحكيم رد سؤاله وما قبل كلامه وانشد في جوابه هذه الابيـات التالية !

الا يا مستعير الكتب دعني فان اعارتي للكتب عار
فمحبوبي من الدنيا كتابي وهل ابصرت محبوبا يعار (١)

قال ابو محمد عبد الحميد ! جـاء رجل الى رجل ، يستعير منه

(٢) شرح چهل حديث

كتاباً ، فاعاره وقال له ! لا تكن في حبسك له كصاحب القربة ، قال ! لا ، قال ! ولا تكن انت في ارتجاعك له كصاحب المصباح ، قال ! لا ،

وكان من حديث هذين ، ان رجلا استعار من رجل قربة ، على ان يستقي فيها مرة واحدة ، ثم يردها ، فاستقى فيها سنة ثم ردها اليه متخرقة .

واما الآخر فان رجلا ضافه ضيف من النهار ، فاستعار من جارله مصباحاً يسرجه لضيفه في الليل ، فلما كان بعد ساعة اتاه وطالبه برده ، فقال له ! اعرتنى مصباحاً لليل او للنهار ، قال ! لليل ، قال ! فما دخل الليل (١)

اتى الاصمعي رجل ! فسأله ان يكتب له شيئا من العلم ، فكتبه له ، فلماكان بعدايام عادااليه ، فقال ! يا ابا سعيد ، ان ذلك القرطاس الذي كتبتـه لي سقط مني فاكلته الشاة ، فاحب ان تكتب لي غيره ثانيا ، فكتب له :

قل لبغاة الآداب ماوصلت منها اليكم فلا تضيعوهـا
ضمنوا علمها الدفاتر والحبر بحسن الكتاب اوعوهـا
ان اشتريتم يوما لأهلكـم شاة لبونا فـلا تجيعوها
فان عجزتم ولم يكن علف يشبعها عندكم فبيعوهـا (٢)

كتب بعض اهـل العلم على ظهر كتابه ! الكتاب امانة ، وهو

(١) تقييد العلم ص١٤٨
(٢) نفس المصدر ص١٤٧

حقيق بالصيانة .

وكتب آخـر ! كتابي اعز شيء علي ، واحسانك اليه احسانك الي .

وانشد محمد بن خلف المرزبان !

ايهـا المستعير مني كتابا ان رددت الكتاب كان صوابا
انت والله ان رددت كتابا كنت اعطيته اخذت كتابـا

سأل رجل رجلا ، ان يعيره كتاباً ، فابى عليه ، فقال ! خذ مني رهناً ، فقال ! من وجب ان يسترهن على علم ، فواجب ان لا يعـار .

وسأل رجل رجـلا ، ان يعيره كتاباً ، فقال ! علي يمين ان لا اعير كتاباً الا برهن ، قال ! فهذا كتاب استعرته من فلان ، فاتركه رهناً عندك ، فقـال ! اخاف ان ترهن كتابي كما رهنت كتـاب غيري .

انشد محمد بن خلف المرزبان !

اعر الدفتر للصاحب بالرهن الوثيـــق
انه ليس قبيحـا اخذ رهن من صديق

وانشد عبد الحميد بن عبد الرحيم !

اجل مصائب الجل العليم مصـائبه باسفار العلوم
اذا فقد الكتاب فذاك خطب عظيم قد يجل عن العظيم
وكم قد مات من اسف عليها اناس في الحديث وفي القديم

استعار رجل من بعض اهل العلم كتاباً ، ثم رده اليه بعد حين متكسرا متغيرا ، عليه آثار البزور وغيره ، فسأله ان يعيره غيره ،

فقال له ! ما احسنت ضيافة الاول فنضيفك الثاني .

ابو ضياء بشر بن يحيى بن القتبي ، قال، حدثني بعض البصريين ، قال ! اعارني رجل من وجوه بني هاشم بالبصرة دفترا ، فضاع فتفجع لذلك ، فاعتذرت اليه وقلت ! (١)

يا مالكا ما تزال راحته تعطى المعالي وتبسط النعما
هب لمقر بالذنب معترف بواسع العفو منك ما اجترما
أعرته دفترا تضن به فخانه الدهر فيه فاصطلما
اعظامك العلم اذ فجعت به يزيد عندي خطيئتي عظما

قال الله العزيز الحكيم ! وكان تحته كنز لهما (٢) .

قيمة الكتاب

لا يخفى عليك ان صدر العالم مملوء من العلوم المختلفة الآلهية والمعارف المتنوعة السبحانية ، وان الكتاب الذي يكتب ويؤلف فهو من تلك العلوم المكنوزة في صدره ، ونكتفي بما قالوا (العلماء) نظما ونثرا في قيمة الكتاب وشرافته اذ لامجال للكلام في هذا المبحث ، لان كلماتهم القيمة تدل دلالة كاملة على فضيلة الكتاب وقيمته .

عن ابي الدرداء ، عن النبي صلى الله عليه وآله (وكان تحته كنز لهما) قال ! صحف علم خبأها لهما ابوهما (٣)

(١) اكثر مطالب هذا العنوان استفدنا من كتاب (تقييد العلم) من ص١٤٦ الى ص١٥٠ اذاتريدان تطلع اكثر فعليك بالكتاب المذكور .

(٢) سورة الكهف ي ٨١

(٣) تقييد العلم ص١١٧ / ١١٨ .

عـن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وكان تحته كنز لهما) قال ! ما كان ذهبا ، ولا فضة ، قال ! صحفا علما (١)

عن ابن عباس في قول الله عز وجل ، (وكان تحته كنز لهما) قال علم صحف (٢) .

قال الحسن بن صالح ، واي كنز افضل من العلم ، (٣)

قال بعض الحكماء ! لن يصان العلم بمثل بذله ، ولن تكافأ النعمة فيه بمثل نشره . وقراءة الكتب ابلغ في ارشاد المسترشد من ملاقاة واضعيها . اذ كان مع التلاقي يقوي التصنع . ويكثر التظالم . وتفرط النصرة ، وتشتد الحمية ، وعند المواجهـة يملك حب الغلبة وشهوة المباهات والرئاسة مع الاستحياء من الرجوع والانفة من الخضوع ، وعن جميع ذلك يحدث التضاغن ، ويظهر التبـاين ، واذا كانت القلوب على هذه الصفة امتنعت من المعرفة ، وعميت عن الدلالة ، وليست في الكتب علة تمنع من درك البغية ، واصابة الحجة ، لأن للتوحد بقراءتها ، والمتفرد بعلم معانيها لا يباهي نفسه ، ولا يغالب عقله .

قال ! والكتـاب قد يفضل صاحبه ، ويرجح على واضعه بامور منهـا !

ان الكتاب يقرأ بكل مكان ، ويظهر مافيه على كل لسان ، وموجود في كل زمان ، مع تفاوت الاعصار ، وبعد ما بين الامصار ، وذلك امر مستحيل في واضع الكتاب والمنازع بالمسألة والجواب ، وقديذهب العالم ، وتبقى كتبه ، ويفنى العقل ويبقى اثره ، ولو لا ما رسمت

(١ ، ٢ ، ٣) تقييد العلم ص١١٧ ، ١١٨

لنا الاوائل في كتبها ، وخلدت من فنون حكمها ، ودونت من انواع سيرها ، حتى شاهدنا بذلك ما غاب عنا ، وادركنا به ما بعد منا وجمعنا الى كثيرهم قليلنا ،والى جليلهم يسيرنا وعرفنا مالم نكن لنعرفه الا بهم ، وبلغنا الأمدالاقصى بقريب رسومهم اذالحسرطلاب الحكمة ، وانقطع بسببهم عن المعرفة ، ولو الجينا الى مدى قوتنا ، ومبلغ ما تقدر على حفظه خواطرنا وتركنا مع منتهى تجارتنا ، ولما ادركته حواسنا وشاهدته نفوسنا لقلت المعرفة ، وقصرت الهمة ، وضعفت المنة وماتت الخواطر ، وتبلد العقل ، ونقص العلم . فكان مادونوه في كتبهم اكثرنفعا ، وما تكلفوه من ذلك احسن موقعا ، ويجب الاقتفاء لاثارهم ، والاستضاء بانوارهم فان المرء مع من احب ، وله اجرمااحتسب !

وانشد احمد بن محمد العروضي !

ان جمع الدفاتر ، عدة للبصائر قدحوت كل فاخر ، من صنوف الجواهر
وعلوم قداوضحت ، كل ماض وغابر وعجيب من الامور ، بعيد وحاضر
يكتفي كل عالم ، بارع اللفظ باهر برياض مقيمة ، في بطون الدفاتر
يتناجون صامتين ، بما في الضمائر وهم ان خبرتم ، بين ناه وزاجر
ومشير بما يراه ، وداع وآمر فتمسك بها تفز ، بسني الذخائر

قيل لسقراط ! اما تخاف على عينيك من ادامة النظر في الكتب ، فقال ! اذا سلمت البصيرة لم احفل بسقام البصر .

وقال مهنود ! لو لا ما عقدته الكتب من تجارب الاولين لأنحل مع النسيان عقود الآخرين .

قال بزرجمهر ! الكتب اصداف الحكم تنشق عن جواهر الشيم .

وقال آخر ! هذه العلوم فوارد فاجعلوا الكتب لها نظاما ، وهذه

الابيات شوارد ، فاجعلوا الكتب لها زماما .

انشد ابو عبد الله الصوري لنفسه !

نعم الانيس كتاب ، ان خانك الاصحاب
يحوي ضروب علوم ، تزينها الآداب
تنـــال منه فنونا ، تحظى بها وتثاب
لا مظهر لك سرا ، ولا عليه حجاب
ولا يصدك عنـــه ، ان جئته بواب
ولا يسوءك منـــه ، تغضب او عتاب
ولا يعيبك ان كان ، فيك شيء يعاب
خلاف قوم تراهم ، ليست لهم ألباب
لكنهم كذئاب ، طلس عليهم ثيـــاب
اذا تقربت منهم ، ارضاك منهم خطاب
وان تباعدت منهم ، فكلهم مغتـــاب
ما هؤلاء بناس ، بل هم لعمري كلاب
فالبعد منهم ثواب والقرب منهم عقاب

وانشد ابو بكر الشيطان صاحب ابي بكر بن دريد !

اذا اعتللت فكتب العلم تشفيني فيهـا نزاهـــة الحاظي وتزييني
اذا اشتكيت اليها الهم من حزن مـالت الي تعزيـــني وتسليني
حسبي الدفاتر من دنيا قنعت بها لا ابتغي بدلا منها ومن ديني

ومن شعر ابن فارس !

وقالوا كيف انت ، فقلت خير تقضى حاجة ويفوت حاج
اذا ازدحمت هموم القلب قلنا عسى يوما يكون لها انفراج

نديمي هرتي وسرور قلبي دفاتر لي ومعشوقي السراج

قال المأمون ! لا شيء آثر للنفس ، ولا اشرح للصدر ، ولا أوفر للعرض ، ولا اذكى للقلب ، ولا ابسط للسان ، ولا اشد للجنان ، ولا اكثر وفاقا ، ولا اقل خلافا ، ولا ابلغ اشارة ، ولا اكثر عبارة من كتاب تكثر فائدته ، وتقل مؤونته ، وتسقط غائلته ، وتحمد عاقبته ، وهو محدث لا يمل ، وصاحب لايخل ، وجليس لايتحفظ ، ومترجم عن العقول الماضية ، والحكم الخالية ، والامم السالفة ، يحيي ما اماته الحفظ ، ويجدد ما اخلقه الدهر ، ويبرز ما حجبته الغباوة ، ويصل اذا قطع الثقة ، ويدوم اذا خان الملوك .

وانشد السري بن احمد الكندي لنفسه ، قال ؛ كتبت على ظهر جزء اهديته الى صديق لي وجلدته بجلد اسود .

وادهم يسفر عن ضده كما سفر الليل اذ ودعا
بعثت اليك به اخرسا يناجي العيون بما استودعا
صموت اذا زر جلبابه لبيب فان حله امتعا
تخبر انواعه جامعا يروح ويغدو لها مجمعا
تلاقي النفوس سرورا به وتلقى الهموم به مصرعا
فلا تعدلن به نزهة فقد حاز ماتبتغي اجمعا

قال ابن المرزبان ،اخبرني علي ابن الحسن الكاتب ، قال ! اهدى بعض اهل الأدب الى بعض الكتاب ، من يوم نوروز ، كتابا فيه ، اخبار وآداب ، فاستصغره ، واستقله ، فكتب اليه المهدي !

هدية تصغر لكنها في عين من يعرفها تكبر
بعثتها كالروض في حسنه انوارها مشرقة تزهر

كالعقد في النظم حوى جوهرا ما مثله في حسنه جوهر
جونة عطار اذا استفتحت يفوح منها المسك والعنبر
كالوشي في الحسن ولكنه احسن ما يطوي وما ينشر
لا تحقر الدفتر وانظر الى ما قد حوى علمه الدفتر
من نادر الاخبار او محكم الاشعار او مكرمة تؤثر
كالدر في الاصداف ما ضمت الاوراق مما خطت الاسطر
انكرت منها يا با جعفر ما مثله عندك لا ينكر

وانشد بعضهم لبعض !

خليلي كتابي لا يعاب وصاليا وان قل لي مال وولى جماليا
وفى لى على حالي شباب وكبرة ولم يتجمني لشيب قذاليا
على حين خانتني الحسان عهودها وقطعن من بعد اتصال حباليا
تجافين عني اذ تجابت شبيبتي وانكرنني لما تنكرت حالبا
كتابي عشيقي حين لم يبق معشق اغاز له لو كان يدري غزاليا
كتابي أب بر وام شقيقة هما هو ، اذ لا ام او لا ابا ليا
كتابي جليسي لا اخاف ملاله محدث صدق لا يخاف ملاليا
محدث اخبار القرون التي مضت كاني ارى تلك القرون الخواليا
فهم جلسائي لا بهائم رتع حمير سدى ما يخطرون ببالي
كتابي بحر لا يغيض عطاؤه يغيض على المال ان غاض ماليا
وتلفظ لي افلاذ اكباد كنزه لجينا وعقيانا ودرا لآليا
أدل بعلمي ان اذل لجاهل ويعقل عقلي ان يحل عقاليا
كتابي دليلي على خير غاية فمن ثم ادلالي ومنه دلاليا
اذا زغت عن قصد السبيل اقامتي وان ضل ذهني ردني عن ضلاليا

فهذا خليلي لا ازال خليلـــــه وخير خـلالي ان اديم خلاليا

عبد الله بن المعتز قال : قال محمد بن احمد بن طباطبا يصف كتابا :

صـدف شـــق عن لآلي ذر ام كتاب قدفض عن نظم شعر

وقواف مقومات لدى الابيـ ـات موزونة بقسطاس فكر

قال عمرو بن العلا : ما دخلت على رجل مطالعة الكتاب قط ، ولا مررت ببابه فرأيتـــه ينظر في دفتر وجليسه فارغ الا حكمت عليه ، واعتقدت انه افضل منه عقلا . (١)

مطالعة الكتب من الاشياء التي توجب الازدياد للمعلومات العلمية ، والمعرفة باخبار الســـابقين ، وكل شخص اذا اراد الاطلاع الكامل بجميع حالات البشر وكيفية عقائدهم ومذاهبهم فليس له طريق الا قراءة الكتب ، وايضا ، ان من يريد ان يتعلم امور دينه فالوسيلة الوحيدة لتعليمها وتعلمها هي الكتب ، ولكن اعزها واشرفها من جهة اخذ المعارف الدينية والمباني الشرعية هوالقرآن الكريم ، كلام الله المجيد وبعده نهج البلاغة وهو من كلمات وخطب مولانا امير المؤمنين علي عليـــه السلام ، وايضا ، ان الانسان اذا يطالع الكتب يوجد له نشاط ولذة التي ليس فوقها من لذة فنكتفي هنا بهذا المقدار من الكلام ونقدم نصوص عباراتهم في الموضوع وفي خلالها تعرف قيمة مطالعة الكتاب واني اعتقد انك تجعل الكتب في منظرك وتطالعه ما دام الحياة .

احمد بن عمران ، قال : كنت عند ابي ايوب احمد بن محمد بن

(١) جامع بيان العلم وفضله ج٢ ص٢٠٤

شجاع ، وقد تخلف في منزله ، فبعث غلاما من غلمانه الى ابي عبد الله بن الاعرابي ، صاحب الغريب ، يسأله المجيء اليه ، فعاد اليه الغلام ، فقال ! قد سألته ذلك فقال لي ؛ عندي قوم من الاعراب فاذا قضيت أربي معهم أتيت ، قال الغلام ؛ وما رأيت عنده احدا الا بين يديه كتبا ينظر فيها ، فينظر في هذا مرة ، ثم ما شعرنا حتى جاء ، فقال له ابو ايوب ؛

يا ابا عبد الله ، سبحان الله العظيم تخلفت عنا وحرمتنا الأنس بك ولقد قال لي الغلام ! انه ما رأى عندك احدا وقلت ! انت مع قوم من الاعراب ، فاذا قضيت اربى معهم اتيت .

فقال ابن الاعرابي ؛

لنا جلساء ما نمل حديثم ... الباء مأمونون غيبا ومشهدا
يفيدوننا من علمهم علم مامضى ... وعقلا وتأديبا ورأيا مسددا
بلافتنة تخشى ولاسوء عشرة ... ولا نتقي منهم لسانا ولا يدا
فان قلت اموات فما انت كاذبا ... وان قلت احياء فلست مفندا

قال الشيخ الكبير العالم العارف سفيان اليمني ؛ قال لي مرة بعض الصالحين ، عجبت من هؤلاء الفقهاء الذين ما شغلهم الا بالكتب ، قلت ووقع لي خاطران في بداية اشتغالي بالعلم احدهما ؛

يدعوني الى العلم ، والآخر الى التعبد ، وتعبت في مجاذبتهما ، حتى فرج الله تعالى ، وله الحمد ! باشارات ، منها ، واني كنت مهموما في ذلك في باطني مثل النار ، ففتحت كتابا فواجهتني ورقة ليست من الكتاب ، ولم ارها فيه قبل ذلك ، واذا فيها ابيات ما كنت سمعتها ،

(١) جامع بيان العلم وفضله ج٢ ص٢٠٢

فلما قرأتها ذهب همي وبرد احتراقي ، وسكن اضطراب الخاطرين المذكورين وهي هذه الابيات ؛

كن عن همومك معرضا وكل الامور الى القضا
فلربما اتسع المضيـ ـيق ولربما ضاق الفضا
ولرب امر متعب لك في عواقبه رضا
الله يفعل ما يشا ء فلا تكن متعرضا (١)

قيل لأبي العباس احمد بن يحيى بن ثعلب ! توحشت من الناس جدا ، فلو تركت لزوم البيت بعض الترك ، وبرزت للناس كانوا ينتفعون بك وينفعك الله بهم فمكث ساعة ثم انشأ يقول ؛

ان صحبنا الملوك تاهوا علينا واستخفوا كبرا بحق الجليس
او صحبنا التجار صرنا الى البؤ س وصرنا الى عداد الفلوس
فلزمنا البيوت نستخرج العـ ـلم ونملأ بطون الطروس (٢)

كان عبد الله بن عبد الله بن عبد العزيز ، لا يجالس الناس ونزل المقبرة ، فكان لا يكاد يرى الا وفي يده دفتر فسئل عن ذلك ، فقال ؛ لم اره قط اوعظ من قبر ولا امتع من دفتر ، ولا اسلم من وحدة (٣)

قال بعضهم ولله دره ؛

واذا الهموم تضيقتك ولم تجد احدا ومل فؤادك الاصحابا
فاعمد الى الكتب التي قدضمنت اوراقها الاشعار والآدابا
فهي التي تنفي الهموم ولم تجد احدا له ادب يمل كتابا

---

(١) الارشاد والتطريز ص١٥١ .

(٢ ـ ٣) جامع بيان العلم وفضله ج٢ ص٢٠٣/٢٠٤

قال الأمام ابو عبد الله عليـــه السلام ؛

الكتابة والتأليف القلب يتكل على الكتابة (١)

ان في الكتابة والتأليف فوائد كثيرة اذ لولا كتابـــة الاخبار والاحاديث لما كان يبقى اثر من انباء السابقين ولما كان ان يعرف احد بما انزل الله تعالى من الدستورات اللازمة والقوانين الواجبة عليه من الكتب السماوية والصحف الآلهيـــة ، وانما الكتاب والمؤلفين كتبوا ما جاء به الانبياء والرسل من الاحكام في كل عصر وزمان حتى بقي ما كتبوا الى زماننا هذا ، وهذا احد الفوائد التي ذكرنا وتشير اليها فيما نذكر تاليا من الروايات وشروحها ونقل بعض عبارات اكابر العلماء !

فعلينا ايضا ان نألف ونكتب في حول كل موضوع ديني ، تاريخي ، علمي وغيرها من باقي المواضيع الهامة حتى تبقى كتبنا بعدنا حتى الجيل الآتي يستفيدون بما كتبنا .

قال احمد بن محمد ! سمعت الصولي يقول ؛ قال ذو الرمة لعيسى بن عمر (اكتب شعري) فالكتاب اعجب الي من الحفظ ، ان الاعراب ينسي الكلمة قد سهرت في طلبها ليلة ، فيضع في موضعها كلمة في وزنها ، ثم ينشده الناس ، والكتاب لا ينسى ولا يبدل كلاما بكلام .

قال بعض الشعراء !

صنف الكتب يبق لك ذكرك واحـ ـرص ان تصون العلوم والآدابا

ان في جوهر الخواطر علما يلقح العقل حكمة وصـــوابا

(١) اصول الكافي ج١ باب العلم .

وللسري بن احمد الكندي ؛

كن للعلوم مصنفا او جامعا يبقى لك الذكر الجميل مخلدا
كم من اديب ذكره بين الورى غض وقداودى به صرف الردى
وارى الاديب يهابه اعداؤه ويعده السادات فيهم سيدا
ينسى اواخر الاوائل كلهم الااخا العلم الذي جاز المدى

عن ابي عبد الله عليه السلام ، قال : القلب يتكل على الكتابة (١)

قال المولى محمد صالح المازندراني في شرح هذا الحديث الشريف !

(عن ابي عبد الله عليه السلام ، قال ! القلب يتكل على الكتابة) المراد بالقلب النفس الناطقة والاتكال ، الاعتماد ، وفيه حث على الكتابة وعدم الاعتماد على الحفظ ، ودلالة فيه على جواز عمل الغير بمكتوبه كما زعم لجواز ان يكون فائدة الكتابة ضبط الحديث عن الاندراس والقراءة على الغير ونقله اليه وحفظ سنده والعمل به في بقية العمر ، ولا يشترط في جواز عمله بمكتوبه ان يكون عادلا نعم يشترط ذلك في جواز عمل الغير به ، ولو شك في كونه مكتوبه فهل له العمل به وقراءته على الغير) لا يحتمل الاول ، لانه لا يقصر عن كتاب الغير اذا وجده ، فان له ان يعمل به ويحدث به غيره كما دل عليه حديث آخر هذا الباب (اي باب رواية الكتب والحديث) ويحتمل الثاني لعدم علمه بذلك (٢) .

عن ابن بصير قال ! سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول !

(١ - ٢) شرح اصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج٢ ص٢٦٥ .

اكتبوا فانكم ، لا تحفظون حتى تكتبوا (١) .

قال المولى محمد صالح المازندراني في شرح هـذا الحديث الشريف !

عن ابي بصير ، قال ! سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول ! اكتبوا ما سمعتم من الاحاديث (فانكم لا تحفظون حتى تكتبوا) فيه استحباب كتب الحديث وقد اجمع عليه السلف والخلف ، ومع ذلك فلا نزاع في ان حفظه عن ظهر قلب احسن واولى وفي كتبه فوائد معظمها ما اشار اليه عليه السلام .

وحاصله انه سبب لحفظه عن النسيان وغن طريان الزيادة والنقصان في طول الزمان وباعث لبقائه مر الدهور وما روى عن الامام عليه السلام ، حين اراد بعض اصحابه ان يكتب ما سمعه منه انه قال (اين حفظكم يا اهل العراق) لا دلالة فيه على النهي على الكتابة لأن ذلك ترغيب في الحفظ عن ظهر القلب لئلا يقصر فيه اتكالا على مجرد الكتاب ، او أن النهي مختص بمن يمكنه السماع من المعصوم والرجوع اليه متى اراد (٢) .

عن مفضل بن عمر ، قال ! قال لي ابو عبد الله عليه السلام ! اكتب وبث علمك في اخوانك فان مت فاورث كتبك بنيك ، فانه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه الا بكتبهم (١)

وقال المرحوم المولى محمد صالح المازندراني في شرح هذا الحديث ايضا !

(١ ، ٢) شرح اصـول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج٢ ص٢٦٦

(اكتب وبث علمك في اخوانك) يعني اكتب الاحاديث وانشر علمك في اخوانك ليعلموا كما علمت وينشروا في اخوانهم كما نشرت وهكذا الى قيام الساعة ، وظاهر ان المقصود من الكتابة والنشر هو بقاء الحديث والعمل به ، ففيه دلالة على ان خبر الواحد حجة .

لا يقال ! لعل المقصود ان يصير حجة عند التواتر لأنا نقول ! لا يعد الخبر متواترا اذا كان الناقل الاول واحدا وان بلغ بعد ذلك حد الاشتهار والتواتر اذ يشترط في التواتر كثرة الناقل في جميع المراتب ، نعم يرد ان هذا اثبات حجيته خبر الواحد بخبر الواحد فيلزم الدور ويمكن دفعه ، بان هذا الخبر مع امثاله الكثيرة ، مما دلت على حجيته اذا لوحظ المجموع من حيث هو دل بالتواتر المعنوي على حجيته (فان مت فاورث كتبك بنيك) ليقوموا مقامك في حفظ الكتب وضبط الحديث ونشر العلم ، ثم علل الامر بالكتابة والايراث بقوله (فانه يأتي على الناس زمان هرج)

الهرج بفتح الهاء وسكون الراء ، الفتنة والاختلاط والقتل ، اي يأتي زمان يكثر فيه الفتنة ويضطرب فيه اهل الحق ويختلط الحق والباطل كل ذلك لارتفاع لواء الظلمة وارتقاء دولتهم وشدة عداوتهم لاهل الحق حتى انهم يقتلون العالم الرباني اينما وجدوه ، ومن رجع اليه اين ما ثقفوه (لا يأنسون فيه الا بكتبهم) لعدم امكان رجوعهم الى المعصوم عليه السلام والسماع منه اما لغيبته او لشدة الخوف والتقيه وهذا الذي امر به عليه السلام وفعله السلف رضوان الله عليهم من كتب الاحاديث وتدوينها كمال الشفقة على الامة ، اذ لولا ذلك لكانت الامة تائهين حائرين في دين الحق

واحكامه سيما في هذا العصر فجزاهم الله تعالى عنا خير الجزاء ! (١)

بيع الكتاب

قال بعض الادباء ! احتياج العالم الى الكتاب ، كاحتياجه الى غذائه ولباسه ، فاذا هو بهذا المقدار من الاحتياج فيجب عليه ان لا يبيع كتابه !

ومن الامور الصعبة على العالم هي بيع الكتب التي يستفيد منها في جميع حالاته واوقاته ، ويكشف عنها مسائل دينه وعقيدته ، واذا باع العالم كتابه الذي يفيده ، فانما هو باع اصلحته التي يحارب معها الكفار والملحدين الذين يعاندونه بالدين والعقائد الحقة .

فالجدير على العالم الذي يهذب النفوس المسلمة ويرشدها الى نهج الحق والسعادة ان لا يبيع كتبه لأن فيها دونت الاخلاق الفاضلة والآداب الحسنة وطريق التربية الصحيحة فبعد ما يبيعها يتندم ويتاسف عليها ولكن لا يفيده فنختصر الكلام بما روى وحكى عنهم في هذا المورد .

قال بعضهم ! ينبغي للمرء . ان يذخر انواع العلوم ، وان لم تكن له بمعلوم ، وان يستكثر منها ، ولا يعتقد الغنى عنها ، فانه ان استغنى عنها في حال ، احتياج اليها في حال ، وان سئمها في وقت ، ارتاح اليها في وقت ، وان شغل عنها في يوم فرغ لها في يوم ، وان لا يسرع ويعجل ، فيندم ويوجل ، فربما عجل المرء على نفسه باخراج كتاب عن يده ، ثم رامه فتعذر عليه مرامه ، وابتغي اليه وصولا ، فلم يجد اليه سبيلا ، فأتعبه ذلك وأنصبه ، واقلقه طويلا وارقه كالذي !

(١) شرح اصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج٢ ص٢٦٨

حكى عن بعض العلماء ، قال ! بعت في بعض الايام كتابا ظننت اني لا احتاج اليه ، فلما كان ذات يوم هجس في صدري شيء كان في ذلك الكتاب فطلبته في جميع كتبي فلم اجده ، فاعتمدت ان اسأل عنه عالما عند الصباح ، فما زلت قائما على رجلي الى الصباح قيل ! فهلا قعدت ، قال ! لطول أرقي وشدة قلقي (١) .

باع آخر كتابا ، ظن انه لا يحتاج اليه ، ثم انه احتاج اليه ، فالتمس نسخة منه فلم يجدها بعارية ولا ثمن ، وكان الذي ابتاعه قد خرج به الى بلده فشخش اليه ، وسأله الاقالة وارتجاع الثمن منه ، فابى عليه ، فسأله اعارته نسخ الكلمة منه ، فلم يجبه ، فانكفأ قافلا وآلى على نفسه ان لا يبيع كتابا ابدا (٢)

احتاج بعض النجارين الى بيع فأسه ومنشاره فباعهما ، وحزن عليها ، وندم على بيعهما ، الى ان رأى جارا له من اهل العلم في سوق الوراقين ، وهو يبيع كتبه ، فقال ! اذا باع العالم آلتـه ، فالصانع اعذر منه ، وسلا بذلك (٢) .

قال محمد بن سليمان الجوهري : كنا نصحب الجاحظ على سائر احواله من جد وهزل ، قال فخرجنا يوما لنزهة ، فبينا نحن على باب جامع البصرة ، ننتظر شيئا اردناه ، اذ عارضتنا امرأة ، معها اوراق مقطعة ، فعرضت ذلك علينا ، فلم نجد فيها طائلا ، فتركنا وانصرفنا ، وتخلف معها الجاحظ ، ونحن ننتظره ، فاطال ثم رأيناه قد وزن لها شيئا ، واخذ الاوراق ، وقال ! انتظروني ، ومضى بها الى منزله ، فلما عاد اخذنا نهزأ به ، ونقول ! فزت بقطعة من العلم

(١ ، ٢ ، ٣) تقييد العلم ص١٣٦ / ١٣٧ .

وافرة ، وضحكنا فقال ! انتم حمقى ، والله ان فيها ما لا يوجد الا فيها ، ولكنكم جهال لا تعرفون النفيس من الخسيس ، (١)

حكى الخطيب ابوزكريا يحيى بن علي التبريزي اللغوي ، ان ابا الحسن علي ابن احمد بن علي بن سلك الفالي الاديب ، كانت له نسخة من كتاب (الجمرة) لابن دريد في غاية الجودة ، فدعته الحاجة الى بيعها ، فاشتراها الشريف المرتضى ابو القاسم ، بستين دينارا ، فتصفحها ، فوجد بها ابياتا بخط بائعها ابي الحسن الفالي ، وهي !

انست بها عشرين حولا وبعتها لقد طال وجدي بعدها وحنيني
وما كان ظني انني سأبيعها ولو خلدتني في السجون ديوني
ولكن لضعف وافتقار وصبية صغار عليهم تستهل شؤوني
فقلت ولم املك سوابق عبرة مقالة مكوى الفؤاد حزين
وقد تخرج الحاجات يا ام مالك كرائم من رب بهن ضنين

فارجع النسخة اليه وترك له الدنانير ، (٢)

قال لقمان الحكيم ! يا بني جالس الحكماء مجالسة العالم وارض بقولهم ، تزدد حكمة (٣) .

مجالسة العالم باعثة لتنوير القلوب من ظلمة الجهل والكفر ، وموجبة لازدياد الايمان والعقيدة ، بل الوسيلة الكاملة على كل شخص في فهم ما انزل الله تعالى من الكتب وما فيها من الدستورات المتينة والحكم المتقنة هي مجالسة العالم ومصاحبته وسماع كلامه ، وكل من جالس العالم ولو كان فاسقا او كافرا يتأثر

(١) وفيات الاعيان ج٣ ص٦

(٢) مختار الحكم ص٢٥٦ (٣) تقييد العلم ص١٣٨

فيه مجالسته .

وفي المثل المشهور (المجالسة مؤثرة) مثلا ان زيدا له اخلاق حسنة وفضائل علمية ، ويكون عمرو ، وهو ليس كذلك واذا صار عمرو رفيقا وجليسا لزيد مع تفاضل اخلاق زيد على عمرو ، فطبعا ان اخلاق زيد يتأثر على عمرو ، وانه يكتسب من زيد كمالاته البشرية ومعلوماته العرفانية ، فنتعرض قسما من الروايات الشريفة والكلمات الحكمية في الموضوع .

عن سليمان التميمي ، قال ! قال لقمان لابنه ! يا بني ما بلغت من حكمتك قال ! لا اتكلف مالا يغنيني ، قال ! يا بني انه قد بقي شيء آخر ، جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك ، فان الله تعالى يحيي القلوب الميتة بالحكمة ، كما يحيي الارض الميتة بوابل السماء .

قال لقمان لابنه ! يا بني اختر المجالس على عينك فان رأيت قوما يذكرون الله عزوجل ، فاجلس معهم ، فان تكن عالما نفعك علمك ، وان تكن جاهلا علموك ، ولعل الله ان يظلهم برحمته فيعمك معهم ، واذا رأيت قوما لا يذكرون الله فلا تجلس معهم ، فان تكن عالما لم ينفعك علمك ، وان كنت جاهلا يزيدوك جهلا ، ولعل الله ان يظلهم بعقوبة فيعمك معهم (١)

وقال في شرح هذا الحديث المولى محمد صالح المازندراني !

(قال لقمان لابنه) الظاهر ، ان القائل الاول هو الامام واحتمال غيره بعيد (يا بني اختر المجالس) المنقول اختر امر من الاختبار الاجوف اي اطلب مختارها ، لا اختبر من الاختبار الصحيح

(١) اصول الكافي باب مجالسة العالم وصحبتهم

الامتحان ، وان كان معناه ايضا مناسبا هنا ، (على عينك) اي على بصيرة منك ومعرفة لك بحالها او بعينك وقد يكون على بمعنى الباء كما صرح به في الصحاح واستشهد له بقول (ابي ذويب) ، فان رأيت قوما يذكرون الله تعالى يشمل مجلس العلم ومجلس ثناء الله تعالى ومجلس ذكر فضائل الانبياء والاوصياء وبالجملة مجالس الخير كلها (فاجلس معهم فان تكن عالما نفعك علمك) فان نفع العلم هو العمل والذكر والارشاد والتعليم والتحريض على الخير والرجوع الى الى الحق وكل هذا قريب الوقوع في هذا المجلس (وان تكن جاهلا علموك) لان استماع الذكر تعليم في الحقيقة ولان في مجالسة اهل الخير تأثيرا عظيما في اكتسابه وميل النفس الى تعلمه وارتقائها على معارج الحق ولذلك قال امير المؤمنين عليه السلام !

قارن اهل الخير تكن منهم .

(ولعل الله ان يظلهم) اي يدنوهم (برحمته) من اظله فلان اذا دنا منه كما في الصحاح او يسترهم بها ويلقي ظلها عليهم كما في المغرب (فيعمك معهم) لان الله سبحانه كريم ، فاذا نظر الى جماعة بعين الرحمة رحمهم وغفر لهم جميعا وان لم يكن بعضهم مستحقا لها وهذا احد التأويلات لقوله صلى الله عليه وآله !

اهل الخير لا يشقى جليسهم ، ولقول امير المؤمنين عليه السلام (قارن اهل الخير تكن منهم ، وينبغي ان يعلم ان في مجالسة الذاكرين ومخالطة الصالحين منافع كثيرة غير هذه الثلاثة ولكن جلها بل كلها راجعة الى هذه الثلاثة ولذلك اقتصر معدن الحكمة عليها (واذا رأيت قوما لا يذكرون الله) في ايراد (ان) في السابق و (اذا)

هنا تبنيه على قلـــة الذاكرين وعدم تحقق وجودهم وكثرة الغـافلين واشتهارهم (فلا تجلس معهم فان تكن عالما لم ينفعك علمك) لان اعظم منـافع العلم هو الذكر والفكر والاتقـاء من مواضع التهمـة والامتياز من الغافلين والتباعـد من الجاهلين ولا ريب في ان هذه المنافع تنتفي بالمجالسة معهم ، وان شئت زيادة توضيح ، فنقول :

يجب عليك بعد تحصيل السعادة الابدية واقتناء العلوم الحقيقية والمعارف اليقينية واكتساب النواميس الالهية ضبطها وطلب استمرارها وزيادتها واستبقاء صحة النفس المتحلية بها كما يجب على الاصحاء حفظ صحة امزجتهم مما يوجب فسادها وتغيرها ومن جملة القوانين لحفظك صحة النفس الفاضلة بالفضائل المذكورة ان تعاشر من هو مثلك في الفضل او هو افضل منك وتجتنب عن الجهالة المشعوفين بالغفلة والجهالة والغافلين عن الحضرة الربوبية خصوصا عمن اشتهر بالشر والفساد واستعلن الاستهزاء والافتخار وافتخر باصابة القبايح والشهوات ونيل الفواحش واللذات ونسج الاكاذيب والحكايات ونقل الاشعـار والمزخرفات ، فان في مشاهدة امثال ذلك واستماعها تأثيرا عظيما في انتكاس النفس وانعكاسها عن المبادىء العالية ، فربما يتعلق لاستماع بعض هذه الامور بنفس الفاضل الكامل وسخ كثير وخبث عظيم بحيث لا يقدر على تطهيرها في مدة مديدة ، فكيف الطالب المستعد والمتعلم المسترشد ، فانه بقبول ذلك اقرب لميل النفس بالذات الى ما يلائمها من اللذات ولو لم يكن زمام العقل وقيد الحكمة مانعين من ذلك لكان جميع الخلائق مبتلين بهذه البلية (وان كنت جاهلا يزيدوك جهلا) لان نفسك المستعدة للشر تأخذ منهم الشر سراعا)

اذ عليها بواعث من الطبع فاذا انضافت اليها تسويلات هؤلاء الشياطين الذين يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا تتأخر منها سريعا ولذلك قال امير المؤمنين عليه السلام ؛

لا تصحب المائق فانه يزين لك فعله ويود ان تكون مثله .

والمائق ، الاحمق ، وقال ايضا باين اهل الشر تبن منهم .

(ولعل الله ان يظلهم بعقوبة) لم يضف العقوبة اليه سبحانه كما اضاف الرحمة لرجحان الرحمة بالنسبة اليه تعالى ، فكأنها من مقتضى ذاته بخلاف العقوبة وقد سبقت رحمته غضبه (فتعمك معهم) احاطة العذاب بشخص لكونه في الظالمين غير قليل ، والاخبار الدالة على الفرار منهم كثيرة .

لا يقال ! مؤاخذة البريء ظلم لأنا نقول ؛ ليس هذا بريئا من جميع الوجوه لأنه بسبب كونه معهم ظالم على نفسه على ان هذه عقوبة دنيوية نشأت من كونه معهم ، ولعل الله ان يرحمه في الآخرة كما نطق بذلك بعض الروايات .

فيا عجبا من اهل عصرنا الذين نموا انفسهم الى العلم كيف يسجدون لهؤلاء الظلمة الفسقة الفجرة ويعبدونهم ويمدحونهم بمالايليق الا بالله وبرسوله وبالائمة الطاهرين عليهم السلام ويقبضون وجوههم بعلة الاستحقار اذا رأوا واحدا من الصالحين في زي الفقراء ويكسبون رؤسهم في ثياب الاستكبار اذا نظروا من بعد احدا من الزاهدين في زي الفضلاء ، خذلهم الله تعالى في الدنيا وحشرهم مع هؤلاء الظالمين آمين يارب العالمين (١)

(١) شرح اصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج٢ ص١١٤

وقال لقمان لابنـه ! يا بني عليك بمجالس العلم ، فأنها محيـاة للقلب وتحدث فيه خشوعا (١)

لما حضرت معـاذ بن جبل رضي الله عنـه الوفاة ، قال ! لجاريتـه ويحك هـل اصبحنا ، قالت ! لا ، ثـم قال ! انظري ، فقالت ! نعـم ! فقال اعوذ بالله من صباح الى النار ثم قال ! مرحبا بالموت مرحباً بزائر جاء على فاقة لا افلح من ندم ، اللهم انك تعلم انى لم اكـن احب البقاء في الدنيا لجري الانهار ولغرس الاشجار ولكن كنت احب البقاء لمكابدة الليل ولظمـأ الهواجر في الحـر الشديد ولمزاحمة العلماء بالركب في حلق الذكر (٢)

مل جماعة من الحكماء مجالسة رجل ، فتواروا عنه في بيت ، فرقى السطح وجعل يستمع من كوة حتى وقع عليه الثلج فصبر ، فشكر الله له ذلك ، فجعل الحكماء لا يختلفون في شيء الا صدروا عن رأيه (٣)

وفي الحديث ! روى ابوذر ، حضـور مجلس العلم افضل من صـلاة الف ركعـة ، وعيادة الف مريض ، وشهود الف جنازة ، فقيل او من قراءة القرآن ، قال ! وهل ينفع القرآن الا بالعلم (٤)

قال الفقيه ابو الليث ! من جلس مع ثمانية اصناف زاده الله تعالى ثمانية اشياء ، من جلس مع الاغنياء زاده الله حب الدنيا والرغبـة فيها ، ومن جلس مع الفقراء جعل الله له الشكر والرضا بقسمـة الله

(١) مختار الحكم ص٢٧٦

(٢) جامع بيان العلم وفضله ج١ ص٥١

(٣) جواهر الادب ج٢ ص١٥

(٤) تفسير مقتنيات الدرر ج١ ص١١٦

ومن جلس مع السلطان زاده الله القسوة والكبر ، ومن جلس مع النساء زاده الله الجهل والشهوة ومن جلس مع الصبيان ازداد من اللهو والمزاح ، ومن جلس مع الفساق ازداد من الجرأة على الذنوب وتسويف التوبة ، ومن جلس مع الصالحين ازداد رغبة في الطاعات ، ومن جلس مع العلماء ازداد العلم والورع (١)

قال بعض العلماء ! من اعجب برأيه ضل ، ومن استغنى بعقل زل ومن تكبر على الناس ذل ، ومن خالط الانذال حقر ، ومن جالس العلماء وقر (٢)

قال لقمان لابنه ! يا بني ان الحكمة اجلست المساكين مجالس الملوك .

ولقد انشد بعضهم لبعض آخر !

مجالسة السوق مذمومة وفيها مجالس قد تستحت
فلا تقصدن غير سوق الدواب وسوق السلاح وسوق الكتب
فتلك مجالس اهل الهوى وهذي مجالس اهل الادب

وقال بعضهم ايضا ولله دره !

فكم من جاهل امسى اديبا بصحبة عاقل وغدا اماما
كماء البحر مر ثم تحلو مذاقته اذا صحب الغماما

قال النبي صلى الله عليه وآله ! النظر الى وجه الوالد عبادة ، والنظر الى الكعبة المكرمة عبادة ، والنظر في المصحف عبادة ، والنظر الى وجه العالم عبادة ، والنظر الى وجه العالم عبادة ، من زار عالما

(١) تفسير مفاتيح الغيب ج٢ ص١٨٣

(٢) جامع بيان العلم وفضله ج١ ص١٤٣

فكانما زارني ، ومن صافح عالما فكانما صافحني ، ومن جالس عالما فكأنما جالسني ، ومن جالسني في الدنيا ، اجلسه الله معي يوم القيامة (١)

قال الفقيه ابو الليث ! ان من يجلس عند العالم ولا يقدر ان يحفظ من ذلك العلم شيئا فله سبع كرامات ، اولها ! ينال فضل المتعلمين ، والثاني ما دام جالسا عنده كان محبوسا عن الذنوب ، والثالث ! اذا خرج من منزله طلبا للعلم نزلت الرحمة عليه ، والرابع ! اذا جلس في حلقة العلم فاذا نزلت الرحمة عليهم حصل له منها نصيب ، والخامس ! ما دام يكون في الاستماع ، تكتب له طاعة ، والسادس ! اذا استمع ولم يفهم ضاق قلبه لحرمانه عن ادراك العلم فيصير ذلك الغم وسيلة له الى حضرة الله تعالى لقوله عز وجل ! (انا عند المنكسرة قلوبهم لاجلي) والسابع ! يرى اعزاز المسلمين للعالم واذلالهم للفساق ، فيرد قلبه عن الفسق ، ويميل طبعه الى العلم ، فلهذا امر عليه الصلاة والسلام بمجالسة الصالحين (٢)

وقال الشاعر ونعم ما قال !

لا تنقلوا الاقدام الا الى ! من لكم عنده من فائده
اما لعلم تستفيدونه او لكريم عنده مائدة

في الحديث ، العلماء سادة ، والفقهاء قادة ، ومجالستهم زيادة (٣)

قال الاخفش علي بن سليمان ! انشدني ابو سعيد السكري !

وذكرني حلو الزمان وطيبه مجالس قوم يملئون المجالسا

---

(١) تفسير مقتنيات الدرر ج١ ص١١٦

(٢ ، ٣) تفسير مفاتيح الغيب ج٢ ص١٨٣ / ١٨٤

حديثا واشعارا وفقهاوحكمة وبرا ومعروفا والفا مؤانسا

من حكم ابي عثمان بن لثون التجيبي !

زاحم اولى العلم حتى تعد منهم حقيقه

ولا يردك عجز عن اخذ اعلى طريقه

فان من جد يعطى فيما يحب لحوقه

روي عن النبي صلى الله وآله ، انه قال ؛ جلوس ساعة عند العالم في مذاكرة العلم احب الى الله تعالى من مأة الف ركعة تطوعا ، ومن مأة الف تسبيحة ، ومن عشرة آلاف فرس يغزو بها المؤمن في سبيل الله عزوجل .

قال السيوطي ! من اراد الدخول في مجلس العلماء يجب عليه ان يأتي بالتواضع والذل والخشوع والانكسار ، فمن اتى بهذه الصفات ينال المغفرة من الملك الجبار ، ومن اتى مثل قارون بالكبر والاكثار يجد القطيعة من الواحد القهار (١)

ولنعم ما قال حسام الدين الواعظي !

من ضيع الحزم في افعاله ندما وظل مكتئبا والقلب قد سقما

ما المرء الا الذي طابت فضائله والدين زين يزين العاقل الفهما

والعلم انفس شيء انت ذاخره فلا تكن جاهلا تستورث الندما

تعلم العلم واجلس في مجالسه ما خاب قط لبيب جالس العلما

والوالدين فاكرم تنج من ضرر ولا تكن نكدا ، تستوجب النقما

وقال حافظ الشيرازي الشاعر المعروف في الفارسية ؛

قطع اين مرحله بي همرهي خضر مكن

---

(١) مجاني الادب ج١ ص٤٦

ظلماتست بترس از خطر كمراهي
سرما ودر ميخانه كه طرف بامش
بفلك بر شده ديوار باين كوتاهي
اي سكندر بنشين وغم بيهوده مخور
كه نه بخشد ترا آب حيات ، ازشاهي

عن ابي عبد الله عليه السلام قال ! قال رسول الله صلى الله عليه وآله ! قال الحواريون ! لعيسى عليه السلام ، يا روح الله من نجالس قال ! من يذكركم الله رؤيته ويزيد في علمكم منطقه ويرغبكم في الآخرة عمله (١) .

وقال المولى محمد صالح المازندراني في شرح هذا الحديث الشريف !

(قال الحواريون لعيسى عليه السلام ! يا روح الله من نجالس) اي نجالسه بحذف العايد (قال من يذكركم الله رؤيته) لصفاء ذاته وضياء صفاته وحياء وجهه وسماء جبهته ولواء زهادته وبهاء عبادته (ويزيد في علمكم منطقه) اي كلامه ونطقه في العلوم الحقيقية والمعارف الآلهية والاحكام الشرعية والآداب النفسية والاخلاق القلبية وساير الكمالات البشرية (ويرغبكم في الآخرة عمله) الدال على اقباله الى الامور الأخروية واعراضه عن الشواغل الدنيوية ، فان رؤية الاعمال الصالحة والافعال الفاضلة والعبادات الكاملة تؤثر في نفس الرائي تأثيرا عظيما حتى تنقض عنها غبار الشهوات وتنقص منها خمار الغفلات وتبعثها على الاعمال الموجبة للارتقاء على معارج القدس والارتواء بزلال الانس فقد ذكر لمن ينبغي مجالسته ثلاثة اوصاف ؛

(١) اصول الكافي باب مجالسة العلماء وصحبتهم

هي امهات جميع الصفات المرضية اذ هي مشتملة عليها كاشتمال المجمل على المفصل ، وفيه اشعار بأن من لم يكن فيه هذه الصفات او كان فيه اضدادها ، لا ينبغي المجالسة معه ، بل الفرار والاعتزال منه لازم ، فان مجالسته تميت القلب وتفسد الدين ، وتورث النفس ملكات مهلكة مؤدية الى الخسران المبين .

والضابط في الجليس ، انه اما ان يكون لك او يكون عليك ـ او لا يكون لك ولا عليك ، والاول !

ينبغي مجالسته عقلا ونقلا ، دون الاخيرين ، واما الثاني !

فلان مجالسته تضييع للاوقات بلا منفعة وهذا الحديث جامع بين الاحاديث المختلفة في الحث على الاعتزال والمخالطة (١)

عن ابي عبد الله عليه السلام ، قال ! قال رسول الله صلى الله عليه وآله ! مجالسة اهل الدين شرف الدنيا والآخرة (٢)

وقال المولى محمد صالح المازندراني في شرح هذا الحديث الشريف ايضا !

(عن ابي عبد الله عليه السلام ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ، مجالسة اهل الدين) الدين في الشرع عبارة عن الشرايع الصادرة بواسطة الرسول واهله هم العالمون بها ، الحافظون لأركانها العالمون باحكامها وشرايطها الواقفون على حدودها ، (شرف الدنيا والآخرة) الشرف العلو والرفعة ، والسر في ذلك ، ان جليس اهل الدين اذا قابل قلبه بقلبه ينعكس اليه أشعة العلوم وانوار المعارف فيهتدي

(١) شرح اصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج٢ ص١١٨

(٢) اصول الكافي باب مجالسة العلماء وصحبتهم

بذلك الى الكمالات السنية والمقامات الرفيعة والدرجات العلية ، ويستولي قوته العاقلة على القوة الشهوية والغضبية ويقهر النفس الأمارة التي هي مبدء الخطل في الاقوال والخلل في الافعال والخطأ في الاعمال حتى يحصل له من ذلك ملكة في اجتناب المعاصي وترك الرذائل واكتساب الحسنات وكسب الفضائل وعند ذلك تطلع الانوار الآلهية من مطالع قلبه ولسانه ويشرق الاشراقات الربانية من مشارق اركانه وجنانه ، فيصير نورا آلهيا يهتدي به الحائرون ويستضيء به السالكون ويقتدي به العابدون ويفتخر به الزاهدون ويلجأ اليه المؤمنون ، ويسعى نوره في الآخرة بين يديه حتى يورده الى منازل الابرار ومقام الاخيار ويشفع لمن يشاء ، فله الرياسة العظمى والخلافة الكبرى في الآخرة والدنيا ولا شرف اعظم من ذلك (١)

مجالسة الفاسد

قال الله العزيز الحكيم ! ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ! يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا ، لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا (٢)

النزول ! قال ابن عباس نزل قوله ! ويوم يعض الظالم ، في عقبة ابن ابي معيط وابي بن خلف وكانا متخالين وذلك ان عقبة كان لا يقدم من سفر الا صنع طعاما فدعا اليه اشراف قومه وكان يكثر مجالسة الرسول صلى الله عليه وآله ، فقدم من سفره ذات يوم فصنع طعاما ودعا الناس فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله ، الى طعامه ، فلما

(١) شرح اصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج٢ ص١١٨

(٢) سورة الفرقان ي ٢٨ / ٢٩ / ٣٠

قربوا الطعام ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله ! ما انا بآكل من طعامك حتى تشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله ، فقال ، عقبة ! اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله وبلغ ذلك ابي بن خلف ، فقال ؛ صبأت يا عقبة ، قال ! لا والله ما صبأت ولكن دخل علي رجل فابى ان يطعم من طعامي الا ان اشهد له ، فاستحييت ان يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له ، فطعم ، فقال ابي ! ما كنت براض عنك ابدا حتى تاتيه فتبزق في وجهه ، ففعل ذلك عقبة وارتد واخذ رحم دابة فالقاها بين كتفيه ، فقال النبي صلى الله عليه وآله ، لا القاك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف فضرب عنقه يوم بدر صبرا واما ابي بن خلف ، فقتله النبي صلى الله عليه وآله يوم احد بيده في المبارزة ، وقال الضحاك ؛ لما بزق عقبة في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله ، عاد بزاقه في وجهه فاحرق خديه ، وكان اثر ذلك فيه حتى مات .

وقيل ؛ نزلت في كل كافر او ظالم تبع غيره في الكفر او ظلم وترك متابعة امر الله تعالى وقال ابو عبد الله عليه السلام ! ليس رجل من قريش الا وقد نزلت فيه آية او آيتان تقوده الى جنة او تسوقه الى نار تجري فيمن بعده ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا (١)

المعنى ! (ويوم يعض الظالم على يديه) ندما وأسفا ، وقيل ! هو عقبة بن ابي معيط ابن عبدشمس على مامضى ذكره ، عن ابن عباس وقيل ! هو عام في كل ظالم نادم يوم القيامة وكل خليل يخال غيره في غير ذات الله ، قال عطاء ؛ يأكل يديه حتى تذهبا الى المرفقين ثم

(١) تفسير مجمع البيان ج٧ ص١٦٦

تنتبان ولا يزال هكذا كلما نبتت يده اكلها ندامة على ما فعل (يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا) اي ليتني اتبعت محمد صلى الله عليه وآله واتخذت معه سبيلا الى الهدى (يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا) يعني أبيا (خليلا) ، وقيل ! اراد به الشيطان ، عن مجاهد وان قلنا ان المراد بالظالم هنا جنس الظلمة فالمراد به كل خليل يضل به عن الدين ولو قال ! لم اتخذ فرعون وهامان وابليس وجميع المضلين لطال ، فقال ! فلانا حتى يتناول كل خليل مضل عن الدين (لقد اضلني) اي صرفني وردني (عن الذكر) اي عن القرآن والايمان به (بعد اذ جائني) مع الرسول وتم الكلام هنا ثم قال الله تعالى (وكان الشيطان للانسان خذولا) لانه يتبرأ منه في الآخرة ويسلمه الى الهلاك ولا يغني عنه شيئا (١)

وفي هذه الآية الشريفة وتفاسيرها ، دلالة كاملة على مذمة الجليس الفاسد والخليل الغير الصالح ، لان الجليس اذا كان ضالا ومضلا ، فيردي جليسه ويغويه ويبعده عن الدين الحنيف وعن الاخلاق الانسانية والملكات الفاضلة الملكوتية ، وان الاحاديث وكلمات الحكماء والأدباء واشعراء التي وردت في هذا الباب لكثيرة جدا ، فاليك بنبذ منها حتى تعرف جليسك وتميز الصالح من الردي .

في الحديث الشريف ، ما رواه وهب بن منبه ، قال ! دخل موسى عليه السلام على فرعون فقال ! آمن ولك الجنة ، ولك ملكك ، قال ! حتى اشاورهامان فشاوره في ذلك ، فقال له ! بينما انت إله تعبد اذصرت تعبدفأنف واستكبر، وكان بداية ولايته ان سلك بالعدل والانصاف ، وانما

(١) تفسير مجمع البيان ج٧ ص ١٦٨

اهلكه حيث اتخذ بطانة سوء فاسقين ، مثل هامان وقارون ومن ضارعهما (١)

ولله در الشاعر يقول !

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

اذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى

قال ابن جبير ! وكانت مدة ملك فرعون اربع مأة سنة ، وعاش ستمأة وعشرين سنة ، ولم ير فيها مكروها ، ولو كان في تلك المدة جاع يوما ، او حصل له حمي ليلة ، او وجع ساعة لما ادعى الربوبية ، ولم يزل مخولا في النعمة ، حتى اخذه الله تعالى نكال الآخرة والأولى (٢)

في كشكول البهائي ، في تفسير نيشابوري عند قوله تعالى (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده) ما صورته ، قيل ! علامة قبول التوبة هجران اخوان السوء ، وقرناء الشر ، ومجانبة البقعة التي باشر فيها الذنوب والخطأ ، وان يبدل بالاخوان اخوانا ، وبالاخدان اخدانا ، وبالبقعة بقعة ، ثم يكثر الندامة والبكاء على ما سلف منه والأسف على ما ضيع من ايامه لا يفارقه حسرة ما فرط واهمل في البطالات ويرى نفسه مستحقة لكل عذاب وسخط (٣)

وقال الشاعر العربي في تجنب قرين السوء !

تجتب قرين السوء واحوم جهاله فان لم تجد عنه محيصا فداره

واحبب حبيب الصدق واحذر مرارة تنل منه صفو الود ما لم تماره

وفي الشيب ماينهى الحليم عن الصبى اذا اشتعلت نيرانه في غذاره

وقال آخر ولله دره !

(١ ، ٢) المخلاة ص٢٦٣

(٣) جامع الدرر ص٢٢٢

اصحب خيار الناس حيث لقيتهم خير الصحابة من يكون عفيفا
والناس مثل دراهم ميزلها فوجدت فيها فضة وزيوفا

جاء في الحديث الشريف استأنسوا بالوحدة عن جلساء السوء .
والشاعر يقول :

وحدة العاقل خير من جليس السوء عنده
وجليس الخير خير من جلوس المرء عنده

وقال آخر ولله دره !

اذا قل ماء الوجه قل بهائه ولا خير في وجه اذا قل مائه
حيائك فاحفظ عليك فأنما يدل على فضل الكريم حيائه
وقارن اذا قارنت حرا فأنما يزين ويزري بالفتى قرنائه
واقلل اذا ما قلت قولا فانه اذا قل قول المرء قل خطائه

قال بعض الحكماء ! ينبغي للعاقل ان يتخير جليسه كما يتخير مأكوله ومشروبه في تخيرهما صلاح البدن وفي تخير الجليس صلاح النفس ؛

وقال آخر ولله دره :

عاشر اخا ثقة تحظى بصحبته فالطبع مكتسب من كل مصحوب
فالريح آخذة مما تمر به نتنا من النتن او طيبا من الطيب

وقال الشاعر الفارسي في هذا المعنى !

نفس از هم نفس بكيرد خوي بر حذر باش از لقاي خبيث
باد چون بر فضاي بد كزرد بوي بد كيرد از هواي خبيث

ونعم ما قال ابو الاسود الدئلي في مفارقة قرين السوء :

رايت امرءا كنت لما انله اتاني فقال اتخذني خليلا
فخاللته ثم اكرمته ولم استفد من لدنه فتيلا

فالفيتـــه غـــير مستعتب ولا ذكر الله الا قليلا
الست حقيقـــا بنوديعـــه واتبع ذلك صبرا جميلا

والشاعر الفارسي محمد علي صفوت يقول !

كفت اي پير طريقت الرفيق الرفيق ايسالكان ثم الطريق
الرفيـق اما رفيق هوشمنـد الطريق اما طريق سودمند
از رفيق كور دل دل دور دار هم نشين شور كل را واكذار
هر كه را شد يار ناجنسي قرين ليتني لم اتخذ كويد يقين
با ملايم شو مصاحب اي پسر الحذر از نا ملايم الحذر

قال بوذرجمهر ! اياك وقرناء السوء ، فانك ان عملت ، قالو ! رائيت وان قصرت قالوا ! اثمت ، وان بكيت ، قالوا ! شهرت ، وان ضحكت قالوا ! جهلت ، وان نطقت ، قالـوا تكلفت وان سكت قالو ! عييت وان تواضعت قالوا ! افتقرت ، وان انفقت قالوا اسرفت ، وان اقتصدت قالوا ! بخلت .

قال النبي صلى الله عليه وآله ! مثل الجليس الصالح كمثل الدار العطار ان لم يجدك من عطره علقك من ريحه ، ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكيران ان لم يحرقك من شرار ناره علقك من نتن دخانه (١)

وقال الشيخ سعدي الشاعر الفارسي في تأثير المجاورة والمجالسة !

كلي خوشبوي در حمام روزي رسيد از دست محبوبي بدستم
بدو كفتم كه مشكي ياعبيري كه ازبوي دلاويز تو مستم
بكفتا من كلي ناچيز بودم وليكن مدتي با كل نشستم
كمال همنشين در من اثر كرد وليكن من همان خاكم كه هستم

(١) تفسير ابو الفتوح ج٧ ص٢٩٧

وقال الشاعر العربي !

فكل اذى فمصبور عليه وليس على قرين السوء صبر

قال لقمان لابنـــه ! يا بني لا تقترب فتكون ابعد لك ولا تبعد فتهان كل دابة تحب مثلها وان ابن آدم يحب مثله ، ولا تنشر بزك الا عند باغيه كما ليس بين الذئب والكبش خلة كذلك ليس بين البار والفاجر خلة ، ومن يقترب من الزفت يعلق به بعضه كذلك من يشارك الفاجر يتعلم من طرقه ، من يحب المراء يشتم ومن يدخل مدخل السوء يتهم ومن يقارن قرين السوء لايسلم ومن لايملك لسانه يندم (١)

عن ابيعبدالله عن ابيه عليهما السلام ، قال ! قال لي ابي علي بن الحسين صلواة الله عليهما ، يا بني انظر خمسة فلا تصاحبهم ولاتحادثهم ولا ترافقهم في طريق ، فقلت ! يا ابة من هم عرفنيهم ، قال ! اياك ومصاحبة الكذاب فأنه بمنزلة السراب يقرب لك البعيد ويبعد لك القريب واياك ومصاحبة الفاسق فانه بايعك باكلة او اقل من ذلك ، واياك ومصاحبة البخيل ، فانه يخذلك في ماله احوج ما تكون اليه واياك ومصاحبة الاحمق فأنه يريد ان ينفعك فيضرك واياك ومصاحبة القاطع لرحمه فاني وجدته ملعونا في كتاب الله عزوجل ، في ثلاثة مواضع قال الله عزوجل (فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم ، اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم س ٤٧ ي ٢٣ ، وقال الله عزوجل (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم ســـوء الدار ، س١٣ ي٢٥ ، وقال في البقرة

(١) اصول الكافي ج٢ ص٦٤٢

(الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون س٢ ي٢٧ (١)

عن ابي الحسن عليه السلام ، قال ! قال عيسى بن مريم عليهما السلام ، ان صاحب الشر يعدي وقرين السوء يردي فانظر من تقارن (٢)

وقيل في الفارسية !

مي كه درخم صاف كردد قابل مينا شود
هركه طينت پاك باشد محرم دلها شود
از زبان كل شنيدم درسر بازار كفت
هركه باناكس نشيند عاقبت رسوا شود

نقل ، ان رجلا مدح رجلا في وجهه ، فقال ، ياعبد الله لم مدحتني ، اجربتني عند الغضب وجدتني حليما ، قال .لا ، قال . اجربتني في السفر فوجدتني حسن الخلق ، قال ، لا ، قال ! اجربتني عند الامانة فوجدتني امينا ، قال ! لا ، قال ! فلا تمدح احدا مالم تجربه في هـــذه الاشياء الثلاثة ، فاذا كان المدح مذموما من غير تجربة فمصاحبة المجهول (اي الذي ما جربته) والأنس مع الجاهل يكون مذموما عند العقلاء جدا ، وقال الشاعر !

لا تحمدن امرء حتى تجربه ولا تذمنه من غير تجريب
ان الرجال صناديق مقفلة ومامفاتيحها غير التجاريب

قال ثقيل ! لمريض ما تشتهي ، فقال ! ان لا اراك .

قال رجل لاعمى ! ان الله تعالى لم يأخذ من عبد كريمتيه ، الا عوضه منهما اشياء فما عوضك ، قال ! ان لا اراك .

قال سفيان الثوري ! قصدت جعفر بن محمد عليهما السلام فاذن لي

(١) اصول الكافي ج٢

بالدخـــول فوجدته في سرداب ينزل اثنا عشر مرقاة ، فقلت ؛ يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله انت في هذا المكان مع حاجة الناس اليك ، فقال ؛ يا سفيان فسد الزمان وتنكر الاخوان وتقلب الاعيـان فاتخذنا الوحدة سكنا أمعك شيء تكتب قلت نعم ، فقال ؛ اكتب ؛

لا تجزعن الوحدة والتفرد ومن التفرد في زمانك فازدد
فسد الاخاء فليس ثمة اخوة الا التملق باللسان واليد
واذا نظرت جميع ما بقلوبهم ابصرت سم نقيع ثم الاسود
فاذا فتشت ضميره من قلبه وافيت عنه مرارة لا تنفد (١)

قال حكيم الفرس بوذرجمهر ؛ لاينبغى للعاقل (العالم) ان يجزع ان حطه ذو سلطان عن منزلة رفع اليهـا جاهلا فان الاقسام لم تجر على قدر الاخطار (٢) .

صراخ العالم من آلام الدهر

هذه الكلمة التى قالها الحكيم بوذرجهر ؛ اكبر تسليـــة للأدباء والعلماء والحكماء وغيرهم من الطبقات الذين هم ذوو المقامات العالية من الفضل والكمال ، لان من دأب الدنيا وديدن اهلها عدم الاعتناء الى الذين لهم شرافة ذاتية اوكسبية ودرجات عالية من العلم والحكمة وان التاريخ يشهد لنا ومضافا من السير ، اننا نرى في زماننا هذا ان من له منزلة عظيمة ومكانة سامية من الفضائل العلمية والمعارف الحكمية لقد يستخفونهم اهل الدنيا ولايعتنون بهم خصوصـا في هـذا الوقت الحاضر لايوجد احد حقيقة ان يتبع العلم واهله ، بل الناس

(١) ارشاد القلوب ج١ ص٩٧

(٢) امالى الزجاجي ص ٩٣ .

كلهم صاروا معاندين لأهل العلم والمعارف ، وقد مالوا الناس الى الزخارف الدنيوية التى يغتر بها الانسان الجاهل وبسببها ينسى الله تعالى وذكره !

ولايختص هذا الامر لهذا الوقت فحسب ، بل وفي كل زمان وعصر كان للعلماء والفضلاء صراخ من آلام الدهر ومن المصائب التي كانت تنزل عليهم مع انه ماكان ان يصدر منهم اى خطيئة وجناية حتى يستوجبوا شدائد الدهر ومصائبه ، ولما تنظر التاريخ مانرى احدا لايشتكى وضعه وحالته الدنيئة ، فمن جملتهم .

كان ابن مقلة وزير بعض الخلفاء ، فزور عنه يهودي كتابا الى بلاد الكفار وضمنه امورا من اسرار الدولة ، ثم تحيل اليهودي الى ان اوصل الكتاب الى الخليفة ففرأه وأمر بقطع يد ابن مقلة وكان ذلك يوم عرفة ، وقد لبس خلعة العيد ومضى الى داره وفي موكبه كل من في الدولة ، فلما قطعت يده واصبح يوم العيد لم يات احد اليه ، ولم ترجع له ثم اتضحت القضية في اثناء النهار للخليفة انها من جهة اليهودي ، فقتله شر قتلة ، ثم ارسل الى ابن مقلة اموالا كثيرة وخلعا سنية ، وندم على فعله واعتذر اليه ، فكتب ابن مقلة على باب داره،

تحالف الناس والزمان فحيث كان الزمان كانوا
عاداني الدهر نصف يوم فانكشف الناس لي وبانوا
ياايها المعرضـــون عني عودوا فقد عادني الزمان

ويصرخ آخر ويقول في الفارسية :

فلك دون نوازيك چشمست وآن يكي هم درميان سر دارد
هر خريراكه دم بدست كرفت چون عزيزانش معتبر دارد

بردش تافراز ديده خويش چون به بيندكه دم خر دارد
زندش برز مين كه خورد شود خر ، ديكر بجاش بر دارد

وشهيد ابن الحسين البلخي يصرخ من آلام الدهر ويقول ! -

اكر غم راچو آتش دود بودى جهان تاريك بودى جاودانه
دراين كيتي سراسر كربكردى خرد مندى نيابى شادمانه

ومن الذين وردت وتراكمت المصائب عليه هو ابو القاسم كلانتر يقول ! -

دع العيش والامال واطوالامانيا فما انت طول الدهر والله باقيا
رمى الدهر من سهم النوائب ماجدا اعز كريما طاهر الاصل زاكيا
وعلامة الدنيا وواحد اهلها ومن كان عن سرب العلوم محاميا

ويقول احمد عبد العزيز وهو يتأسف على الفضائل التي حصلها:-

الحمد لله على ماري كأنني في زمني حالم
يسود اقوام على جهلهم ولايسود الماجد العالم

ومن المتألمين العالم المشهور ابو العلاء المعري حيث يقول : -

وان كان في لبس الفتى شرف له فما السيف الاغمده والحمائل
ولى منطق لم يرض لى كنه منزلي على انني بين السما كين نازل

فهذا احد الأدباء والعلماء الذى تراكمت عليه النوائب والآلام فهو : -

احمد بن جعفر جحظة ، هو ابو الحسن احمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكى النديم ؛ كان حسن الادب ، كثير الرواية للاخبار ، متصرفا في فنون من العلم ، كالنحو ، واللغة ، والنجوم ، مليح الشعر ، مقبول الالفاظ ، حاضر النادرة ، وكان طنبوريا حاذقا فيه فائقا ؛ -

وله من التصانيف ، كتاب الطبخ ، لطيف ، كتاب الطنبوريين كتاب فضائل السكباج (مرق يعمل من اللحم والخل) كتاب الترنم، كتاب المشاهدات، كتاب ماشاهده من امر المعتمد على الله وكتاب ديوان شعره وغير ذلك (١) .

فهذا العالم الاديب المتالم من مصائب الدهر فكثيرا مايتذكر النوائب والالآم التى اجتمعت عليه وما له من نظير في حالاته المعجبة المبكية يقول : -

لاتعجبي ياهند من حالي فما فيها عجب
ان الزمان بمن تقد م في النباهة منقلب
فالجهل يضطهد الحجى والرأس يعلوه الذنب

وانشد جحظة لنفسه في اماليه : -

حسبي ضجرت من الأدب ورايتـــه سبب العطب
وهجرت اعراب الكلام وماحفظت من الخطـب
ورهنت ديوان النقـا ئص واشرحت من التعب

وانشد لنفسه ايضا في اماليه : -

دعيني من العذل اين الكبير بحرمـة معبودك الاكـــبر
فلست بيـاك على ظاعـن ولا طلل محـــول مقفـــر
ولكن بكائى على ماجـــد اراد نوالا فلـم يقـــدر

وانشد لنفسه ايضا في اماليه : -

مرضت فلم يعدني في شكايتى من الاخوان ذو كرم وخير
فان مرضوا ، وللايام حكم سينفذ في الكبير وفي الصغير

(١) معجم الادباء ج ٢ ص ٢٤٣ .

غدوت على المدامة والملاهي وان ماتوا بحزنت على القبور

وانشد في اماليه لنفسه ايضا : -

يا راقدا ونسيم الورد منتبه في ربقة القفص والاطيار تنتحب

الورد ضيف ، فلا تجهل كرامته وهاتها قهوة في الكأس تلتهب

سقياله زائرا تحيا النفوس به يجود بالوصل حينا ثم يجتنب

تيا لحر رآه وهو ذو جدة لم يقض من حقه بالشرب مايجب

وانشد ايضا في اماليه لنفسه : -

ماانصفتني يد الزمان ولا ادركني غير حرفة الأدب

لا حفظ الله ، حيثما سلكت امي ، وايرالحمار في أست ابى

ماتركا درهما اصون به وجهى يوما عن ذلة الطلب

وقيل لجحظة : كيف حالك ، فقال كما قال الشاعر : -

اى شيء رايت اعجب من ذا ان تفكرت ساعة في الزمان

كل شيء من السرور بوزن والبلايا تكال بالقفزان

وانشد ايضا لنفسه في اماليه : -

وقائل قال لى : من انت ، قلت له ، مقال ذى حكمة وأنت له الحكم

لست الذى تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

انا الذى دينه اسعاف سائله والضر يعرفه والبؤس والعدم

انا الذى حب اهل البيت افقره فالعدل مستعبر والجور مبتسم

وانشد جحظة في اماليه : -

طرقنا بزوغى حين اينع زهرها وفيها ، لعمر الله ، للعين منظر

وكم من بهار يبهر العين حسنه ومن جدول بالبارد العذب يزخر

ومن مستحث بالمدام كأنه وان كان ذميا أمير مؤمر

وفي كفه اليمنى شراب مـــورد وفي كفه اليسرى بنان معصفـــر
شقائق تندى بالنـدى فكأنهـا خدود عليهن المدامع تقطـــر
وكم ساقط سكر ايلوك لسانه وكم قائل هجرا وماكان يهجر
وكم منشد بيتا وفيه بقيـــة من العقـل الا انـه متحـــير
فكان مجنى دون من كنت اتقى ثلاث شخوص كاعبان ومعصر
وكم من حسان جس اوتار عوده فالهب نارا في الحشـا تتسعـــر
يغنى واسباب الصواب تمـــده بصوت جليل ذكره حين يذكر
احن حنين الواله الطرب الذي ثنى شجوه بعد الغداء التذكر
اجحظة ان تجزع على فقد معشر فقدت بهم من كان للكسر يجبر
واصبحت في قوم كان عظامهم اذا جئتهم في حـاجة تتكسر
فصبرا جميلا ، ان في الصبر مقنعا على ماجناه الدهر ، والله اكبر

وله ايضا : -

الدهـر دهـــر عجيب فيه الوليـد يشيب
العيـر فـــوق الثريـا وفي الوهاد الاريب

وله ايضا : -

حرمان ذى أدب وحظوة جاهل امـران بينهمـا العقـول تحير
كم ذا التفكر في الزمان وانمـا يـزداد فيـه عمى اذا يتفكـــر
الارذلـون بغبطـــة وسعـادة والافضلـــون قلوبهـــم تتفطـــر

وايضا قال بعضهم ؛ في الفارسية : -

كر خودت راخر بسازي ميد هندت سروري
چو نكه كار عامه نبود جزخرى وخرخرى
كاورا بهر خدائى عاميان باور كننـــد

نـــوح را ، باور ندارند ازره پيغمبرى

وبعضهم يصيح صيحة من نوائب الزمان ويقول : -

عتبت على الدنيا لتقديم جاهل وتاخير ذي فضل فقالت لى العذرا
اولئك ابناتى لهذا رفعتهـــم واهل التقى ابناء ضرتى الاخرى

وهذا محمد بن ابراهيم تاج الدين المراكشي يصيح ويقول : -

قلـــة الحظ يافتى صيرتـــني مجهـــلا
وجهـــول بحظـــه صار في الناس اكملا

وقال بعضهم في صيحته : -

لاتعجبن لمرزوق اخي هـــوج حظا تحظى اصيل الرأي طرافا
فخالق الناس اعراء بلا وبـــر كاسى البهائم اوبـارا واصوافا

ومن الصائحين محمد بن احمد بن سهل الواسطي حيث يقول :

ان قدم الحظ قوما مالهم قـــدم في فضل علم ولا حزم ولا جلد
فهكذا الفلك العلوى انجمـــه تقدم الثور فيها رتبـــة الأسد

ومن شعر محمد عبد القوى الانصاري وقد طلب منه نجم الدين الاعمى المدلجي النحوي ورقا ، فلم يرسله له لعذر ، فسير اليه هذه الابيات : -

لاتحسب الصد نجم الدين من ملل لا والذي خلق الانسان من علق
وانمـا صرف دهرى عاقني عبثا والدهر مازال بالاحرار ذا ملق
كم بت من ليلة فيه اكابـــده يادهر دعني فما ابقيت من رمق
وجملة الامر انى كنت في خجل الا اجيىء بلا ورق ولا ورق (١)

ومن الصائحين من الام الدهر احمد بن محمد تاج الدين البكرى :

لو لم تكن سبل الولاء بعيدة لاتنتحى الا بعزمـــة واحـــد

لتوارد الضدان ارباب العلا والارذلون على محل واحد

الأبيوردي ، ابو المظفر محمد ابن احمد بن حميد ، ينتهي الى عثمان بن عنبسة بن ابي سفيان صخر بن حرب الاموي الشاعر المشهور، له ديوان ومقطعات ومن اشعاره التي يصرخ فيها من الدهر وآلامها ؛ هي :

تنكر لي دهري ولم يدر انني اعز واحوال الزمان تهون
وظل يريني الخطب كيفا اعتداؤه وبت اريه الصبر كيف يكون

كانت وفاته مسموما باصفهان سنة ٥٠٧ ، (ل)

وأخر يصيح ويقول :

دهر على قدر الوضيع به وتر الشريف يحطه شرفه
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه سفلا وتعلو فوقه جيفه

ويصرخ آخر ويقول :

لاغرو ان فاق الدنيء اخا العلا في ذا الزمان وهل لذلك جاحد
فالدهر كالميزان يرفع كل ما هو ناقص ويحط ماهو زائد

وايضا صرخ واحد منهم وقال ؛

زمان قد تفرغ للفضول فسود كل ذي حمق جهول
اذا احببتم فيه ارتفاعا فكونوا جاهلين بلا عقول

ابو الحسن علي بن العباس بن جريح (سريج خ ل) البغدادي الشاعر ، وعن الفصول المهمة ، لابن الصباغ المالكي !

ان ابن الرومي كان شاعرا للامام الهادي عليه السلام ذكر عامة اهل التاريخ واثنوا عليه ، له ديوان ، وكان مشهوراً بكثرة التطير وله فيه اخبار غريبة ونوادر بديعة ، وكان اصحابه يعبثون به فيرسلون اليه

من يتطير من اسمه فلا يخرج من بيته اصلا ومن شعره الذي صرخ فيه عن مصائب الدهر وآلامه وهذا ؛

رايت الدهر يرفع كل وغد ويخفض كل ذي شيم رضية
كمثل البحر يغرق فيه حي ولا تنفك تطفو فيه جيفة
او الميزان يخفض كل واف ويرفع كل ذي زنة خفيفة (١)

الارجاني ، القاضي ابو بكر ناصح الدين احمد بن محمد بن الحسين التستري ، كان فقيها شاعرا له ديوان شعر !

ولما بلوت الناس اطلب عندهم اخا ثقة عند اشتداد الشدائد
فلم أر فيما ساءني غير شامت ولم أر فيما سرني غير حاسد
تطلعت في حالي رخاء وشدة وناديت في الحالين هل من مساعد
تمتعتما يا ناظري بنظرة وأوردتما قلبي امر الموارد
اعيني كفا عن فؤادي فأنه من البغي سعي اثنين في قتل واحد

وهذا صفي الدين الحلي يصرخ لمصيبة عظيمة وفاجعة كبيرة وهي قتل احد شخصيات العلم والفضيلة ، وانما صراخه هذا يعرف عظمة المقتول وانما هذا الم ومصيبة التي لا يقابلها شيء ، وهو غياث الدين عبد الكريم النيلي النجفي ابن ابي طالب محمد النسابة ابن جلال الدين نقيب المشهد والكوفة ! (٢)

هو الدهر مغري بالكريم وسلبه فان كنت في شك بذاك فسل به
ارانا المعالي كيف ينهد ركنها وكيف يغور البدر من بين شبهه
ابعد غياث الدين يطمع صرفه بصرف خطاب الناس عن ذم خطبه

(١) الكنى والالقاب ج١ ص٢٨٧
(٢) الكنى والالقاب ج٢ ص٤٦١

وتخطوا الى عبد الكريم خطوبه ويطلب منا اليوم غفران ذنبه
سليل ابن المصطفى وابن عمه ونجل الوصي الهاشمي لصلبه

العرجي عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الاموي الشاعر المشهور ، حكى لن محمد ابن هشام بن اسماعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك لما كان والى مكة حبس العرجي المذكور (بسبب) واقام في حبسه تسع سنين ، ثم مات فيه بعد ان ضربه بالسياط وشهره بالاسواق فعمل هذه الابيات ؛ (١)

اضاعوني واي فتى اضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر
وصبر عند معترك المنايا وقد شرعت اسنتها بنحري
اجرر في الجوامع كل يوم فيا لله مظلمتي وقسري
عسى الملك المجيب لمن دعاه سينجيني فيعلم كيف شكري
فاجزي بالكرامة اهل ودي واخرى بالضعائن اهل وتري

قال رسول الله صلى الله عليه وآله ! اللهم

العلم والحلم اغنني بالعلم وزيني بالحلم (٢)

لا ريب في ان صفة الحلم من ابرز الصفات الفاضلة واحسنها خصوصا اذا انضمت مع صفة العلم ، وان الانسان العالم اذا ربى نفسه بالحلم واكتسبه فينال الدرجة الاعلى من السعادة الكاملة دنيوية واخروية من عند الله تعالى ، ويكون محبوبا عند الخالق والمخلوق ، وان الاخبار والاحاديث التي وردت في فضل صفتي الحلم والعلم تبين هذه الحقيقة ، ولابد لنا ان نتذكر نصوصا من عباراتهم

(١) الكنى والالقاب ج٢ ص٤٣٠
(٢) سفينة البحار ج١ ص٣٠٠

سلام الله عليهم مع كلمات العلماء والادباء وايضا تتعرض القصص والتواريخ التي تدل على غزارة علمهم وكثرة حلمهم من الانبياء والائمة عليهم السلام والعلماء وغيرهم .

قال الراغب ! الحلم ضبط النفس عن هيجان الغضب .

وقيل الحلم الاناءة والتثبت في الامور ، وهو يحصل من الاعتدال في القوة الغضبية ويمنع النفس من الانفعال عن الواردات المكروهة المؤذية ومن آثاره عدم جزع النفس عند الامور الهائلة ، وعدم طيشها في المؤاخذة وعدم صدور حركات الغير المنتظمة منها وعدم اظهار المزية على الغير وعدم التهاون في حفظ ما يجب حفظه شرعاً ولا عقلا (١)

قال احنف بن قيس المشهور بالحلم ! تعلمت الحلم من قيس بن عاصم ، قال ! كنت ذات يوم جالسا معه اذ جيء بابنه مقتولا وبابن عم له قد قتل ابنه ليقود به فما قطع حديثه حتى فرغ ، ثم التفت اليهم ، فقال المقوم ! ارعبتم الفتى ثم اقبل عليه ، وقال ! يا هذا بئس ما صنعت ، اوهنت ركنك وقللت عددك وفتنت في عضدك خلوا سبيله واحملوا دية ابني الي .

وفي نقل آخر ؛ ثم التفت الى بنيه وقال ! يا بني اعمدوا الى اخيكم غسلوه وكفنوه فاذا فرغتم فأتوني به حتى اصلي عليه ، فلما دفنوه قال ! احملوا مأة ابل من مالي الى امه لتسلى بديته قال ! فوالله ماتغير لونه ولا حل حياته . وفي نقل ؛ ثلاث سئل احنف ، هل رأيت احداكان اكثر حلما منك ، قال ! نعم ، نزلت يوما على قيس بن عاصم ، وهوجالس

(١) جامع السعادات ج١ ص٢٩٧ (هذا المصدر راجع الصفحة المقابلة المرقمة ٢ وذاك لهذه الصفحة

بين قبيلته فاذا جاؤا بابنه مقتولا فقالوا له ! قد قتله فلان من مصاحبيه فكان جالسا كما كان لم يتغير حاله ولا كلامـــه ، ثم قال ! دفنوه واذهبوا الى اب القاتل ، وقولوا له ! لا تظن انا ننتقم منه مع انـه جار وظلم علينا ، فأمن منا وجيء عندنا وتبين بأي سبب قتلـه ، ثم قال لغلام له ! احمل مأة بعير الى امه لتتسلى به ليخفف المها ليست لها قوة البصر والحلم (١) -

ونقل ايضاً انه قيل لاخنف ! ممن تعلمت الحلم والخلق ، قال ! من قيس بن عاصم قيل له ! كيف كان حلمه وخلقه ، قال ! كان يوما جالسا في بيته .

وفي نقل آخر ؛ كان عنده ضيف فجائت جاريته بسفود فيه الشوى فرمى من يدها على ابن له فمات من حـــدة حره ، فدخلها الخوف والدهشة الشديدة ، فقال ! لا تخافي انت حرة لوجه الله (٢)

ان رجلا تعاقب اخنف بن قيس ويشتمه ، فلمـا قرب اخنف الى قبيلته وقف ، وقال للشاتم ! لو بقى في قلبك شيء آخر فقله ، لكي لا يسمع سفهاء القبيله مقالتك فيجيبونك .

وفي نقل آخر ؛ فلما قرب من داره ! قال له ! يا هذا ، انكان بقى في نفسك شيء فقله قبل ان يسمعك خدمي وقومي فيقتلوك (٣)

قال رسول لله صلى الله عليه وآله ! ما جمع شيء افضل من حلم الى علم (٤) .

---

(١) لألى الاخبار ج٢ ص١٥٥

(٢، ٣) لألي الاخبار ج٢ ص ١٥٥ / ١٥٧

(٤) سفينة البحار ج١ ص٣٠٠

عن ابي جعفر عليه السلام قال ! ما شيب شيء بشيء احسن من حلم بعلم (١) .

قال الصادق عليه السلام ! اذا وقع بين رجلين منازعة نزل ملكان فيقولان للسفيه منهما ! قلت وقلت وانت اهل لما قلت ؛ وستجزى بما قلت ، ويقولان للحليم منهما ! صبرت وحلمت سيغفر لك ان اتممت ذلك (٢) .

وبعث عليه السلام غلاما له في حاجة فابطأ فخرج على اثره فوجده نائماً ، فجلس عند رأسه يروحه حتى انتبه فقال ! يا فلان والله ما ذلك لك تنام الليل والنهار ، لك الليل ولنا منك النهار (٣) .

قال بعض العلماء ! لا سمير (السمير المحدث ليلا) كالعلم ، ولا ظهير (اي لا معين) كالحلم .

قالت الحكماء ! ما قرن شيء الى شيء ازين من حلم الى علم ، ومن عفو الى قدرة .

وقال النواجي وله دره !

يخاطبني السفيه بكل قبح واكره ان اكون له مجيبا
يزيد سفاهة وازيد حلما كعود زاده الاحراق طيبا

عن معاذ بن جبل ، قال ! قال رسول الله صلى الله عليه وآله ! ما انزل الله شيئاً اقل من اليقين ولاقسم بين الناس شيئا اقل من الحلم ، وما أووي شيء الى شيء ازين من حلم الى علم (٤) .

(١) سفينة البحار ج١ ص٣٠٠

(٢ ، ٣) جامع السعادات ج١ ص٢٩٨

(٤) جامع بيان العلم وفضله ج١ ص١٢٥

عن ابراهيم بن ادهم ومحمد بن عجلان ، ما من شيء اشد على الشيطان من عالم حليم ، ان تكلم تكلم بعلم ، وان سكت سكت بحلم ، يقول الشيطان ! انظروا اليه كلامه اشد على من سكوته (١) .

كتب المرحوم السيد عبد الله النديم الى استاذه :

على بابك العالي من الفضل راية ... على رأس ارباب المعارف تخفق
فعلمك جنات وحلمك جنـــة ... وكلك خيرات وغيثك مغدق
أرى غصن من يدعوا الى الفضل نفسه ... من الفضل عريانا وغصنك مورق
اذا رمت انشاء فعن صدق فكرة ... تهادي بابكار وغيرك يسرق (٢)

عن رجاء بن حيوة قال ! يقال ! ما احسن الاسلام ويزينه الأيمان وما احسن الايمان ويزينه التقوى ، وما احسن التقوى ويزينه العلم ، وما احسن العلم ويزينه الحلم وما احسن الحلم ويزينه الرفق (٣) .

وقال بعض الادباء في هذا المعنى ولله دره !

العلم والحلم حلتا كرم ... للمرء زين اذا هما اجتمعا
كم من وضيع سما به العـ ... ـلم والحلم فنال السمو وارتفعا
صنوان لا يستتم حسنهما ... الا بجمع لذا وذاك معا
كل رفيع البنا اضاعهما ... احمله ما اضاع فاتضعا

عيسى بن حماد يقول ! كثيرا ما كنت اسمع الليث بن سعد يقول ! لاصحاب الحديث تعلمو الحلم قبل العلم .

ابن ابي مريم يقول ! سمعت ابن وهب يقول ! ما تعلمت من أدب

(١) جامع بيان العلم وفضله ج١ ص١٢٥ / ١٢٦
(٢) جواهر الادب ج١ ص٢١٧
(٣) جامع بيان العلم وفضله ج١ ص١٢٦

مالك افضـــل من حلمه ، ولقد احسن عبـــد الله بن المبارك حيث يقـول :

ايها الطالب علما ائت حماد بن زيد
فاقتبس علما وحلما ثم قيـده بقيـد

عن معاوية بن وهب ، قال : سمعت اباعبد الله عليه السلام يقول : اطلبوا العلم ، وتزينوا معه بالحلم والوقار ، وتواضعوا لمن تعلمونه العلم وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم ولا تكونوا علماء جبارين ، فيذهب باطلكم بحقكم (١)

وننقل جملة من شرح هذا الحديث الشريف الذي شرحه العالم الرباني المولى محمد صالح المازندراني رضي الله تعالى عنه ، وقال :

(اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار) هذه الامور الثلاثة من اعظم الاصول لتحصيل سعادة الدارين واستقامة احوال الكونين ، اذ بالاول يعرف الاحكام والحلال والحـــرام واحوال المبدء والمعاد ، واحوال السياسات البدنية والمنزلية والمدنية .

وبالاخيرين تزين النفس بزينة الاناءة والرزانة وتحلى بحلية الصيانة والمتانة ويجتنب عن تبعات الغضب من التضاغن والسفه والخفة وغيرها وهذا اصل عظيم في جلب طيب عيش الدارين وطلب نظام النشأتين الخ (٢) . وهذا رسول الله صلى الله عليه وآله انظر حلمه

وقال القاضي عياض : وروى انه لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم احد شق ذلك على اصحابه شديدا وقالوا : لو دعوت عليهم ، فقال : اني لم ابعث لعاناً ولكني بعثت داعياً ورحمة اللهم اهـد قومي فأنهم

(١) اصول الكافي ج١

(٢) شرح اصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج٢ ص٧٥

لا يعلمون .

ثم قال القاضي ! بعد رواية اخرى قريبة من ذلك ، انظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات الاحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم ، اذ لم يقتصر صلى الله عليه وآله على السكوت عنهم حتى عفى عنهم ثم اشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم ، فقال ! اللهم اغفر او اهد ، ثم اظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله ، لقومي ، ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال ! فأنهم لا يعلمون (١)

ونقل المحقق السبزواري في روضة الانوار ! ان رسول الله صلى الله عليه وآله ، كان يوما يذهب في طريق ومعه انس بن مالك فلاقاه اعرابي فاخذ ثوبه يجره بشدة وقوة وكان عليه برد حافة غليظة خشنة ، قال انس ! فنظرت الى عنقه قد اثرت فيه حافة البرد ومن شدة جره ، فقال ! يا محمد اعطني من مال الله الذي عندك فالتفت اليه ضاحكا وامر له بعطية (٢)

ونعم ما قال الشاعر الفارسي !

نيست به از حلم بدو ران صفت حلم بود خود ثمر معرفت
حلم بود مايه پيغمبران زين سبب اول همه بودي شبان
خاك بسر ريخت يهودش زبام كرد دعا حضرت خير الانام
همچو كسي لايق پيغمبريست لايق پيغمبري ومهتريست

روي ان موسى عليه السلام كان يرعى اغنام شعيب فانهزم من قطيعته تيس ، نصعد الجبال فبقى موسى عليه السلام تابعا له عامة

(١) سفينة البحار ج١ ص٤١٢

(٢) لآلي الاخبار ج٢ ص١٥٠

يومه في رؤوس الجبال ، فلما لزمه قبل وجهه ومسح التراب من فوقه وقال ! معتذراً عنده ! ايها الحيوان اتعبتك هذا اليوم يوم من جهة الطلب ولا كان المقصود منك القيامة ولكن الخوف عليك من الذئب ثم حمله على عاتقه حتى اوصله الحيوانات ، وفي المجالس ، كان ذلك اليوم صائف من قلب الاسد والارض حمرت من حر الشمس كالتنور ، وفي الاخبار ، ان موسى عليه السلام قال ! يا رب بما استحققت النبوة واخترتني لكلامك ، فقال الله تعالى !

لشفقتك على التيس في يوم كذا فذكر له القصة (١)

ونعم ما قال المثنوي في الفارسية !

كوسفندي از كليم الله كريخت پاي موسى آبله شد نعل ريخت
در پي او تا بشب در جستجو وآن رمه غايب شده از چشم او
كوسفند از ماندكي شد سست وماند پس كليم الله كرد ازوي فشاند
كف همي ماليد مر پشت وسرش مي نوازش كرد هم چون مادرش
نيسم ذره تيركي وخشم ني غير مهر ورحم وآب چشم ني
گفت گيرم بر منت رحمي نبود طبع خود برخود چرا استم نمود

نقل ان ابراهيم بن ادهم كان يوما في الصحاري فلاقاه رجل جندي فسأله أنت مملوك ، قال ! نعم ، فقال له ! اين المعمورة فاشار ابراهيم الى مقبرة فغضب الجندي فضربه وكسر رأسه وأخذه يذهب به الى المصر ، وكان ابراهيم يطلب له من الله الجنة فقيل له ! هو ظلمك وانت تطلب له الجنة ، فقال لأني اعلم اني مأجور بايذائه فلم احب

(١) لآلي الاخبار ج٢ ص١٥٣

ان يكون نصيبي منه الخير ونصيبه مني الشر (١)

ونقل ايضا ان ابراهيم بن ادهم كان في الشام يحرس بستانا فيه عنب ليأخذ الاجرة من مالكه ، فأتاه جندي وطلب منه شيئا من الفواكه فقال : ان هذا مال غيري ولم يرخص مالكه فغضب من كلامه وجرد سوطه واكثر الضرب على رأسه فنكس رأسه وقال : اضرب رأساً طال ما عصى الله ، ثم ان الجندي عرفه فاعتذر اليه فقال : لا تعتذر ان تلك الرأس الذي كان يستحق الاكرام تركناه ببلدة بلخ (٢)

قال لقمان الحكيم لابنه : ثلاثة لايعرفون الاعند ثلاثة لايعرف الحليم الاعند الغضب ، ولاالشجاع الا عند الحرب ،ولا اخوك الا عند الحاجة اليه (٣) .

نقل : ان رجلا شتم سلمان الفارسي ، فقال له : يا اخي ان ثقلت ميزان سياتي يوم القيامة فأنا أسوء مما تقول ، وان ثقلت حسناتي ما يضرني ما تقول ، وتنسب الي (٤) .

وجاء انه شتم رجل أباذر ، فقال له ابوذر : يا هذا ان بيني وبين الجنة عقبة فان انا جزتها ، فوالله لا ابالي بقولك ، وان هو صدني دونها فأني أهل لأشد مما قلت (٥) .

ويقول الشاعر العربى ولله دره :

اذا نطق السفيه فلا تجبه ... فخير من اجابته السكوت

سكت عن السفيه فظن انى ... عييت عن الجواب وما عييت

ولكن اكتسيت بثوب حلم ... وجنبت السفاهة ما بقيت

(١ ، ٢) لآلي الاخبار ج٢ ص١٥٦/١٥٨

(٣) جواهر الادب ج٢ ص٥٦

(٤ ، ٥) لآلي الأخبار ج١ ص١٥٦ .

قال بعض الأدباء : من غرس شجرة الحلم اجتنى ثمرة السلم .

قال بعض الحكماء : الحلم من اشرف الاخلاق واحقها بذوي الالباب لما فيه من سلامة العرض وراحة الجسد واجتلاب الحمد .

قال بعض الشعراء :

احب مكارم الاخلاق جهدى واكره ان اعيب وان اعابا
واصفح عن سباب الناس حلما وشر الناس من يهوى السبابا
ومن هاب الرجال تهيبوه ومن حقر الرجال فلن يهابا

حدث سليمان الوراق ، قال : ما رأيت اعظم حلماً من المأمون الملعون ، دخلت عليه يوما وفي يده فص مستطيل من ياقوت احمر ، له شعاع ، قد اضاء له المجلس ، وهو يقلبه بيده ويستحسنه ، ثم دعا برجل صائغ ، وقال له اصنع بهذا الفص كذا وكذا واحلل فيه كذا وكذا وعرفه كيف يعمل به ، فاخذه الصائغ وانصرف ، ثم عدت الى المأمون بعد ثلث ، فتذكر ، فاستدعى بالصائغ ، فأتي به وهو يرعد وقد انتقع لونه ، فقال المأمون : ما فعلت بالفص ، فتلجلج الرجل ولم ينطق بكلام ، ففهم المأمون بالفراسة انه حصل فيه خلل فولى وجهه عنه حتى سكن جأشه ، ثم التفت اليه واعاد القول .

فقال : الامان ، يا امير المؤمنين ، فقال المأمون لا بأس عليك ، فاخرج الفص اربع قطع وقال : سقط من يدي على السندان فصاركما ترى ، فقال المأمون : لا بأس عليك ، اصنع اربع خواتم ، والطف له في الكلام حتى ظننت انه كان يشتهى الفص على اربع قطع فلما خرج الرجل من عنده ، قال : اتدرون كم قيمة هذا الفص ، قلنا : لا ، قال : اشتراه الرشيد بماة وعشرين الفا .

وجاء ايضا : عن عبد الله بن طاهر ، قال : كنت عند المأمون ،

فنادى يا غلام يا غلام باعلى صوته ، فدخل عليه غلام تركي ، فقال : ألا ينبغي للغلام ان يأكـــل او يشرب او يتوضأ او يصلي ، لما خرجنا من عندك نصيح ، يا غلام ، يا غلام ، الى كم يا غلام ، فنكس رأســـه طويلا فشككت انه يأمرني بضرب عنقه ، فقال يا عبد الله ان الرجل اذا حسنت اخلاقه سائت اخلاق خدمه ، واذا سائت اخلاقه حسنت اخلاق خدمـه .

محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام ، قال له نصراني : انت بقر قال : لا انا باقر ، قال : انت ابن الطباخة ، قال : ذاك حرفتها ، قال : انت ابن السوداء الزنجية البذيـــة ، قال : ان كنت صدقت غفر الله تعالى لها وان كنت كذبت غفر الله لك قال : فاسلم النصراني (١)

قال (المحدث القمي «ره») اقول : ولقد اقتدى به في حسن الخلق افضل الحكماء والمتكلمين سلطان العلماء والمحققين الوزير الاعظم الخواجة نصير الملة والدين قدس روحـــه ان ورقة حضرت اليه من شخص من جملة ما فيها ، يا كلب ابن الكلب ، فكان الجواب اما قوله يا كـذا فليس بصحيح لأن الكلب من ذوات الاربع وهـو نابح طويل الاظفار واما انا فمنتصب القامة بادي البشرة عريض الاظفار ، ناطق ضاحك ، فهذه الفصول والخواص غير تلك الفصول والخواص ، واطال في نقض كلما قاله هكذا رد عليه بحسن طويـــة وتأني غير منزعج ولم يقل في الجواب كلمة قبيحة (٢)

قال بعض الشعراء وله دره :

الا ان حلم المرء اكرم نسبة تسامى بها عند الفخار رحليم

(١ ، ٢) سفينة البحار ج١ ص٤٢٢ كلمة خلق .

فيا رب هب لي منك حلماً فانـــني ارى الحلم لم يندم عليه كريم

عن جابر قال سمع امير المؤمنين عليه السلام رجلا يشتم قنبرا وقد رام قنبر ان يرد عليه فناداه امير المؤمنين عليه السلام مهلا يا قنبر دع شاتمك مهانا ترض الرحمن وتسخط الشيطان وتعاقب عدوك فوالذي فلق الحبة وبرء النسمة ما ارضى المؤمن ربه بمثل الحلم ولا اسخط الشيطان بمثل الصمت ولا عوقب الاحمق بمثل السكوت (١)

ونقل المحقق السبزواري ؛ ان ابا مسلم خرج يوما من داره ذاهبا الى المسجد فلاقاه رجل بحاجة ، فوقف يستمع كلامه ، وكان في يـــد الرجل سيف فوضعه واتكى عليه وشرع فى عرض حاجته ، واتفق ان رأس السيف وقع على ظهر رجل ابي مسلم ، فحلم وتحمل الالم ولم يقل له شيئا ، ولا اخبره حتى قطع كلامه وقضى حاجته ، فلما ذهب الرجل في امره رأو الدم قد خرج من رجله مستوعبا لها ، فقالوا له ايها الامير لم ، لم تقل له تنح قليلا حين وقع سيفه على رجلك ، فقال ! لئلا يعلم بما فعل فينفعل ويخجل من عرض حاجته وطلبها (٢)

قيل ! من حلم ساد .

قيل ! لا يظهر الحلم الا مع الانتصار ، كما لا يظهر العفو الا مع الاقتدار .

قال الحسن ! ان افضل رداء تردى به الانسان الحلم .

حكى ان قوما جعلوا لبعض السفهاء جعالة على ان يواجه سقراط بالشتم ، ففعل السفيه ما بينوه له ، فحلم عنه سقراط ولم يجبه فاستحيا

(١) سفينة البحار ج١ ص٣٠٠ كلمة حلم .

(٢) لآلي الاخبار ج٢ ص١٥٥ .

السفيه ، فقال له سقراط ، لا عليك ، ان كان لك في سبنا منفعة اخرى فلا تدعها به .

عن الامام امير المؤمنين علي عليه السلام !

وذي سفه يواجهني بجهل واكره ان اكون له مجيبا
يزيد سفاهة وازيد حلما كعود زاد في الاحراق طيبا

وقال بعضهم في معناه في الفارسية !

از حلم چه باشد دل من آسوده هركز نشود بكين كس آلوده
چون عود كه هر چند بسوزي او را خوشبو تر از آن شود كه اول بوده

قال النبي صلى الله عليه وآله ! اذاجمع الخلائق يوم القيامة نادى مناد اين اهل الفضل ، فيقوم ناس وهم يسير ، فينطلقون سراعا الى الجنة ، فتلقاهم الملائكة فيقولون ! انا نراكم سراعا الى الجنة ، فيقولون ! ما كان فضلكم ، فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا ، واذا اسيء الينا عفونا واذا جهل علينا حلمنا . فقال لهم ! ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين (١)

وقال امير المؤمنين علي عليه السلام ، ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك ويعظم حلمك (٢) .

ان امرأة قالت ! لمالك بن دينار ! ايها المرائي قال لها ! ما عرفني احد مثلك .

ان الاطفال كانوا اذا رأو أويس القرني رموا اليه الاحجار وكان يقول ! لو كان رمي الاحجار الي لازماً ، ارموا الي الاحجار الصغيرة لان لا يجري دمي ويمنعني من الصلاة (٣) .

(١ ، ٢) جامع السعادات ج١ ص٢٩٨

(٣) لآلي الاخبار ج٢ ص١٥٧

ان بعض الاكابر (من العلماء) كان يذهب في طريق ، فصبوا على رأسه الرماد ، فنزل من مركبه واشتغل بطرح الرماد ، وتنظيف ثيابه ولم يقل شيئاً فقيل له : لم ، لم تزجرهم ، قال ! من كان مستحقاً للنار لو صالحوا معه بصب الرماد لا يكون له ان يغضب (١)

وقال الشاعر الفارسي ونعم ما قال :

شنيدم كه وقت سحر كاه عيد — زكرمابه آمد برون بايزيد
يكي طشت خاكسترش بيخبر — فرو ريختند از سرائي بسر
همي كفت ژوليده دستار وموي — كف دست شكرانه مالان بروي
كه اي نفس من در خور آتشم — بخاكستري روي درهم كشم
بزركان نكردند در خود نكاه — خدا بيني از خويشتن نخواه
بزركي بناموس وپندار نيست — بلندى بدعوى وكفتار نيست

احمد الحميري ، ابو العباس الشنتمرى يقول فيه ؛ ابو العباس احمد بن عبد العزيز بن غنزوان الكاتب الشنتمري وقد حضر القراءة عليه هو وجماعة من طلبة شنتمريه :

ومجلس ليس لشربه — باع وباع الخير فيه مديد
وربما تقضى حياة به — وينثني العالم فيه بليد
يزينه في جمعه فتية — غركما تدرى صباح الخدود
ما منهم في جمعهم واحد — الا اخو نبل وذهن حديد
تجمعوا حول فقيه حوى — حلما وعلما مع رأي سديد
ان خانك التفكير في مشكل — فأت من يبلغ ما قد تريد
وان يقل كان الذى قاله — ولم يكن فيه لخلق مزيد

(١) لآلي الاخبار ج٢ ص١٥٧

كأنه بين تلاميذه بدر بدا بين نجوم السعود (١)

قيل مر رسول الله صلى الله عليه وآله بقوم فيهم رجل يرفع حجرا يقال له : حجر الاشداء ، وهم يعجبون منه ، فقال : ما هذا قالوا : رجل يرفع حجرا يقال له : حجر الاشداء ، قال صلى الله عليه وآله : افلا اخبركم بمن هو اشد منه ، رجل سبه رجل فحلم عنه ، فغلب نفسه وغلب شيطانه وشيطان صاحبه (٢)

وفي زهر الربيع ، ان ملكا خرج ليلة متنكرا فأتى الى بقال وقال : عندي نصف فلس ، اريد منك شمعة تشتعل الى الصباح حتى لا أنام ، فقال : نصف فلس لا يحصل فيه شمعة كما تقول ! ولكني اعطيك رأساً كبيرا من الثوم تضعه في دبرك فيحرقك حرقاً شديداً لا تنام منه الى الصبح فلما صار النهار وجلس على سرير ملكه طلبه فعرفه البقال ، وخافه واجزل عطيته (٣) .

قال بعض العلماء : لو علم الملوك ما
لذة العلم والعرفان نحن فيه من لذة العلم لحاربونا بالسيوف
وللآخره اكبر درجات واكبر تفضيلا (١)

ان الانسان يذوق في الدنيا لذائذ كثيرة وقد يغرق في اذائذ النعمة ويستلذ منها ويصل مراده عنها .

وان الانسان لماغرق في الذائذ الدنيوية الفانية لا يتصور ان في العالم تكون

(١) معجم الادباء ج٣ ص٢١٩

(٢) المقالات الاحمدية ص١٩٤ نقلا عن مجموعة ورام .

(٣) لآلي الاخبار ج٢ ص١٥٧

(٤) تحفة العالم ج٢ ص٨٦

نعمة من غير نعم التي يتصورها وغرق فيها فمثلا ، من الذائذ الدنيوية الفانية كثرة الاولاد والملك وصحة البدن والاموال الدنيوية والتسلط والرياسة على الناس كل هذه اغفل الانسان عن لذائذ اخرى ، وهى اللذائذ المعنوية النفسانية التي يقدر الانسان لن يصلها وينالها بوجه احسن فمنها ، لذة طلب العلم وفهمه اذ من المعلوم ان لذة العلم والعرفان فوق اللذائذ وليست في الحقيقة لذة تقابلها والشاهد بذلك ان اكابر العلماء والفضلاء والشخصيات العالمية في العلم ما كانوا معتقدين بلذة غير لذة العلم خصوصا اذا كانوا واصلين بحل المسائل الغامضة والعبارات الدقيقة من الكتب العلمية ، وفي الحقيقة ان طالب العلم الديني اذا وصل حد الفهم من عبارات الكتب وحصل المعرفة بما فيها فأنه يستلذ فوق ما يتصور ولا يغفل عن تحصيله ساعة ولا ينقضي اوقاته بالبطالة واللهو وان الطالب الذي ذاق لذة العلم وتحصيله فبقليل من الوقت والزمان يظهر نابغة في العلوم لكن بخلاف الطالب الذي ما ذاق لذته فأنه لا يصير شيئا ولا يحصل من العلم ولا مقداراً قليلا فنرى في الحوزات العلمية كثيراً من هذا النوع من الطلبة ؛ فنذكر قسماً من كلمات العلماء واشعار الأدباء اثباتاً لما قلنا :

فهذا احد رجال العلم والفضيلة الذي يستلذ من العلم وذاق لذة كثيرة منه في وقت الذي يحل له المشكلات من العلوم والمعارف ؛ وهو الشيخ الطوسي رحمة لله تعالى عليه ، وجاء في ترجمته ؛ انه ، كان محمد بن الحسن الطوسي (ره) اذا اسهر الليالي وحل له مشكلات يقول : اين ابناء الملوك من هذه اللذة (١) .

(١) آداب المتعلمين ص٥ .

ولا شك ان الملوك واولادهم مستغرقين في النعمة ولذائذها لأن الاموال الكثيرة لديهم ووسائل العيش والراحة متضاعفة عندهم .

ومع تنعمهم هذا ان الشيخ يقول : اين ابناء الملوك حتى يدركوا هذه اللذة العلمية التي لا نصيب لهم ، وللعلامة الشيخ عبد العظيم الربيعي ابيات في ميلاد شيخ الطائفة ووصفه مع انه اشار فيها الى كلامه ايضاً وقال :

شيخ طوس وشيخ طائفة الحق وساماه حيث جاءا ومرا
كلما جاز لذة العلم نادى انما لذة العلوم الكبرى

ولله در ابي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني حيث يقول :

انا لم ادر لذة العيش حتى صرت للبيت والكتاب جليسا
اي شيء الذ عندي من العـ ـلم فما ابتغى سواه انيسا
انما الذل في مخالطة النا س فدعهم وعش عزيزا رئيسا

قال عتاب بن ورقا :

لو علم الجاهلون ما الأدب لأيقنوا انه هو الطرب
لو يعلم العاشقون ما لذة العلم ولم يعرفوه ما نصبوا
من كان يلهو وكان ذا إنس فالعلم لهوى وانسى الكتب
ان عجبوا من مقالتي فهم ما عجبوا من مقالتي العجب

وانشد احمد بن محمد احمد :

والذ ما طلب الفتى بعد التقى علم هناك يزينه طلبه
ولكل طالب لذة متنزه والذ نزهة عالم كتبه

وقال ايضاً :

يسلي الكتاب هموم قارئه ويبين عنه ان قرانصبه

نعم الجليس اذا خلوت به لا مكره يخشى ولا شغبه

وقال بعض البصريين !

العلم آنس صاحب اخلو به في وحدتي

فاذا اهتممت فسلوتي واذا خلوت فلذتي

وجاء ، انه اراد واحد خدمة ملك ، فقال الملك ! اذهب وتعلم حتى تصلح لخدمتي ، فلما شرع في التعلم وذاق لذة العلم بعث الملك اليه ، وقال ! اترك التعلم ، فقد صرت اهلا لخدمتي ، فقال ! كنت اهلا لخدمتك حين لم ترني اهلا لخدمتك ، وحين رأيتني اهلا لخدمتك ، رأيت نفسي اهلا لخدمة الله تعالى ، وذلك اني كنت اظن ان الباب بابك لجهلي ، والآن علمت ان الباب باب الرب (١) .

انشد ابو القاسم محمد بن نصر بن حامد بن ابراهيم الكاتب لنفسه !

انما العلم منحة ليس في ذا منازع هو للنفس لذة ، وهو للقدر رافع

يعرف الناس ربه ، وهو ميت شاسع فضل الناس كلهم ، فاضل فيه بارع

ربيع بن سليمان يقول ! قال لي الشافعي ! يا ربيع لو قدرت ان اطعمك العلم لاطعمتك اياه ، قال ابو عمر اخذه الخاقاني فقال !

الا فاحفظوا وصفي لكم ما اختصرته ليدريه من لم يكن منكم يدري

ففي شربة لو كان علمي سقيتكم ولم اخف عنكم ذاك العلم بالذخر

(١) تفسير مفاتيح الغيب ج٢ ص١٩٣

قال الله العزيز الحكيم ! وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون (١) .

العلم والعقل

قال بعض المفسرين ! (وتلك الامثال) وهي الاشباه والنظائر ، يعني امثال القرآن (نضربها للناس) اي نذكرها لهم لندعوهم الى المعرفة والتوحيد ونعرفهم قبح ما هم فيه من عبادة الاصنام (وما يعقلها الا العالمون) اي وما يفهمها الا من يعلم وجه الشبه بين المثل والممثل به .

وقيل ! معناه وما يعقل الامثال الا العلماء الذين يعقلون عن الله تعالى ! وروى الواحدي بالاسناد عن جابر ، قال ! تلا النبي صلى الله عليه وآله هذه الآية وقال ! العالم الذي عقل عن الله تعالى فعمل بطاعته واجتنب سخطه (٢) .

قال ابو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام لهشام بن الحكم ! في حديث طويل منه ، يا هشام ! ان العقل مع العلم (٣) .

وقال المولى محمد صالح المازندراني في شرح هذه الجملة من الحديث ؛ (يا هشام ، ان العقل مع العلم) المراد بالعقل هنا نور يعرف به حقائق الاشياء على ما هي عليه في نفس الأمر وهو العقل بالفعل او العقل المستفاد ، والعلم هو هذه المعرفة ولا خفاء في التلازم بينهما وعدم انفكاك احدهما عن الآخر ، وانما اكده مع ظهوره دفعا لتوهم ما هو المتعارف عند الجمهور حيث يقولون لمن له رؤية وكياسة في

(١) سورة العنكبوت ي٤٣

(٢) تفسير مجمع البيان ج٨ ص٢٨٤

(٣) اصول الكافي كتاب العقل والجهل

امور الدنيا انه عاقل ، فان تلك الروية ليست بعقل بل هي شيطنة ونكراء وما هو المتعارف عندهم ايضا ، حيث يطلقون العقل على الغريزة التي يتميز الانسان بها عن البهائم ، فان ذلك يتحقق في الصبيان والجهال مع انهم معزولون عن المدح والكمال ، بل المراد به ذلك النور الذي لا يفارق العلم والعرفان ، والعقلاء هم الربانيون ، والحكماء الآلهيون الذين قال الله تعالى في شأنهم (يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيرا) فقال ! (وتلك الامثال) لما مثل سبحانه حال الذين اتخذوا من دون الله اولياء واتكلوا عليهم واعتمدوا بهم العنكبوت اتخذت بيتاً في الوهن والضعف ، فكما ان الثاني لا يقي الحر والبرد وينهدم بورود ادنى شيء عليه ، كذلك الاول لا يدفع حر العذاب عنهم يوم القيامة ولا يقيهم شر ذلك اليوم ولا ينهدم أساسه بالكلية بورودصرصر غضب الله عليهم عقبه بقوله (وتلك الامثال) اشارة الى المثل المذكور ونظايره من الامثال المذكورة في القرآن المجيد (نضربها للناس) تقريباً لما بعد من افهامهم وتفهيماً لما شرد عن اذهانهم اذ المثل يبرز المعقول بصورة المحسوس وذلك اسهل في التفهيم واجدر في التعليم لمن الف طبعه بالمحسوسات واشمأز عقله عن المعقولات ولذلك قال سيد المرسلين (نحن معاشر الانبياء أمرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم) .

(وما يعقلها الا العالمون) لأنهم يغرفون بنور بصيرتهم وضياء سريرتهم حسن مبانيها ولطف معانيها وكيفية ارتباطها بالمقصود وطريق دلالتها على المطلوب وينتقلون من ظاهرها الى باطنها ومن محسوسها الى معقولها بل يجدون عالم المحسوس كله مثالا لعالم المعقول ، ويعلمون ان كل

صورة محسوسة في هذا العالم لها صورة حقيقية وحقيقة عقلية في العالم المعقول يرشد الى ذلك ما نقل عن ابي جعفر عليه السلام حين سأله النصراني ، فقال له : اخبرني عن اهل الجنة كيف صاروا يأكلون ولا يتغوطون اعطني مثلهم في الدنيا ، فقال عليه السلام هذا الجنين في بطن امه يأكل مما تأكل امه ولا يتغوط .

وما نقل عن بعض ائمتنا عليه السلام حين سئل عن الاجساد المعادة يوم القيامة هل هي عين الاول او غيره ، قال : لاعينه ولاغيره فقيل : اخبرني عن مثله في الدنيا ، فقال : مثل اللبنة المضروبة بقالب مخصوصة فانها اذا كسرت وضربت تارة اخرى بذلك القالب ليست عين الأولى ولا غيرها .

وبالجملة ما من صورة في الدنيا الا وله حقيقة في عالم العقول والآخرة ، وما من معنى حقيقي فيهما الا وله مثال وصورة في الدنيا ، ولا يعلم ذلك الا العلماء الراسخون في العلم الناظرون اليها بنور العقل ، واما الجهال فهم الغافلون عن ذلك ولا يعلمون الا ما هو ظاهر محسوس بل لا يدركون من الظواهر الا ما يدركه ساير البهائم فأولئك كالأنعام بل اضل سبيلا (١) .

وفي الآية الشريفة اشارة الى ان التفكر في الاشياء وحقايقها وحكمها والتعقل في امثال القرآن الكريم . من مختصات العلماء ، اي الذين تفضل لهم الله تعالى علماً فهم الذين يتعقلون صنايع الله جل جلاله ، وانما هذا الاختصاص ظاهر من كلمة (الا) التي هي حرف الاستثناء .

وليضاً في الآية سر خفي وهو ، ان الآية الشريفة تشير الى ان

(١) شرح اصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج١ ص١٤٦ واننا نقلنا شرح الجملة بتمامه مع ان فيه اشياء خارجة عن المبحث .

التعقل امر من لوازم العلم ، لان العلماء لو لا عقولهم مع علمهم لا يمكنهم التعقل ، وان العلماء الذين يتعقلون الاشياء وحكمها ورموزها فهم العلماء العقلاء ، ليس غيرهم ، ولو كان غيرهم لما كان الله تعالى ان يمدحهم بالتعقل وينحصرهم بالتفكر ؛ فعرفنا ان التعقل بالعلم والعقل لا بالعلم وحده ، والعالم الغير العاقل لا يليق للمدح والتمجيد .

واما جهة ارتباط الآية الشريفة بالموضوع فهي ان الآية تبين ان بعض الناس ، الذين تفضل لهم الله تعالى العلم ايضا اكرمهم الله تعالى بالعقل واجمع لهم الفضلين العقل والعلم ، واذا حصل الانسان العاقل العلم فيكون من اسعد افراد المجتمع ، فالانسان العاقل ان يجد ويتعب نفسه في تحصيل مختلف العلوم والمعارف لكي يصير انساناً كاملا وشخصا جامعا للفضائل والكمالات ؛ فاننا نقدم بعض كلمات من العلماء والادباء ، ونذكر ايضا روايات من الائمة عليهم السلام :

قال الشاعر العربي وله دره !

العلم في الصدر مثل الشمس في الفلك والعقل للمرء مثل التاج للملك
فاشدد يديك بحبل العلم معتصما فالعلم للمرء مثل الماء للسمك

وفي الديوان المنسوب الى امير المؤمنين عليه السلام !

اذا كنت ذا علم ولم تك عاقلا فانت كذي نعل وليس له رجل
واذ كنت ذا عقل ولم تك عالما فانت كذي رجل وليس له نعل
الا انما الانسان عمد لعقله ولاخير في عمد اذا لم يكن له نصل

وادرج الشاعر الفارسي هذا المضمون في شعره وقال !

يارب چه خوش است عقل ودانش باهم كز هر دو شود روشن وصافي عالم
در انجمني كه نام تمييز برند ممتاز بعقل وعلم باشد آدم

في الزبور ! قال الله سبحانه وتعالى ! قل ، لاحبار بني اسرائيل ورهبانهم حادثوا من الناس الاتقياء ، فان لم تجدوا فيهم تقياً ، فحادثوا العلماء فان لم تجدوا عالماً فحادثوا العقلاء ، فان التقي والعلم والعقل ثلاث مراتب ما جعلت واحدة منهن في احد من خلقي وانا اريد هلاكه ، وانما قدم سبحانه ، التقى على العلم ، لان التقى لا يوجد بدون العلم ، كما ان الخشية لا تحصل الا مع العلم ، والموصوف بالامرين اشرف من الموصوف بامر واحد ، ولهذا السر ايضاً ، قدم العالم على العاقل ، لان العالم لا بد وان يكون عاقلا ، واما العاقل فقد لا يكون عالماً ، فالعقل كالبذر ، والعلم كالشجر والتقوى كالثمر (١) .

قال لقمان ! العقل بلا ادب كالشجرة العاقر ، والعقل مع الادب كالشجرة المثمرة .

وقال الشاعر ولله دره !

ما وهب الله لأمرىء هبة احسن من عقله ومن أدبه
هما جمال الفتى فان فقدا ففقده للحياة اجمل بـــه

قال بعض البلغاء ! من فضل علمك استقلالك لعلمك ، ومن كمال عقلك استظهارك (اي استعانتك) على عقلك .

قال بعضهم من شعراء الفرس ولله دره !

همره عقل ويار جان علم است در دو گيتي حصار جان علم است
ميروي با دل تو همـراه اسـت مينشيني زجـانت آگاه اسـت
كس نهـانش بخـاك نتوانـد تنـد بادش بخـاك نتوانـد
نـه بليل زمان خراب شـود نه بميل زمين در آب شـود

(١) تفسير غرائب القرآن ج١ ص٨٥ .

راز چرخ فلك بدان دوري همه از علم يافت مشهودي
اين همه كار وحرفت وپيشه نه هم از دانش است واندیشه
علم كشتي كند بر آب روان وآنكه كشتي كند بعلم توان
چون تو با علم آشنا كشتي بگذري زآب نيز بي كشتي
دل چو كردد بعلم بيننده راه جويد بآفريننده

قال بعض الادباء : العقل بلا ادب فقر ، والادب بغير عقل حتف (اي موت) .

وقال حكيم : لا يفرح المرء بمرتبة جليلة نالها بغير عقل ، ومنزلة رفيعة حلها بغير فضل ، فان الجهل ينزله منها ويزيله عنها ويحطه الى رتبته ويردي الى قيمته بعد ان تظهر عيوبه وتكثر ذنوبه .

وقال محمد بن عبد الله وشه دره :

لعمرك ما بالعقل يكتسب الغنى ولا باكتساب المال يكتسب العقل
وكم من قليل المال يحمد فضله وآخر ذو مال وليس له فضل
وما سبقت من جاهل قط نعمة الى احد الا اضربها الجهل
وذو اللب ان لم يعط احمدت عقله وان هو اعطى زانه القول والفعل

وقال حكيم آخر وشه دره :

رايت العز في ادب وعقل وفي الجهل المذلة والهوان
وما حسن الرجال لهم بحسن اذا لم يسعد الحسن البيان
كفى بالمرء عيباً ان تراه له وجه وليس له لسان

وقال ابن عباس لما كف عن بصره :

ان يأخذ الله من عيني نورهما ففي لساني وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل وفي فمي صارم كالسيف مشهور

وقال آخر !

العقل حلة فخر من تسربلها كانت له نسباً تغنى عن النسب

دخل رجل على سليمان بن عبد الملك ! فتكلم عنده بكلام اعجب سليمان ، فاراد ان يختبره ، وينظر اعقله على قدر كلامه ام لا ، فوجده مضعوفا (اي وجد عقله اضعف من كلامه) فقال ! فضل العقل على المنطق حكمة ، وفضل المنطق على العقل هجنة (اي عيب وقبح) وخير الامور ما صدق بعضها بعضاً وانشد !

وما المرء الا الاصغران لسانه ومعقوله والجسم خلق مصور

ومن احسن ما قيل في هذا المعنى قول زهير !

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم

قال بعضهم ! كل عز لا يوطده (اي لا يقويه) علم مذلة ، وكل علم لا يؤيده (اي لا يقويه) عقل مضلة .

قال بعض الشعراء ولله دره !

من يعدم العلم يظلم عقله ابدا نراه اشبه ما نلقاه بالنعم

كم من نفوس غدت لله مخلصة بالعلم في صفحة القرطاس والعلم

والعقل شمس ونور العلم منبثق منها ومنها ثمار الفضل فافتهم

وقال احد الادباء ! العلم خليل ، والعقل دليله والعمل قائده ، والصبر امير جنوده .

وقال بعضهم ايضا ! العلم خليل المؤمن ، والحلم وزيره ، والعقل دليله ، والعمل قائده ، والرفق والده ، والصبر امير جنوده .

قال الشاعر ولله دره !

بالعلم والعقل ، لا بالمال والذهب يزداد قدر الفتى بلا طلب

فالعلم طوق النهى يزهو به شرفاً والجهل قيد له يبليه باللغب
كم يرفع العلم اشخاصاً الى رتب ويخفض الجهل اشرافاً بلا ادب
العلم كنز فلا تفنى ذخائره والمرء ما زاد علماً زاد بالرتب

وقال ابو بكر بن دريد :

العالم العاقل ابن نفسه اغناه جنس علمه عن جنسه
كن ابن من شئت وكن مؤدبا فانما المرء بفضل كيسه
وليس من تكرمه لغيره مثل الذي تكرمه لنفسه

قال سقراط الحكيم : العقل والعلم كالروح والجسد ، والعقل بلا علم صورة بلا معنى ، والعلم بلا عقل حمل بلا حامل .

العقل وشرفه

قال الله العزيز الحكيم : ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القي السمع وهو شهيد (١) والمراد من (القلب) الذي ذكر في الآية الشريفة هو العقل ، ونقل هذا القول في التفاسير عن ابن عباس .

ولقد ورد في شرافة العقل وتعريفه روايات من الائمة عليهم السلام وكلمات من الحكماء والعلماء ، واننا نكتفي بجملات قصيرة من اقوالهم .

قال بعضهم : العقل الوقوف عند مقادير الاشياء قولا وفعلا .

وقال آخر : العقل النظر في العواقب .

وقال المتكلمون : العقل اسم لعلوم اذا حصلت للانسان صح تكليفه .

وقيل : ايضا في تعريف العقل ، العقل من عقل نفسه عن المحارم ولذلك لم يصح وصف الله تعالى به .

(١) سورة ق ي٣٧

وقيل : العقل فقدان ما يحمد من العاقل .

وقال المولى محمد صالح المازندراني في تعريف العقل : العقل قوة نفسانية . وحالة نورانية بها يدرك الانسان حقايق الاشياء ، ويميز بين الخير والشر وبين الحق والباطل ، ويعرف احوال المبدء والمعاد ، وبالجملة هو نور اذا لمع في آفاق النفوس يكشف عنها غواشي الحجب فتتجلى فيها صور المعقولات كما يتجلى في العين صور المحسوسات (١) ،

وقال بعضهم ايضا : العقل قوة تهيء قبول العلم ويقال للعلم الذي يستفيده الانسان بتلك القوة عقل ، ومنه قول امير المؤمنين علي عليه السلام حيث يقول :

وان العقل عقلان فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مطبوع اذا لم يك مسموع
كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

واصل العقل الامساك ، لأنه مأخوذ من عقال الدابة كعقل البعير بالعقال ليمنعه من الشرود ، فكذلك العقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود والافعال القبيحة (٢) .

قال بعضهم : العقل جوهر مضيء خلقه الله تعالى في الدماغ وجعل نوره في القلب يدرك الغايات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة .

قال اهل التفسير : العقل نور يستبان به العواقب ويترك له القبائح والعقل يكمل مع فقد بعض العلم والعلم لا يكمل مع فقد بعض العقل .

وقال اهل الحكمة : العقل نور فطري يزيد بالسمع والكسب .

---

(١) شرح اصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج١ ص٧٨

(٢) تفسير لباب التأويل ج١ ص٤٦

وقال الاصوليون : حسن العقل تمييز الغريزي بين خير الخيرين وشر الشرين وهو متفاوت في الفعل يزيد بالتجارب وينقص بالاغفال وهو قوة وبصارة يحدثها الله تعالى في بنية المتصفين بالعقول بها تستدرك العلوم .

وقيل : العقل ، هو نور وضعه الله تعالى طبعا وغريزة في القلب كالنور في العين فهو يزيد وينقص ويذهب ويعود كما يدرك بالبصر شواهد الامور كذلك يدرك بنور العقل المحجوب والمستور ، وعمى القلب كعمى البصر قال الله تعالى : فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور !

وقيل فى الفارسية ولله دره !

عقل ميداني چه باشد اي پسر	آنكه باشد سوي جنت راهبر
عقل ميداني چه باشد اي رفيق	آنكه برهاند ترا ازهر مضيق
عقل همراهي بود سلطان شناس	ميشناسد شاه را در هرلباس
عقل را باشد دوكوش حق نيوش	كوشها دارد بآواز سروش
مى نيوشد كوش او ذكر ملك	هر نواي نغمه سوق فلك
سر (ما من شيء الا) يافته	حمد وتسبيح حصارا يافته
عقل جان را سوي جانان مي برد	قطره هارا سوي عمان مي برد
هر كه را عقل وخرد انباز شد	بر رخش درهاي شادي باز شد

قال بعض الفصحاء : العقل وزير رشيد ، وظهير (اي معين) سعيد من اطاعه انجاه ومن عصاه ارداه (اي اهلكه) .

قال بعض البلغاء : المروات كلها تبع للعقل ، والرأي تبع للتجربة والعقل اصله التثبت ، وثمرته السلامة .

قال الحكماء : اذا كان العقل في النفس اللئيمة ، كان بمنزلة الشجرة

الكريمة في الارض الذميمة ، ينتفع بثمرها على خبث المغرس ، فاجتن ثمر العقل وان اتاك من لئام الناس .

قال طاووس ! ما قلادة نظمت من در وياقوت بأزين لصاحبها من العقل ولو ان ناصح المرء عقله لأراه ما يزينه مما يشينه ، فالمغبون من أخطأ حظه من العقل .

وقال سهل ! العقل ان تستغني به عن كل شيء دونه جل جلاله .

وقال عامر بن عبد قيس ! اذا عقلك عقلك (اي قيدك وحبسك ومنعك) عما لا ينبغي فانت عاقل .

قال معاوية لعمرو بن العاص ! ما بلغ من عقلك ، قال ! ما دخلت في شيء قط الا خرجت منه ، فقال ! ولكني ما دخلت في شيء قط واريد الخروج منه .

قال المتنبي !

لو لا العقول لكان ادنى ضيغم ادنى الى شرف من الانسان

قال انو شيروان ! ليس لملك ولا لرعية خير من العقل ، فانه بضيائه يفرق بين القبيح والمليح ، والجيد والردىء ، والحق والباطل ، والصدق والكذب .

وقالوا ايضاً ! المملكة تخصب بالسخاء ، وتعمر بالعدل ، وتثبت بالعقل ، وتحرس بالشجاعة ، وتساس بالرئاسة .

قال الشافعي ! انفع الاشياء ان يعرف الرجل قدر منزلته ومبلغ عقله ، ثم يعمل بحسبه وقيل ! الفضل بالعقل والادب ، لا بالاصل والحسب .

وقال بعضهم من الشعراء !

سرور المرء في الدنيا غرور غرور المرء في الدنيا سرور
خليل المرء فهو دليل عقل وعقل المرء مصباح ينير

سأل الاسكندر يوما جماعة من حكمائه ، وكان قد عزم على سفره فقال اوضحوا لي سبيلا من الحكمة احكم فيه اعمالي واتقن به اشغالي فقال كبير الحكماء ! ايها الملك ، لا تدخل قلبك محبة شيء ولا بغضته لأن القلب خاصيته كاسمه ، وانما سمى قلبا لتقلبه ، واعمل الفكر واتخذه وزيراً ، واجعل العقل صاحبا ومشيرا ، واجتهد ان تكون في ليلك متيقظا ولا تشرع في امر بغير مشورة ، وتجنب الميل والمحاباة في وقت العدل والانصاف ، فاذا فعلت ذلك جرت الامور على ايشارك وتصرفت باختيارك (١) .

قال النبي صلى الله عليه وآله ! ما اكتسب ابن آدم افضل من عقل يهديه الى هدى ، او يرده عن ردى (٢) .

قيل ! العقل وزير رشيد ، وظهير سعيد من اطاعه انجاه ومن عصاه ارداه ، وقيل ايضا لو صور العقل لأضاء معه الليل .

قال شاعر من العرب !

الم تر ان العقل زين لاهله ولكن تمام العقل طول التجارب
يقول لك العقل الذي زين الفتى اذا لم تكن تقدر غدوك داره
ولاقه بالترحيب والبشر والقرى وبارك له ما دمت تحت اقتداره
وقبل يد الجاني التي لست قادرا على قطعها وراقب سقوط جداره

عن النبي صلى الله عليه وآله ، قال ! ان الرجل ليكون من اهل

(١) مجاني الادب ج١ ص٢١
(٢) محاضرات الادباء ج٢

الصلاة والصيام والحج والجهاد فما يجزي الا على قدر عقله (١) .

عن الاصبغ بن نباته ، عن علي عليه السلام قال ! هبط جبرئيل عليه السلام على آدم عليه السلام فقال! يا آدم ، اني أمرت لن اخيرك واحدة من ثلاث فاخترها ودع اثنتين ، فقال له آدم عليه السلام ! يا جبرئيل وما الثلاث ، فقال ! العقل والحياء ، والدين ، فقال آدم عليه السلام ! اني قد اخترت العقل ، فقال جبرئيل للحياء والدين ! انصرفا ودعاه ، فقالا ! يا جبرئيل انا أمرنا ان نكون مع العقل حيث كان ، قال ! فشأنكما وعرج (٢) .

عن النبي صلى الله عليه وآله ، قال ! لكل شيء آلة وآلة المؤمن العقل ، ولكل شيء مطية ، ومطية المؤمن العقل ، ولكل شيء دعامة ودعامة المؤمن العقل ، ولكل شيء غاية وغاية المؤمن العقل ، ولكل قوم راع وراع العابدين العقل ، ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل ، ولكل اهـــل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل ، ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل ، (٣) .

ومن شعر المعري حيث يقول !

يرتجى الناس ان يقوم امام ... ناطق في الكتيبة الخرساء
كذب الظن لا امام سوى الـ ... ـعقل مشيرا في صبحه والمساء
انما هـذه المذاهب اسبا ... ب لجلب الدنيا الى الرؤساء

فكل من الحكماء والعلماء كشف القناء عن وجـــه عروس العقل وعرفه باقسام مختلفة وعبارات راقية متنوعة فهذا احدهم ، وهو يعرف

(١) نزهة المجالس ج٢ ص٣٣٤
(٢) اصول الكافي ج١ كتاب العقل والجهل .
(٣) نزهة المجالس ج٢ ص٣٣٥

العقل ويبين شرفه لنا ويقول :

بنور الحجى يكشف عن مستور الدجى ، ابو الحجى يأبى الا ما هو الأحجى ، اذا انارت الحجة ، استنارت المحجة ، العقل المشيد يهدي الى الفعل الرشيد ، العقل الرشيد معقل مشيد ، العاقل يحذر من الآفة واذا رأى المشرب كدراً عافه العاقل قد يغفل ، كما ان الغافل قد يعقـــل .

العقل بصارة الفؤاد ، والجهل عماه ، فانظر الى المستخمر ـ قاتلـــه الله ـ ما اعماه العاقل ، يأبى الورود في غاب الضرغم ، وزقب اليد في جحر الارقم ، العقل معاذ وملاز ، لمن به عاذ واليه لاز .

الحق ما تقول بعد قبـــول العقول ، الفطن العاقل ، عما لا يعنيه متغافل ، كلام الحكيم ضالة العاقل ، والحكيم من الكلام بغية الناقل ، ظلال الحجى يحفظ عن ضلال الهوى ، ما اقتضاه العقل يرتضاه العدل فمردود العقول ، مطرود العدول ، النهي من من نهاه من المنكر نهاه ، نعمة العاقل لابواب الحمد تاتحه ، ونسمة الشكر من انفاسه فائحه ، الهوى مخالفـــة العقل ، كما ان العقل مخالفة الهوى ، العاقل يشكر من يعينه ، ويغض الطرف عمن يهينه ، العقل رأس الحواس وهل رأى البدن بلا رأس ، العل عقال العاقل يفر عما يخامره الى المعاقل .

العاقل ما له لا ما عليه ، فيغتنم الفرصـــة ما لم يخرج من يديه ، العاقل يعرض عما لا يعنيـــه ، ولا يتعرض لمن يعينه ، الاريب الحازم ، واللبيب الجازم ، في كل ما هو عازم ، للتفكر من العواقب ملازم .

العاقل شاكر في الغنى ، وصابر في العنا ، عمله كثير ، واماله قصير ويسير (١)

(١) الكلم والحكم ص٩

قال العلامة الجليل الشيخ عبد المنعم الفرطوسي في ديوانه ولله دره !

وازن بعقلك فالحجى ميزان ... وزنت بـه عرفانهـا الاذهان
وانهج على منهاجه كيما ترى ... حججا عليها ينهض الوجدان
فبه فلاسفة الوجود تمكنوا ... من حد ما لا يدرك الانسان
عرفوا به كنه الاثير فحللوا ... ذراتـه في ذاتهـا وابانوا
واستخرجوا روح النبات وماله ... من جوهر ينمو به الحيوان
حتى ارونا للذوات حقائقا ... كشف الغطاء عن نورها البرهان
اترى ارسطاليس ذا الحكم التي ... ملئت بها الافهـام والآذان
لولاه هل يستطيع ان يبنى له ... مجدا تجدد ذكـره الاذهان
وهل استطاع والف قرن قد مضى ... لولاه ان يحيا بنا (لقمان)

العقل مقياس التوازن بيننا ... وبـه اسيقام لسيرنا ميزان
(ايوان كسرى) شاهد لولاه ما ... قام البناء وشيد الايوان
وكذلك الاهرام لولا حكمة ... لم يستقم ابدا لهـا بنيان
ولنا بتشييد (الخورنق) عبرة ... نطقت بهـا آثاره وبيان
ذاك الذي سحر العقول بحسنه ... فتقاصرت عن وصفه الاذهان
نقف الملوك ببابه مرتاعة ... وتخر من عظم له التيجان
صرح قواعده استطارت رفعة ... فانحط عن عليائه كيوان
وتوازنت منه الجهات فمابها ... ابدا فضول لا ولا نقصان
طاف السدير به فاصبح ثائرا ... من كل ناحيـة له بركان
فبكسره الماء الزلال تدفقت ... امواجه وبأفقـه النعمان
الله ما هذا الجلال اينجلي ؟ ... لولا الحجا عن سره الكتمان

يا نقطة الادراك يا نور ابه ... غمر الوجود ففاضت الاركان

يا قوة في النفس لولاها لما حد السعادة والشقا انسان
شبه الفراشة حول نورك رفرفت ارواحنا وتهافتت ابدان
عامت ببحرك فاغتدت مغمورة مذعمها من لطفك الفيضان
لكنها تحديد ذاتك لم تطق اذقد علاها في الطريق دخان
يا جوهرا قد اخلصته حكمة وبلاغة اوحى بها العرفان
هل ان ذاتك مستحيل حدها ام ممكن لينالـه التبيان
ام هكذا كل الحقائق بيننا قد اصيحت وله الخفا عنوان
ماآن يا شمس الحقيقة ان ترى لك طلعة تجلى بها الاشجان
فالسيل قد بلغ الزبى تياره متدافعاً وتجاوز الطغيان (١)

قال الاسكندر ! ان العقل على باطن العاقل اشد تحكما من سلطان السيف على ظاهر الاحمق . قال السنائي !

عقل سلطانست وفرمانش روان بر جان ودل
روچو مردان روزوشب جزخدمت سلطان مكن

قال ابن عبيدة ! العقل ملك والخصال رعية ، فاذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل اليها فسمعه اعرابي فقال هـذا كلام يقطر عسله بقول المولوي !

عقل آن باشد كه او با شعله است او دليل وپيشواي قافلـه است
عقل ايماني چو شاه عادل است پاسان وحاكـم شهر دل است
عقل درتن حاكـم ايمان بود كه زبيمش نفس در زندان بود

قال شاعر العرب وفه دره !

يعد رفيع القوم مـن كان عاقلا وان لم يكن في قومـه بحسيب

(١) ديوان الفرطوسي ج١ ص٢٨٦

اذا حل ارضا عاش فيها بعقلـــه وما عاقل في بلـــدة بغريب

قال اعرابي ! لو صور العقل لاظلمت معه الشمس ، ولو صـــور الحمق لأضاء معه الليل ، قال ؛ بعضهم في الفارسية !

عقل مرآة جمال حق بود نور عقل از نور حق مشتق بود
با جنود عقل دل مأمن شود در حقيقت وادي ايمن شود
كر بكشتي جهل وكردي بيرمق باشي اندم محرم اسرار حق
اول مخلوق عقل آمـــد عيان تا شود بركنت كنزاً آن بيان
عقل مصداق حديث من عرف عقل معنى كتـاب لو كشـف
عقل تفسير است بر قل انما عقل باشد بر عشق مولى رهنما

وقال احد الشعراء ونعم ما قال !

وافضـل قسم الله للمرء عقلـــه فليس مـن الخيرات شيء يقاربـــه
يعيش الفتى بالعقل في الناس انه على العقل يجري علمه وتجاربـه
يشين الفتى في الناس قلة عقلـــه وان كرمت اعراقه ومناسبـــه
اذا اكمل الرحمن للمرء عقلـــه فقـد كملت اخلاقـه ومآربـه

وقال احد الشعراء ونعم ما قال !

العقل حلـة فخر مـن تسربلها كانت له نسباً تغنى عن النسب
والعقل افضل ما في الناس كلهم بالعقل ينجو الفتى من خومة الطلب

وانما كرر ؛ البيت الاول مرتين لاجل فرده الثاني .

قال حكيم من الحكماء ! العلماء اخلد من الدول ذكراً ، واجل قدراً ، فكم من مملكة انقرضت واضمحلت ودفنت معها اخبارهـا لا يموت العالم

بعد اذ كانت على اعظم جانب من المنعة والعظمة وبسطـة السلطان ،

واما العلماء فلن يزال ذكرهم يدوي في اندية الأدب مؤرجاً محافل العلم بعبيرة العباق كأنهم احياء يرزقون (١) .

ان الحياة على اقسام واحسن انواعها هي حياة العلم وكل من رزق وذاق طعمه فأنه لا يموت ويبقى حياً ما دامت السموات والارضين باقية ، والى هذا النوع من الحياة اشار الحكماء والعلماء بكلماتهم القيمة المتينة واننا نتعرض قسما منها :

قال احد العلماء : اذا طابت احدوثة المرء وطبقت مفاخره الآفاق ، تخلد ذكره في الدنيا ، ورقمت مآثره على صفحات التواريخ حتى لا تقوى الايام على محو آثارها وطمس معالمها ، على حد قول القائل :

كفل الزمان له برد حياته لما انطوى فكأنه منشور

وقال ابن عبد ربه :

ان الحياة مزارع فازرع بها ما شئت تحصد
والناس لا يبقى سوى آثارهم والعين تفقد
او ما سمعت بمن مضى هذا يذم وذاك يحمد

وقال بعضهم : كن احسن حديث ينشر يكن سعيك في الناس مشكوراً واجر عند الله مذخورا .

قيل لبعض الحكماء : ما افادك الدهر ، قال : العلم به ، قيل : فما احمد الاشياء ، قال : ان تبقى للانسان احدوثة حسنة .

وقال احد الادباء : لا شيء يبقى على مر الدهور الا الذكر حسناً كان او قبيحاً ، وقال الشاعر ولله دره :

ولا شيء يدوم فكن حديثاً جميل الذكر فالدنيا حديث

(١) جواهر الادب ج٤ ص٦٠

قالت الحكماء ! انما الايام مزارع فما زرعت فيها حصدته .

وقال آخر ؛ الايام صحائف آجالكم فخلدوها بأحسن أعمالكم ، وقال حبيب الطائي !

وما من آدم الا ذكر صالحة او ذكرسيئة يسرى بها الكلم

اما سمعت بدهر بادامته جائت با خبارهامن بعدهاامم

وقال اكثم ! انما انتم اخبار فطيبوا اخباركم .

وكان مكتوباً ومنقوشاً في جانب من طرفي قبر افلاطون الحكيم ابن ارسطاطاليس ، يا ايتها الارض ، ان كنت مخفية جسد افلاطون ، لا يمكنك الدنو من نفسه التي لا تموت .

وفي جانب آخر كان منقوشاً ، ههنا وضع رجل الهي فاق الناس كلهم في العلم والفقه والنباهة والاخلاق العادلة ، فكل من مدح الحكمة فقد مدحه اذ فيه اكثرها (١) .

وقال محفوظ الكرخي ونعم ما قال !

موت التقى حياة لا نفاد لها قد مات قوم وهم في الناس احياء

وقال احمد شوقي ولله دره !

والناس صنفان موتى في حياتهم وآخرون ببطن الارض احياء

تأبى المواهب فالاحياء بينهم لا يستوون ولا الاموات اكفاء

وقال احد شعراء العرب ولله دره !

كم مات قوم وما ماتت مكارمهم وعاش قوم وهم في الناس اموات

وقال ابو الطيب ونعم ما قال !

يقولون ذكر المرء يحيى بنسله وليس له ذكر اذا لم يكن له نسل

(١) تاريخ علماء خراسان ص١٥٤

فقلت لهم نسلي بدايع حكمتي فان فاتها نسل فانا بهـا نسلو

وقيل في معناه في الفارسية :

چو نيست پيش پدر اينقدر يقين كه پسر

زخيل بي خردانست يا خردمنـدان

بس است سيرت نيكو حكيم را فرزند

زبون زن چه شود بر اميـد فرزندان

قيل لحكيم من الحكماء : الا تدعو قوما يؤنسونك ، فقال كم جهد مـا يمكن مثلي ان يدعـو من الناس ليستأنس بهـم ، فقالـوا : الاثنين والثلاثـة ، فقال : قد يؤنسني الوف والوف وعشرات الـوف ، فقيل ! انى لك هؤلاء ، وهل تسع دارك جمعهم ، فقال بجمعهم في الكتب المسطورة والاخبار المأثورة . وقال بعض الشعراء :

لو لا العلوم لما سمعت لهالك ذكرا ولا خبرا من الاخبار

كم من اديب حاضر في مصره وحديثـه المشهور في الامصار

ينسى الانام وذو العلوم مخلـد في الناس من باق هناك وسار

قيل لرجـل ! من يؤنسك ، فضرب بيده الى كتبه ، وقال ! هـذه ، فقيل ! من الناس فقال : الذين فيها ، قال بعضهم من الشعراء !

تميز بعلمك عـن عصبـة اذا ذكر الناس لم يذكروا

وحي الطروس ورو النفوس بلفظ ينظـم او ينثر

فعلمك ذا جوهـر نافق ويا ربما كسد الجوهـر

وذكرك باق به ما بـدا لمبصره كوكب ازهـر

ولما مات جالينوس الحكيم ، وجد في جيبه رقعة فيها مكتوب ! ما اكلتـه مقصدا فلجسمك ، وما تصدقت به فلروحك ، وما خلفته فلغيرك

والمحسن حي وان نقل الى دار البلى ، والمسيء ميت وان بقي في دار الدنيـــا .

مات من حي ذكره في الناس ، ونظمه الربيعي وقال :

كم ميت درست في القبر اعظمه وذكـره خالد في الناس مادرسا
ورب شخص تمادى العمر فيه قضى فلم تجد بعد شخصا باسمه نبسا

وقال بعضهم قريبا في الموضوع ولله دره :

وان تمنيت عيش الدهر اجمعه وان تعاين ما ولى من الحقب
فانظر الى سير القوم الذي مضوا والحظ كتابتهم من باطن الكتب
لجد تفاوتهم في الفضل مختلفا وان تقاربت الاحوال في النسب
هـذا : كتاج على رأسـه يعظمـه وذاك كالبعر الجافي على الذنب

ويشير الى هذا المعنى جحظة البرمكي ويقول :

ارى الايام تضمن لي بخير ولكن بعد ايام طوال
فمن ذا ضامن لدوام عمري الى دهر يغير سـوء حالي
هي التسعون قد عطفت قناتي ونفرت الغواني عن وصالي
وفيها ـ لوعرفت الحق ـ شغل عن الامرالذي اضحى اشتغالي
كاني بالنوادب قـائلات وجسمي فوق اعناق الرجال
الا سقيا لجسمك كيف يبلى وذكرك في المجالس غير بالي

ورثا بعضهم ابن يحيى ، وهو من العلماء الكبار !

مات ابن يحيى فماتت دولة الادب ومات احمد انحى العجم والعرب
فان تولى ابو العبـاس مفتقـدا فلم يمت ذكره في الناس والكتب

وقال بعضهم ! ونعم ما قال ولله دره :

اذا ما روى الانسان اخبارمن مضى فتحسبه قد عاش من اول الدهر

وتحسبه قد عاش اول دهره الى الحشر ان ابقى الجميل من الذكر
فقد عاش كل الدهر من عاش عالما كريما حليما فاغتنم اطول العمر

وقال الشاعر الفارسي ونعم ما قال !

علم باشد چون درختي در جهات ميوه آن معني آب حيات
هر كسي كز ميوه آن خورد وبرد ني شود او پير ، وني هرگز بمرد

وقال بعض الشعراء ونعم ما قال !

ارى العلماء اطولنا حياة وان اضحوا رفاتا في القبور
اناس غيبوا وهم شهود بما ابتدعوه من علم خطير
كأنهم حضور حين تجري محاسن ذكرهم عند الحضور
لئن ملئت قبورهم ظلاما فان ضيائهم ملء الصدور

وقال ابن يسير ولله دره !

يا قائلا قصرت في العلم همته امسى الى الجهل فيما قال ينتسب
ان الاوائل قد بانوا بعلمهم خلاف قولي ما ماتوا ولا ذهبوا
ما مات منا امرؤ ابقى لنا ادبا نكون منه اذا ما مات نكتسب

قال امير المؤمنين عليه السلام ! العالم حي وان كان ميتا (١) .

وقال ايضا عليه السلام ! العلماء باقون ما بقي الدهر (٢) .

وعنه عليه السلام ! العالم حي بين الموتى (٣) ،

وقال ايضا عليه السلام ! مات خزان المال وهم احياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر اعيانهم مفقودة وآثارهم في القلوب موجودة (٤) وان سابق البلوي اخذ هذا المعنى من قول امير المؤمنين عليه السلام

(١ ، ٢ ، ٣) غرر الحكم حرف العين .

(٤) جامع بيان العلم وفضله ج١ ش٥٧

حيث يقول !

موت التقى حياة لا انقطاع لها قد مات قوم وهم في الناس احياء

قال ابن المعتز في فصوله ! ما مات من احيا العلوم ، وقال بعضهم الآخر ؛ مات خزنة الاموال وهم احياء وعاش خزان العلم وهم اموات ، وقال ابو محمد البطليموسي !

اخو العلم حي بعد موته واوصاله تحت التراب دميم
وذوالجهل ميت وهو ماش على الثرى يظن من الاحياء وهو عديم

نقل ! ان امرء القيس كان من ابناء ملوك العرب ، وكان من اهل بيته وبني ابيه اكثر من ثلاثين ملكا فبادوا وباد ذكرهم وبقي ذكره الى يوم القيامة ، وانما امسك ذكره شعره !

ما مات من كان حيا ذكره ابدا وفي الدفاتر قد تتلى فوائده
ولم يزل علمه في الناس منتشرا وينفع الخلق في الدنيا عوائده

وقال الشيخ ناصيف اليازجي في هذا المعنى ونعم ما قال !

مضى ذكر الملوك بكل عصر وذكر السوقة العلما باق
وكم علم جنى مالا وجاها وكم مال جنى حرب السباق

ويقول آخر ولله دره !

يا رب حي ميت ذكره وميت يحيى باخباره
ليس بميت عند اهل النهى من كان هذا بعض آثاره

وقال القاضي ناصح الدين الارجاني !

بالفكر في الامم الماضين تحسبه كانما عاش فيهم تلكم المددا
والذكر في الامم الباقين صيره كانما هو موجود وما فقدا
فليس الا على ذالوجه لو نظروا يصح معنى لقول المرء عش ابدا

اذا عرف الانسان احوال من مضى توهمته قد عاش من اول الدهر
وتحسبه قد عاش آخر دهره الى الحشر ان ابقى الجميل من الذكر
فقد عاش كل الدهر من كان عالما كريما حليما فاغتنم اطول العمر

الحمد لله وصلى الله على رسول الله وآله اجمعين عليهم السلام .

فهرست مواضيع الكتاب

الاهداء : الى الامام علي عليه السلام ، وانه باب مدينة العلوم والحكم وانه كان حاكما وعالما بجميع الكتب السماوية ص٢ .

مقدمة المؤلف ، ذكر فيها ان من اهم الموضوعات هو البحث عن احوال العلماء وفضله وان العالم الحقيقي هو منجي الانسان من المهالك وانه جالس مكان الانبياء والأئمة عليهم السلام ص٣

١ ـ مقام العلم : جاء في هذا العنوان كلمات كثيرة من العلماء والادباء والبلغاء في مقام العلم وفيه جملة تاريخية راجعة الى فضل العلم وقصة هارون مع الامام موسى بن جعفر عليه السلام وفيه كثير من اشعار الشعراء عربية وفارسية ص٤ / ١٤ .

٢ ـ طلب العلم وتعلمه : جاء في هذا العنوان احاديث كثيرة وعبارات العلماء واشعار الشعراء عربية وفارسية ، وترجمة بعض العلماء الذين يطلبون العلم ص١٤ / ٢٥ .

٣ ـ ثواب طلب العلم ، جاء في هذا العنوان احاديث وروايات كثيرة ، وآيات من القرآن واشعار عربية وقصص ممتازة وكلمات قيمة

من العلماء والادباء ص٢٥ / ٢٩ .

٤ ـ وجوب طلب العلم ، جاء في هذا العنوان ، روايات عن الائمة عليهم السلام ، ونقل اقوال علماء الفقه والكلام ، والتفسير ، والحديث والتصوف وغيرهم الراجعة بوجوب طلب العلم ، وفيه بيان مقدار الوجوب من العلوم التي يجب تعلمها وتقسيم العلوم من الغزالي ٢٩ / ٣٥

٥ ـ التفقه في الدين ؛ ذكر في هذا العنوان آية كريمة وشأن نزولها وتفسيرها وروايات واشعار عربيةص٣٥ / ٤٠

٦ ـ الهداية والتعليم ، ذكرت في هذا العنوان آية شريفة وتفسيرها والرموز المندرجة فيها واحاديث كثيرة من المعصومين عليهم السلام ص٤١ / ٤٧ .

٧ ـ الدرهم والدينار ؛ جاء في هذا العنوان احاديث وروايات وكلمات من العلماء واشعار عربية وفارسية ص٤٨ / ٥٥ .

٨ ـ العلم والمال ؛ جاء في هذا العنوان احاديث وادلة فضل العلم على المال من كلمات العلماء والفضلاء واشعار راقية عربية وفارسية وشرح جملات من كلمات الامام عليـــه السلام عن ابن ابي الحديد ص٥٦ / ٦٤ .

٩ ـ العالم والغنى ؛ جاء في هذا العنوان كلمات من العلماء والحكماء واشعار من الادباء وجملة من خطبة الامام عليه السلام ص٦٤ / ٦٨

١٠ ـ المفاخرة بين العلم والمال ؛ جاء في هذا العنوان روايات وكلمات من العلماء واشعار من الادباء في حول العلم والمال وكل واحد منهما يفتخر على الآخر ص٦٩ / ٨٤ .

١١ ـ العلم والعمل ؛ جاء في هذا العنوان احاديث وكلمات المحققين من العلماء والحكماء وقصص وروايات من الانبياء وشرحها وابيات

كثيرة عربية وفارسية ص٨٤ / ٩٨ .

١٢ ـ العمل والعبادة ؛ جاء في هذا العنوان كلام من ابي ذر واحاديث نبوية وقصص ممتازة من الانبياء والاولياء والائمة عليهم السلام ٩٨ / ١٠٥

١٣ ـ فضل المعلم على الوالد ؛ جاء في هذا العنوان كلمات عن بعض الحكماء والعلماء وثبت فيه فضل الأب الروحي على الأب النسبي ، وفيه اشعار راقية عربية وفارسية واحاديث نبوية ص١٠٥ / ١١٣ .

١٤ ـ حقوق المعلم ؛ في هذا العنوان ذكرت آية شريفة وكلام العلامة المجلسي فيها وتشريحات الفضلاء للاحاديث ، وفيه اشعار عربية وفارسية وترجمة بعض العلماء ص١١٣ / ١٢٠ .

١٥ ـ قيمة المعلم ووظيفته ؛ جاء في هـذا العنوان احاديث نبوية وروايات عن الائمة عليهم السلام وكلمات عن بعض العلماء وقصص لطيفة وترجمة بعضهم واشعار قيمة عربية وفارسية ص ١٢٠ / ١٢٩ .

١٦ ـ لا يجتمع الحكمة والمال ؛ جاء في هذا العنوان كلام عن الامام علي عليه السلام وشرحها عن المؤلف وعبارات بعض العلماء وترجمة بعض الفضلاء وبيان حالاتهم المؤلمة وابيات كثيرة من الشعراء والادباء عربية وفارسية وشرح قصة الحكيم البحراني ص١٢٩ / ١٣٩ .

١٧ ـ الاجتهاد في تحصيل المعارف والمعالي ؛ جاء في هـذا العنوان كلمات بعض العلماء وترجمة بعضهم مع قصص لطيفة منهم واشعار كثيرة عربية وفارسية ص١٣٩ / ١٤٥ .

١٨ ـ المفاخرة بين الراحة والتعب ؛ جاء في هذا العنوان كلمات عن العلماء واشعار كثيرة من الشعراء ص١٤٥ / ١٥٥ .

١٩ ـ الكتاب خير انيس وجليس ؛ جاء في هذا العنوان كلمات قيمة

عن بعض العلماء والادباء واشعار لطيفة كثيرة ص١٥٥ / ١٦١ .

٢٠ ـ محافظة الكتاب : في هذا العنوان جائت كلمات من العلماء والادباء ، واشعار راقية من الشعراء وقصص لطيفة ص١٦١ / ١٦٥ .

٢١ ـ قيمة الكتاب : ذكرت في هذا العنوان آية شريفة ، وتفسيرها واقوال بعض العلماء في الآية وكلمات الحكماء والفضلاء ، واشعار كثيرة من الشعراء ص١٦٥ / ١٧١ .

٢٢ ـ مطالعة الكتاب : جاء في هذا العنوان كلمات من العلماء وحكايات لطيفة منهم واشعار راقية من الشعراء ص١٧١ / ١٧٣ .

٢٣ ـ الكتابة والتأليف : جاء في هذا العنوان روايات عن الائمة عليهم السلام وشرحها عن بعض العلماء وكلمات منهم وابيات قيمة ص١٧٤ / ١٧٨ .

٢٤ ـ بيع الكتاب : جاء في هذا العنوان كلمات من العلماء ، وحكايات لطيفة عن بعضهم وابيات قيمة ص١٧٨ / ١٨٠ .

٢٥ ـ مجالسة العالم : جاء في هذا العنوان كلمات حكمية كثيرة عن لقمان وبعض العلماء واحاديث شريفة عن المعصوم عليه السلام واشعار من الشعراء عربية وفارسية ص١٨٠ / ١٩١ .

٢٦ ـ مجالسة الفاسد : ذكرت في هذا العنوان آية شريفة ، وشأن نزولها وتفسيرها وروايات كثيرة اخري ، واشعار من الشعراء عربية وفارسية ص١٩١ / ١٩٩ .

٢٧ ـ صراخ العالم من آلام الدهر : جاء في هذا العنوان كلمات عن الحكماء وقصص مؤلمة لبعضهم واشعار كثيرة عربية وفارسية ص١٩٩ / ٢٠٨

٢٨ ـ العلم والحلم ؛ جاء في هذا العنوان ، احاديث عن النبي والائمة عليهم السلام وحكايات عن الحلماء وكلمات العلماء فيه وحلم بعض الانبياء والائمة وابيات كثيرة عربية وفارسية ص٢٠٨ / ٢٢٢ .

٢٩ ـ لذة العلم والعرفان ؛ جاء في هذا العنوان ، كلمات بعض العلماء وقصصهم وابياتهم ص٢٢٢ / ٢٢٥ .

٣٠ ـ العلم والعقل ؛ ذكرت في هذا العنوان ، آية شريفة وتفسيرها والنكاة المندرجة فيها وروايات وكلمات بعض العلماء واشعار راقية كثيرة عربية وفارسية ص٢٢٥ / ٢٣٣ .

٣١ ـ العقل وشرفه ؛ ذكرت في هذا العنوان آية شريفة وتفسيرها ونظريات العلماء في العقل وحقيقته وشرفه وفضله وروايات شريفة واشعار كثيرة عربية وفارسية ص٢٣٣ / ٢٤٢ ،

٣٢ ـ لا يموت العالم ؛ جاء في هذا العنوان ، كلمات بعض الحكماء والعلماء واشعار من الشعراء والادباء عربية وفارسية وروايات شريفة ص٢٤٢ / ٢٤٨ .

المصادر التي استفدنا منهـا في تأليف الجزء الثاني من كتاب (المعز لمن يروم العز) من مختلف الكتب المؤلفـة من التفسير ، والحديث ، والتراجم ، والتاريخ ، والادب !

١ قرآن كريم كلام الله مجيد
٢ تفسير الصافي لفيض الكاشاني
٣ تفسير مفاتيح الغيب للرازي
٤ مجمع البيان للطبرسي
٥ تفسير المراغي للمراغي
٦ تفسير ابن كثير لابن كثير
٧ غرائب القرآن للنيسابوري
٨ مقتنيات الدرر لعلي الحائري
٩ تفسير ابو الفتوح لابو الفتوح
١٠ تفسير لباب التأويل لعلي البغدادي الخازن
١١ بحار الانوار للعلامة المجلسي
١٢ اصول الكافي للكليني
١٣ سفينة البحار للمحدث القمي
١٤ مجموعة ورام لابن ورام
١٥ ارشاد القلوب لحسن الديلمي
١٦ جامع السعادات للنراقي
١٧ جامع بيان العلم للقرطبي
١٨ المحجة البيضاء للكاشاني
١٩ الاحتجاج للطبرسي
٢٠ تقييد العلم للخطيب
٢١ لألي الاخبار للتويسركاني
٢٢ شرح اصول الكافي لملا صالح المازندراني
٢٣ الترغيب والترهيب
٢٤ احياء العلوم للغزالي
٢٥ تحفة العالم لبحر العلوم
٢٦ موعظة السالكين للشاه عبد العظيمي
٢٧ درة التاج لقطب الشيرازي
٢٨ تحفة المجالس
٢٩ شرح چهل حديث
٣٠ آداب المتعلمين
٣١ نهج البلاغة للسيد الرضي
٣٢ شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد
٣٣ شرح نهج البلاغة للقزويني
٣٤ العابدون

٣٥ ـ معادن الجواهر لمحسن العاملي
٣٦ مجاني الادب للويس شيخو
٣٧ المستطرف لشهاب الدين الابشيهي
٣٨ المخلاة لبهاء الدين العاملي
٣٩ جواهر الادب لاحمد الهاشمي بك
٤٠ جواهر الادب لسليم صادر
٤١ محاضرات الابرار لمحي الدين العربي
٤٢ الارشاد والتطريز
٤٤ الكلم والحكم لصدر الافاضل
٤٥ اوراد الاحباب وفصوص الآداب .
٤٦ الدين في قصص للقليوبي
٤٧ المطالعات للحمامي
٤٨ مختار الحكم لاحمد
٤٩ جامع الدرر
٥٠ المقالات الاحمدية للاشتياني
٥١ امالي الزجاجي للزجاجي
٥٢ بغية الوعاة للسيوطي
٥٣ الكنى والالقاب للقمي
٥٤ روضات الجنات للخوانساري
٥٥ معجم الادباء لياقوت الحموي
٥٦ زينة المجالس للصفوري
٥٧ وفيات الاعيان لابن خلكان
٥٨ ذرايع البيان للتسبي
٥٩ برهان دانش لشمس الدين الموسوي
٦٠ الفهرست لابن نديم
٦١ الامالي
٦٢ ناسخ التواريخ للسپهر
٦٣ تاريخ علماء خراسان
٦٤ دانشمندان وسخن سرايان فارس
٦٥ الجواهر المضيئة للقرشي
٦٦ ـ ديوان الفرطوسي للفرطوسي
٦٧ ديوان الربيعي للربيعي
٦٨ السعادة
٦٩ آثار الوزراء لسيف الدين بن نظام
٧٠ تعريف العلماء لجمع من بلبي العلاء العلماء
٧١ ـ مختارات البارودي لمحمد سامي

ومصادر اخرى التي لا مجال لذكرها هنا ولهذا الغرض حذفناها .

لقد تم الجـــزء الثاني من كتاب (المعز لمن يروم العز) في يوم الاول من شهر شوال سنة ١٣٨٧ هجرية بيد مؤلفه السيد محمود معز الدين ، في النجف الاشرف .

وسيصدر قريباً بعون الله تعالى ! الجزء الثالث والرابع من هـــذا الكتاب مع الجزء الثاني من كتاب (المصيبة الراتبة ، في مقتل العترة الطاهـرة عليهم السـلام) هذا الكتاب جاء بسبك لطيف ، واسلوب بديع ، مطلوب كل طالب وانيس كل مستأنس جيد في موضوعه جدا .

اللهم وفقنا لصالح الاعمال بحق محمد وآله الاطهار عليهم السلام

وتحت الطبع كتابنا (المنابر العلية) الجزء الاول والثاني باللغة الفارسية .

الثمن ٥٠٠ فلس مع التجليد

مطبعة النعمان ـ النجف الاشرف تلفون ٢٠٩٧

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0045342423

BP
193
.M7
v. 2